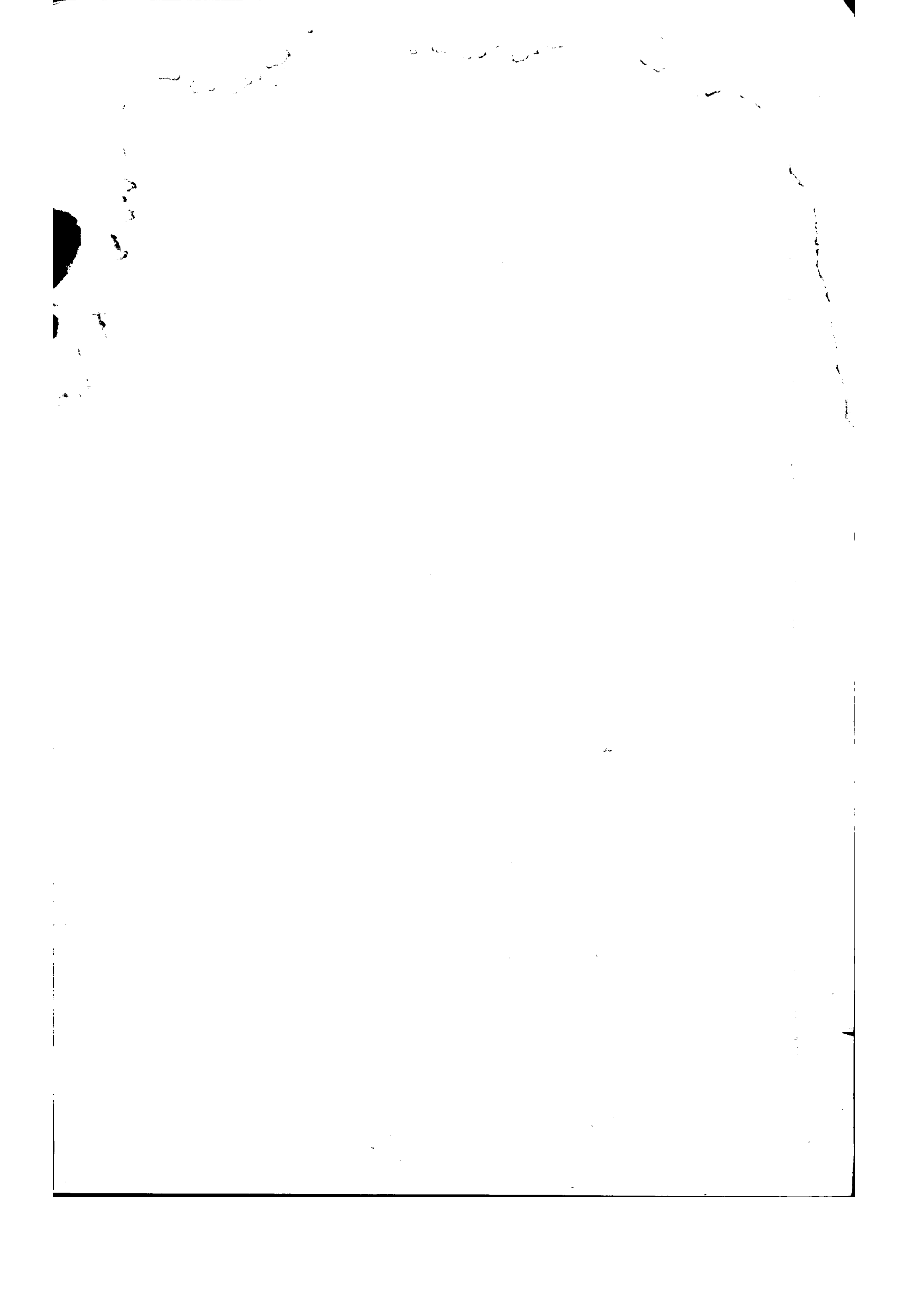
أصول الأخلاق الدولية

جميع
شعوب العالم طبيعتهم الإنسانية
واحدة . القيم والمبادئ الأخلاقية
وأمور المعاملات في العقائد الدينية
واحدة في المجتمع الدولي
« فلسفة العلاقات الدولية »

دكتور
سمير عبد المنعم أبو العينين
دكتوراه في فلسفة وتاريخ القانون الدولي العام

الطبعة الأولى
القاهرة - ١٩٨٩ م



بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النَّاسُ إنا خلقناكم مِن ذكرٍ وَأُنثى وجَعَلناكم شعُوبًا وقبَائِل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عَليمٌ خبير.

«صدق الله العظيم».

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحياة الإنسانية نشأت وتكونت روابطها المتناسقة فى كافة ارجـــاء هذا العالم بارادة الله سبحانه وتعالى خالق جميع الكائنات — واستمرت وتطورت بالمعنى الكلى السامى للوجود بالطاقة الحيه المستمره بـــدون توقف من الصور الدنيا الى الصور العليا بروح كافة الشعوب التى تشـــل وجودها ولهيب غاياتها .

الكون كله كائن حى — والعالم ليس جسما ماديا فحسب — وانمــا له أيضا نفس روحانية مهمتها ضم جميع البشر فى اخاء الانسانية الواحـد ، من أجل أن تكون فى وفاق مع الخالق الأعظم . وتبجل قدرته جل شأنـــه فى وضع هـــذا الوجود .

هذا الالتقاء المنظم بين الحياة الانسانية وطبيعة هـــذا العالـــم الحى قد ادركه العقل الانسانى السليم فى كل زمان ومكان — بعد مــــا فسر مضمونه واكد دلائله وبراهين حقيقته كل الرسل والانبياء الذين بعثوا فضلا من عند الله سبحانه وتعالى لهداية جميع الشعوب نحو الحق وحسن الصواب — كما عبر عنه فلاسفة كل العصور من خلال تناغم افكارهم فى إطـــار

موضوعى واضح الرؤية والبيان رغم عدم تشابه وجهات نظرهم فى تفسير هذا الالتقاء نتيجة تميز كل فيلسوف عن الآخر بشخصية تأملية واسلوب فكرى معين فى عرض فلسفته •

واذا كانت هذه الحقائق تعبر عن قدرة الله وتدبيره فى خلق هذا الكون والحياة ـ فان حقيقة إرتباط الشعوب على أهداف وقايس واحدة نحو الواجب وتبادل المعاملة والمودة والعداله والرحمة من حكمة الله سبحانه وتعالى أيضا لكى تكون الإنسانية جسم واحد وروح واحدة ، وهذه الحقيقة تحوى اسرار عديده لايمكن كشفها والوصول اليها الا بالتعمق فى فهم مضمون الوجود الاجتماعى للحياة الإنسانية مع وضع تفسيرات موضوعية مقنعة للظواهر الملموسه التى توجد فى كيان العالم الحى ، وأهمها يتبلور فى المعالم التالية : ـ

** العقائد الدينية التى تعتنقها شعوب العالم ـ رغم تعددها واختلاف كل منها فى تصوير الألوهية وأمور العبادات ـ تتفق جميعها على مبادئ عامة خاصة بأمور المعاملات والعلاقات سواء بين الأفراد أو بين المجتمعات البشرية التى تكون إطار الأسرة الدولية •

** مجتمعات كل الدول ـ رغم اختلاف تكوينها السياسى والاجتماعى والاقتصادى ـ جميعها تميز بالدقة والبيان الواضح بين عوامل الخير والشره

ويعلم شعب كل منها أن الاندماج في المجتمع الدولي عن طريـــق الترابط والتآخي مع الشعوب الأخرى هو الذي يحقق الغاية مــن وجوده واستمرار الحياة الانسانية •

** مايحدث في مجتمع دولة معينه سواء كان من عوامل الخيـــر أو الشر يؤثر بصفة مباشرة أو غير مباشرة في مجتمعات الدول الاخرى •

** الشعوب هي التي تحرك أوضاع المجتمع الدولي • وهي التـي تمارس العلاقات بكافة اشكالها سواء كانت داخلية أو دولية ـ كمـــا ان السلام الدولي يتحقق على يديها ولايكون له الدوام الا اذا خضـع لرقابتهـــا •

ونظرا لاهمية هذه الحقيقة وما تحويه من ظواهر إنسانية عديـدة في كيان المجتمع الدولي تشير بوجود قيم ومبادىء أخلاقية عليا تدرجـت منذ الازل نحو الكمال الأخلاقي بما تتناسب مع فكر ومكونات المجتمعـات البشرية في كافة ارجاء هذا العالم ـ قد رأيت ضرورة دراستها والخـوض في اعماقها لكي اتمكن من الوصول الى الأسس والغايات التي تقوم عليهـــا واجيب على اسئلة العقل المعقدة عن الكيفية التي تفاعلت فيهـــا جميع الشعوب في رباط الإنسانية الواحدة باجابات موضوعية مقنعـــة تحدد هذه المعالم على نحو موصول منذ بداية الحياة الانسانيـــة ـ حيث نرى من منطق الملاحظة والتجربة والاستقرار ان جميع شعــــوب

العالم تعتنق قيم ومبادئ عامه أخلاقية وتتفق عليها من أجل أن تستقيم حياتها فى المجتمع الدولى — وبانه يوجد ارتباط وتلاصق بين دائـــرة الدين ودائرة الاخلاق ، وبأن دائرة الدين اوسع وأشمل من دائــرة الأخلاق ومصدر لها .

وبذلك سأعرض هذا الموضوع من أجل أن اثبت بالادلة والبراهيـن هذه الحقيقة الازلية دون أن الجأ الى الغموض أو الابهام أو التـــواء أو الفلسفة العقيمة العمياء — بل سأخاطب العقل والعاطفة والفكـــر والأحساس بوضوح وتأمل لكى أكشف الأسس التى تقوم عليها وأفسر اهدافها وغاياتها — وأبتر ماردده أعداء الإنسانية ودعاة الحروب الذين انكـــروا وحدة الجنس البشرى بعد أن قلبوا موازين الإنسانية وحولوا بعض عوامـــل الشر الى عوامل الخير وادعوا من واقع خيالهم الأجوف وأدلتهم المزيفـــة بأن الشعوب مختلفة فى طبيعتها الانسانية وأن هناك شعب سامى عـــن الشعوب الأخرى ومن حقه أن يتسيدها — ولكى نخوض فى تفاصيل هـــذا البحث تم تقسيم خطة العرض الى ثلاثة ابواب على النحو التالى : —

الباب الأول
========= سنبين فيه أساس الفطرة الانسانية وجوانب الأخلاق مـــن خلال ثلاثة فصول — لكى نؤكد بأن طبيعة شعوب العالم واحدة — وبانها مفطورة على الخير — وأن الشر أمر عارض وطارئ عليها ويرجع الى عوامـــل خارجية وظروف تتعلق بالمجتمع — كما سنوضح بأن دائرة الأخلاق تشمل ثلاث

محاوره الأخلاق الشخصية والأخلاق الاجتماعية والأخلاق الدولية التـى يرتكز عليها فى تحقيق مبدأ الوحدة الإنسانية .

الباب الثانى

سنتناول فيه مصدر القيم والمبادئ الأخلاقية التى تكـــون إطار دائرة الأخلاق ومدى إرتباطها بدائرة الدين تاريخيا وموضوعيـــا — لكى تثبت بأن الواجبات والفضائل الحسنه والقواعد العامه التى تميز الخيـر عن الشر جميعها من عند الله سبحانه وتعالى أرسلها لعباده عن طريـــق الرسل والانبياء للهداية واتباع الحق وحسن الصواب .

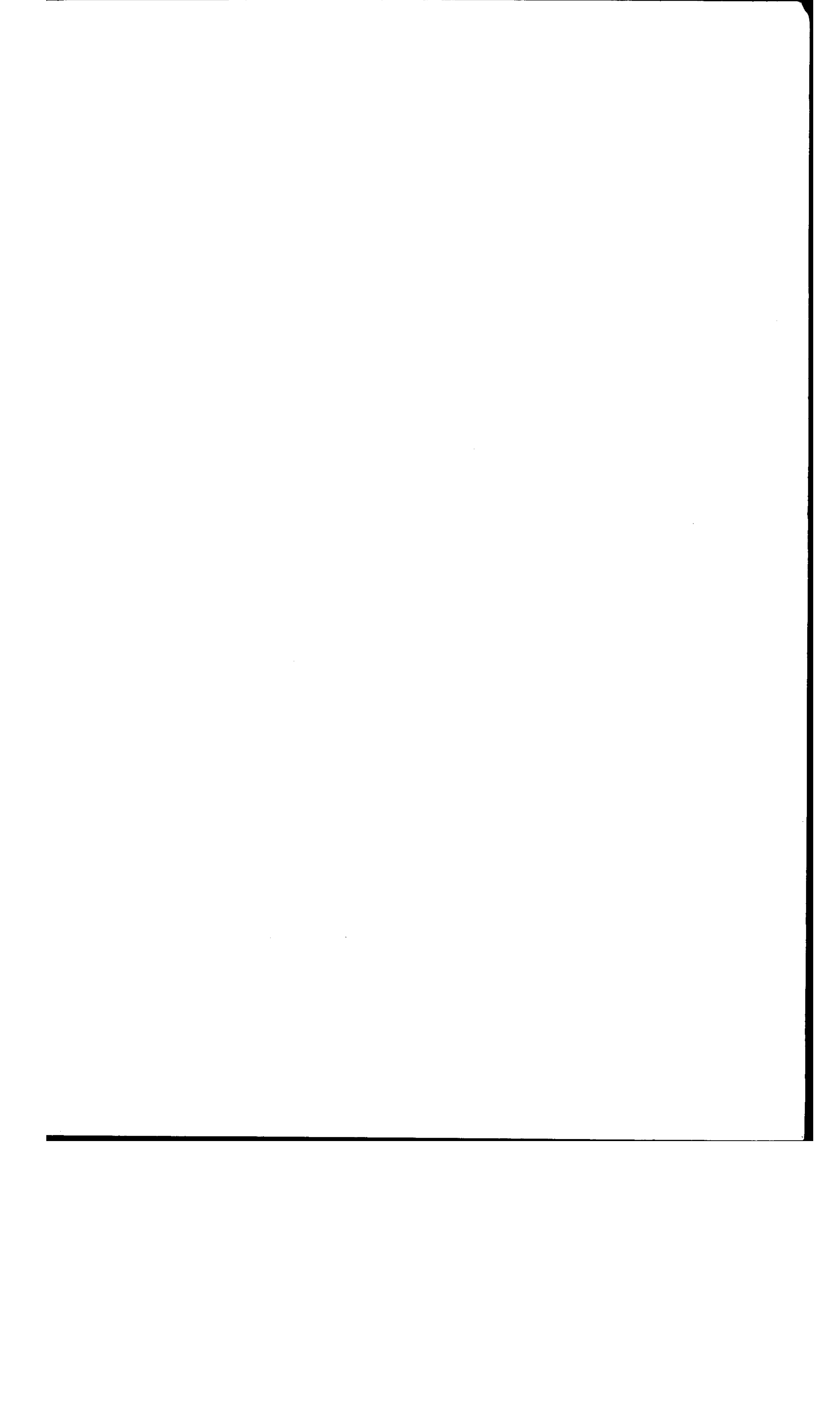
الباب الثالث

سيتضمن عرضا للخيوط والاراء الفلسفية لبعض عظماء فلسفـــة الحكمة والأخلاق على مر العصور الثلاثة — لكى نبين أن فلسفة الأخلاق التـى نبعت من عقول رجال الفكر قد أصقلت المفاهيم ورسمت طرق مختلفة لكيفيـــة تحلى البشرية بالأخلاق الفاضلة — ووضحت فى مواضيع عديده الروية الصحيحة للحياة الانسانية لكافة الشعوب داخل المجتمع الدولى .

.. ثم ننهى عرضنا بخاتمة تشير فيها الى النتائج التى أمكن التوصل اليها من خلال هذه الدراسة مع طرح روية مستقبلية لما يجب أن تكون عليه شعـوب عالم اليوم .

الباب الأول

الفطرة الإنسانية وجوانب الأخلاق



تمهيد : تعريف الأخلاق

تمثل الاخلاق الجوانب الهامة لشخصية الانسان ، وتعبر عن طاقات سلوكه في كل ما يصدر عنه من أعمال وتحكم عليها اما بالخير أوبالشر[(١)] — كما تحدد القيم والمبادئ الانسانية التي يجب أن يتحلى بها جميع البشر لكي يكون لديهم القدرة الكاملة على التمييز بين الفضيلة والرزيلة، والحق والباطل ، والعدل والظلم ،وما ينبغي أن يكون عليه سلوكهم لتحقيق الخير وتجنب الشر.[(٢)]

والاخلاق[(٣)] جمع خلق ،وتشتمل على جميع الفضائل والواجبات التي تكون اطار المثل العليا لكافة المجتمعات البشرية من أجل تحديد العمل الصالح، والاحياء المستمر للضمير الانساني ، وغرس القيم والمبادئ الحسنة

---

(١) أمانويل كانت . تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق. نشر عام١٧٨٥ ،ترجمة د. عبد الغفار مكاوى ، مراجعة د. عبدالرحمن بدوى ، القاهرة ١٩٨٠ ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ص٢٣.

(٢) أ. س. رابوبرت. مبادئ الفلسفة ، ترجمة/أحمد أمين، الناشر دار الكتاب العربي بيروت ، لبنان ١٩٦٩ ،ص ٦٥.

(٣) تناظرها في اللغات الاوربية كلمة Morale بالفرنسية، Morals بالانجليزية Moral بالالمانية Moral بالايطالية وهي مأخوذة من الكلمة اللاتينية Mores جمع Mos ، كما يوجد اسم آخر للاخلاق في اللاتينية وهو Ethica يشار اليه في الفرنسية بكلمة Ethique وفي الانجليزية Ethics وفي الالمانية Ethik وفي الايطالية Ethica — وفي اللغة العربية توجد كلمة أخرى مرادفة للا خلاق وهي الادب، وتستعمل للدلالة على المبادئ الفاضلة. (د. عبد الرحمن بدوي،الاخلاق النظرية،الطبعة الاولى ١٩٧٥م، الناشر وكالة المطبوعات بالكويت، ص ٧).

فى نفوس الشعوب وكل الاجيال المقبلة[١].

وقد عدت الاخلاق منذ بداية الحياة الانسانية من أهم المجالات الخصبة للدراسات الفلسفية حيث قام فلاسفة كل العصور بدراستها والتعمق فى مضمونها بعد أن وضعوها فى مكانة تتساوى مع المنطق وعلم الجمال، واتفقوا جميعا بأن موضوعها هو قيمة الخير، وبأنهاعلم عقلى يدرس ما ينبغى أن يكون لصلاحية الحياة الانسانية مثل ما عبر عنه الفيلسوف اليونانى أفلاطون بأن (العالم يقوم على دعائم من العدالة والفضيلة والمحبة وبناء الافكار الجميلة وبأن الجمال هو الخير، واذا استمتعت الشعوب بحياة مليئة بالجمال فانها ستكون منظمة فى موكب هذا الكون وتنتصر دائما على الشر)[٢]

وعلى الرغم من اعتراف جميع الفلاسفة والعلماء بأن علم الاخلاق يعتبر من أهم العلوم الانسانية[٣] الا أنه قد صعب عليهم أن يضعوا له تعريفا كاملا ومحددا يجمع كل ما ينطوى تحته من مسائل وموضوعات ـ وأن ذلك يرجع للاسباب الاتية :

* ان هذا العلم واسع النطاق ،حيث يتضمن أهم أعمال الانسان ومدى انطباعاته ، وحدود علاقاته الكاملة مع الاخرين.
* مجاله يشمل كل القيم والمبادىء التى تعبر عن حكمة وجود الحياة الانسانية واستمرارها.
* التطور التاريخى للمفاهيم وطوابع الفكر الانسانى قد جعل دائرة هذا العلم تتسع كما وكيفا على مر العصور وفى كل المجتمعات.

---

(١) رالف ب. وين، قاموس جون ديوى للتربية ، نيويورك ١٩٥٩.
ترجمة وتقديم الدكتور محمد على العريان ـ تصدير عبدالعزيز سلامة ١٩٦٤، مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ص ٤٢٠.

(٢) د. هنرى توماس ،أعلام الفلاسفة، نيويورك ،١٩٦٢.
ترجمة مترى أمين، مراجعة وتقديم الدكتور زكى نجيب محمود،القاهرة ١٩٦٤، دار النهضة العربية ، ص ١٠٧.

(٣) د.ابراهيم ابو الغار . دراسات فى علم الاجتماع القانونى ـ ١٩٧٨م دار المعارف بالقاهرة ص ٤١.

× ارتباطه بكافة العقائد الدينية التى عرفتها جميع الشعوب منذ ظهور الحياة الانسانية جعله يتدرج نحو الكمال على أسس ذات معنى دينى اختلف فى تحديدها نتيجة اختلاف العقائد الدينية فى تصوير الالوهية وأمور العبادات. (١)

ومن أجل ذلك تنوعت تعريفات هذا العلم وتعددت تحديداته. (٢)

---

(١) د. محمد بيصار ، العقيدة والاخلاق وأثرها فى حياة الفرد والمجتمع الطبعة الثانية ١٩٧٢م ،القاهرة ،مكتبة الانجلو المصرية، ص١٩٥.

(٢) من تعريفات العلماء العديدة لعلم الاخلاق نورد منها مايلى:

الاخلاق : هى(علم العادات التى تعبر عن كل الاعمال التى اعتاد الافراد ممارستها) ، وقد وجه نقد لهذا التعريف على أساس أنه يشمل كل اعمال الانسان الارادية والغير ارادية فى حين علم الاخلاق يقتصر فقط على أعمال الانسان الارادية (د. محمد بيصار، العقيدة والاخلاق ،المرجع السابق ، ص ١٩٦)

الاخلاق : هى(عادة الارادة التى يتم فيها تغلب عالم من قوى النفس على غيره) ـ وقد وجه نقد لهذا التعريف على أساس أنه يشمل كل عمل يصدر عن طريق الارادة دون النظر عما اذا كانت ارادة حرة اومقيدة فى حين علم الاخلاق يقتصر فقط على الاعمال التى تصدر بالارادة الحرة (محمد الغزالى، عقيدة المسلم ـ الطبعة الرابعة ١٩٨٤، دار الكتب الاسلامية، القاهرة، ص ١٦٢)

الاخلاق : (علم الخير والشر حيث يحدد الاعمال الخيرة التى يجب اتباعها والاعمال الشريرة التى يجب اجتنابها)ـ وقد وجه لهذا التعريف نقد على أساس أنه يضيق من دائرة اختصاص هذا العلم فى حين أن هناك موضوعات أخرى تدخل فى اطاره مثل القيم والمبادئ الانسانية التى يحددها لاحياء الضمير الانسانى ودفع الخلق نحو الكمال (د. ابو بكر محمد ذكرى. تيسير فلسفة الاخلاق. الطبعة الاولى ـ ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨م . دار التأليف بالقاهرة، ص ٨٩).

=

....

= الاخلاق : (علم الانسان) وهو تعريف الفيلسوف الفرنسى(باسكـــال) وعلى الرغم من أن هذا التعريف قد وسع من دائرة علم الاخـــلاق حيث شمل كل ما يتعلق بالانسان من العلوم والمعارف التى تـدور حوله وتتخذه موضوعا ــ مثل الطب وعلم النفس والمنطق والتاريخ ــ واعتبر الاخلاق هى المحرك لها ــ الاأنه قد وجه له نقد مـــــن جانب بعض العلماء على أساس انه تعريف غير محدد لمضمون علــم الاخلاق على الوجه الدقيق (د٠ بارودى ٠ المشكلة الاخلاقية والفكـر المعاصر٠ ترجمة د٠ محمد غلاب، مراجعة د٠ ابراهيم بيومى ١٩٥٨ مكتبة الانجلو المصرية، ص ٤٦)٠

الاخلاق : (علم يحدد الفرق بين الظلم والعدل ، فالاخلاق الفاضلة ينبع منها العدل ،والاخلاق الفاسدة ينبعث منها الظلم) وهـــــو تعريف الفيلسوف الاغريقى(أفلاطون)ــ وقد وجه له نقد على اساس أن العدل وان كان أسمى القيم الاخلاقية الا أن دائرة الاخلاق أوســـع وأشمل من ذلك، حيث تتضمن مبادئ وقيما أخلاقية أخرى عديــــدة مثل التعاون والمحبة والاحسان والسخاء والعفةوالشجاعة(جمهوريـــة أفلاطون ، الكتاب الرابع ، ترجمة د٠ فؤاد زكريا٠ مراجعة عن الاصل اليونانى د٠ محمد سليم سالم٠ دار الكتاب العربى للطباعة والنشـر ، ص ١٥٤)٠

الاخلاق : (علم يوضح ويبين ما على الانسان من واجبات يجـب أن يقوم بها فى تعامله مع الاخرين وما له من حقوق يجب أن يحصل عليها او تتحقق له من جانب الاخرين)ــ وقد وجه لهذا التعريـــف نقد على أساس أنه اقتصر على بيان الحقوق والواجباتوأهمـل الجوانب الاخرى لعلم الاخلاق ومنها تقييم أعمال الانسان التى على ضوئهـــا يتم تحديد عوامل الخير والشر٠

الاخلاق : (علم يعبر عن حال النفس التى بها يفعل الانـــــسان أفعاله) ــ وقد وجه لهذا التعريف نقد من جانب بعض العلمـــاء الذين يعتبرون دائرة الاخلاق تتضمن موضوعات أخرى بجانب الضمير والسلوك ــ ومنها المبادئ والقيم الاخلاقية ، والاسس التى تحـــدد=

....

= استقامة السلوك الانسانى(الامام محيى الدين بن‌عربى الحاتمى الطائى. تهذيب الاخلاق. طبع سنة١٣٣٢ هجرية وأعيد طبعه ومراجعته/ عبد الرحمن حسن محمود عام ١٩٨٦م ، القاهرة، مكتبة عالم الفكر ص ١٢).

الاخلاق : (علم يحدد كل مايصدر عن الانسان من سلوك) وهو تعريف العالم الفرنسى (لوسن) (١٨٨٢ــ١٩٥٤م) الا أنه قد وجه له نقد لاهماله الجانب الاخر لعلم الاخلاق وهو الضمير بالاضافة الى الموضوعات الاخرى التى تدخل فى دائرته.

Réné Lesenne, Traite de morate générale, printed en Paris, 1947, p. 22.

الاخلاق : هى (العلم الباحث فى استعمال الواجب لحرية الانسان ابتغاء بلوغه غايته النهائية) وهو تعريف العالم الفرنسى"جوليفيه " وقد تعرض لهجوم شديد من جانب معظم العلماء على أساس أنه يحيط به الغموض وبأن‌حرية الانسان ليست هى المعبر الواضح عن القيم والمبادىء الاخلاقية.

R. Jolivet, Traite de Philosophie, IV: Morale, Paris, 1966, p. 14.

الاخلاق : (علم يحدد طريقة معينة للنظر الى مجهود التعبير عن الانسان فى العالم) وهو تعريف العالم" جورج جوسدورف" وقد وجه له نقد عنيف من جانب بعض العلماء حيث اعتبروه تعريفا ذا طابع وجودى النزعة يفترض أن أفعال الانسان هى التى تحقق وجوده وتعبر عنه فى هذا العالم فى حين أن القيم والمبادىء الاخلاقية التى تتحلى بها نفس الانسان هى أساس وجوده فى الحياة الانسانية .

G. Gusdorf, Traite de l'existence morale, Paris, 1953, p. 47.

الاخلاق : (علم مرشد لقواعد السلوك الانسانى التى يحددها لكى يمكن للانسان أن يبلغ غايته) وهو تعريف العالم الفرنسى" فوليكيه" وقد وجه له نقد رغم أنه قد أوضح أن هنالك قواعد كلية محددة خاصة بالسلوك الإنسانى تصلح لجميع البشر فى كل زمان ومكان وذلك بسبب اهماله جانب الضمير والموضوعات الاخرى التى تدخل فى دائرة

الا أنه رغم اختلاف آراء العلماء فى تحديد مفهومه ونطاقه الكامل فيما يشمله من موضوعات.توجد سمات خاصة ومحددة توضح مضمون دائرته وتتعلق بالأمور الاتية :

× أنه يتضمن قيما ومبادئ عامة محددة لاستقامة السلوك الانسانى تصلح لكافة البشر دون اعتبار للزمان والمكان .

× الاخلاق ليست علما وصفيا بل معياريا يضع المبادئ والقيم الصالحة التى ينبغى مراعاتها لتقاس بها الافعال الانسانية،والحكم عليها اما بالخير أو بالشر .

× أفعال الانسان التى يرتكبها بارادته الحرة هى وحدها التى تندرج تحت نظام الاحكام الاخلاقية.

× الاطار العام لعلم الاخلاق يقصد به العلم الخاص بكافة البشر ومحيط علاقاتهم أيا كان جنسهم أو موطنهم أوعقيدتهم .

× الاخلاق علم موثر فى حياة كل انسان ويتحرك معه فى جميع العلوم الاخرى التى تتصل به .

× علم الاخلاق يرتكز على جانبين نظرى (الضمير) وعملى(السلوك) لانه من العلوم التى تضم النظرية والتطبيق معا.

ومن أفضل التعريفات التى نراها تقترب من جميع هذه التحديدات لعلم الاخلاق هو التعريف الذى قرره العالم الاسلامى الدكتور/ محمد بيصار بأن (علم الاخلاق يتضمن العلم بالفضائل وكيفية اقتنائها ليتحلى بها الانسان، والعلم بالرذائل وكيفية توقيها ليتخلى عنها، والالمام بقواعد السلوك الانسانى ، وبالقياس الذى تقاس به الأعمال الارادية فيحكم عليها بأنها خير أو شر، مع تحديد الجزاء لكل منها) [(١)] وذلك لان هذا التعريف قد تضمن مفهوما متسعا لعلم الاخلاق ، واشتمل على معظم الموضوعات التى تدخل فى دائرة اختصاصاته.

= هذا العلم(د. عبد الرحمن بدوى ، الاخلاق النظرية ١٩٧٥ ، مرجع سابق ، ص ٩ ، ١٠).

(١) د. محمد بيصار، العقيدة والاخلاق ، مرجع سابق ص ١٩٨.

واذا كان الهدف الاساسى من علم الاخلاق الذى جعل الفلاسفة والعلماء والباحثون يتأثرون به هو تحقيق السعادة النفسية وراحة الضمير والطمأنينة القلبية للانسان ، وتهيئة الامن والعدالة له ليتجنب الظلم وأعمال الشر حتى لا تتعكر حياته وحياة الاخرين فى صراع وتشاؤم ــ فان هذا الهدف ينطبق على جميع شعوب المجتمع الدولى بحيث توجد أخلاق دولية تكونت من مجموع أخلاق كافة مجتمعات الدولة التى تأسست من مضمون الاخلاق الشخصية للانسان ــ وأن الاخلاق الدولية تدخل فى نطاق دائرة علم الاخلاق ، وتتضمن قيما ومبادىء عامة تتفق عليها وتعتنقها كافة شعوب المجتمع العالمي ، كما تحدد الاطار العام للسلوك الدولى.

من بين الموضوعات الاخلاقية الهامة التى اجتهد علماء الاخلاق وفلاسفة كل عصر فى وضع حلول تفسيرية لها لبيان أساسها ، وخصصوا أفكارهم للبحث فيها ــ الموضوعات الاتية :

* أصل الشعور الاخلاقى لكافة البشر (جميع شعوب العالم) ــ والعوامل التى تؤدى الى تغيره .
* الباعث الباطنى الذى يحمل كل البشر على اطاعة ما يمليه عليهم شعورهم الاخلاقى والذى يشكل السلوك الانسانى بوجه خاص.
* أساس الوفاق والتفاهم الذى يربط شعوب كل دول العالم على مبدأ وحدة الجنس البشرى ، ويجعل الحياة الدولية ذات طبيعة انسانية تسير تجاه محبة لانهائية قائمة على الايمان والاخاء والمحبة بين جميع شعوب المجتمع الدولى .

سنطرح هذه الموضوعات بالتفصيل لبيان أساسها الحقيقى مع عرض أهم الاتجاهات الفلسفية والاراء الفكرية المختلفة التى تعرضت لها ، وذلك على النحو التالى :

الفصل الاول :

نعرض فيه أساس الفطرة الانسانية من حيث الخير والشر ، مع توضيح العوامل التى تؤدى الى تحويل الانسان عن أصل طبيعته الانسانية التى فطر عليها .

الفصل الثاني :

نبين فيه مضمون الاخلاق النظرى والعلمى ، وهما الضمير والسلوك اللذان يشكلان جوانب الكمال الذاتي للانسان والاساس المحرك لشعوره الاخلاقى فى عوامل الخير والشر .

الفصل الثالث :

نوضح فيه الاطار العام لدائرة الاخلاق التى تشمل الاخلاق الشخصية الممثلة فى علاقة الانسان مع نفسه ، وما يجب أن يتحلى به من قيم ومبادىء أخلاقية ـ والاخلاق الاجتماعية التى تتشكل من علاقة الانسان مع الاخرين داخل المجتمع الذى يعيش ويندمج فيه ـ والاخلاق الدولية التى يرتكز عليها فى تحقيق مبدأ الوحدة الانسانية للمجتمع الدولى ، وتتكون من قيم ومبادىء تتفق عليها وتعتنقها كافة شعوب العالم .

الفصل الأول

الفطرة الإنسانية

الفطرة الانسانية هى الطبيعة الانسانية (human nature) التى فطرت عليها جميع شعوب العالم عند ولادتهم [١] ـ وقد اختلف العلماء والباحثون فى علم الاخلاق ،وتباينت آراءهم حول الفطرة الانسانية وتحديد نسبتها الى كل من الخير والشر [٢] (good and evil) وتكونت من خلال ذلك أربعة مذاهب مختلفة ، اجتمع حول كل مذهب وأيده مجموعة من الفلاسفة والعلماء والباحثين فى علم الاخلاق على النحو الاتى:

المذهب الاول : الفطرة الخيرة :

يقول أصحاب هذا المذهب ـ ان طبيعة جميع شعوب المجتمع الدولى قد فطرت على الخير ،وأن الشر ما هو الا عامل طارىء على الفطرة الانسانية لكل البشر.

ومن المؤسسين الاوائل لهذا المذهب فلاسفة الشرق القديم ـ مثل اخناتون فى مصر، وكونفوشيوس فى الصين،وبوذا فى الهند [٣] ، وزاردشت فى بلاد فارس ،وبعض فلاسفة الاغريق ـ مثل انصار المدرسة الرواقية (Stoics) والفيلسوف اليونانى سقراط (Socrates) (٤٦٩ـ ٣٩٩ ق.م) الذى قال (ان كل انسان يحمل الحقائق الأخلاقية فى نفسه منذ ولادته ، وهو ليس فى حاجة الى أن يتلقاها من الخارج ، بل

---

(١) رالف ب . وين، قاموس جون ديوى للتربية .
مرجع سابق ، ص ١٣٨، ١٣٩.

(٢) د.محمد بيصار ، العقيدة والاخلاق ، مرجع سابق ، ص ٢٠٠

(3) Masahru Aneski, History of Japanese Religion, with Special Reference to the Social and Moral Life of the Nation, Charles E. Tuttle Company, Tokyo, Japan, U.N. University, 1980, p. 14.

يكفى أن يتأمل فى طبيعته الإنسانية ليكتشفها كامنة فيه) [١] ــ وقد أيد هذا المذهب وناصره بعض علماء الاديان السماوية الثلاثة المعروفة فى عالم اليوم [٢] . وهى اليهودية والمسيحية والاسلام ـ وجانب من فلاسفة العصور الوسطى مثل القديس توما الاكوينى (١٢٢٧ ــ ١٢٧٤م) وبعض فلاسفة العصور الحديثة مثل جان جاك روسو (١٧١٢ ــ ١٧٧٨م) ووليام جيمس (١٨٤٢ ــ ١٩١٠م) ، وجورج سانتيانا (١٨٦٣ ــ ١٩٥٢م) ــ حيث أجمعوا فى منهجهم الفلسفى على ان العالم جسد واحد وروح واحدة، وبأن الحياة الإنسانية قائمة على التوافق والعدالة والرحمة والمحبة، وان جميع البشر ولدوا أحرارا وطبيعتهم مفطورة على الخير، والشر عامل طارىء وخارج عن أصل فطرتهم ــ اقترفه البعض نتيجة تأثرهم بالبيئة الغير طبيعية أوالاختلاط والتربية الفاسدة [٣] .

الا أن كثيرا من العلماء والفلاسفة قد وجهوا نقدا شديدا لهذاالمذهب ورفضوه على أساس انه يترتب عليه مخالفة الكثير من المسلمات العقلية والاوضاع العادية، ومن بين هؤلاء العلماء الذينهاجموا هذا المذهب الطبيب الرومانى الفيلسوف جالينوس البرغامى الذى كان يعمل طبيبا خاصا للامبراطور مارك أوريل فى القرن الثانى الميلادى [٤] حيث أشار بالآتى :

١ ــ اذا كان كل الناس قد فطرت طبيعتهم على الخير، أى أن كل البشر اخيار بالطبع ، وأنبعضهم قد انتقل الى الشر بالمعاشرة، أوبتأثير البيئة أو بعوامل التربية الفاسدة ــ أى انتقل بعض الاخيار الى

(١) امانويل كانت ، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، مرجع سابق، ص ٣٣ .

(٢) د٠بارودى ، المشكلة الاخلاقية والفكر المعاصر، مرجع سابق، ص٤٩

(٣) د٠ هنرى توماس ، اعلام الفلاسفة ٠
مرجع سابق ص ١٨٣ ، ٢٥١ ، ٣٦٨ ، ٣٨٣ .

(٤) اندريه ايمارد، جانين اوبوابيه ، تاريخ الحضارات العام ، روما وامبراطوريتها ، الجزء الثانى ، باريس ٠
ترجمة يوسف اسعد داغر، وفريدم ٠داغر٠ الطبعة الاولى ١٩٦٤ .
بيروت ، لبنان. منشورات عويدات ، ص ٤٩٢ ، ٤٧٥ .

الشر بالتعليم والتلقين – فمن الذى علمهم أو لقنهم – فاذا كان غيرهم هو الذى علمهم ولقنهم فهو شرير بطبعه ، وبالتالى ليس كل الناس طبيعتهم مفطورة على الخير وانما بعضهم فطر على الشر

٢ – واذا كان بعض الناس قد تعلموا الشر من أنفسهم – فان ذلك يدل على ان فيهم ميل الى الشر بالطبع ،وان كان فيهم مع هذا الميل ميل آخر الى الخير، ولكن الشر تكون له الغلبة فى ميلهم – وذلك يؤكد أيضا على أن طبيعتهم ليست مفطورة على الخير بالكامل بل لديهم ميول الى الشر بالطبع – وبالتالى لاتكون طبيعة كل البشر قد فطرت على الخير.[١]

المذهب الثاني : الفطرة الشريرة :

وهو مذهب يختلف تماما عن اتجاه المذهب الأول – ويقول أصحابه ان طبيعة جميع شعوب العالم – قد فطرت على الشر، وانه يمكن تحويلهم الى الخير – عن طريق التعليم والتلقين ، أو التأديب والتهذيب ، أوبعوامل البيئة أوالاندماج.

ومن المؤسسين لهذا المذهب الفيلسوف المصرى القديم أفلوطين الذى عاش فى القرن الثالث الميلادى وكان ذا شخصية قوية ومحبوبة، وفلسفته أن سبب وجود العالم هو الله الواحد[٢] كما سبق أن عبر عن اراء هذا المذهب الفيلسوف المصرى المتشائم أبوور الذى ظهر حوالى سنة ألف وستمائة قبل الميلاد حيث قال (الى من اتحدث اليوم؟ الاخوة الاشرار ، يخدع بعضهم بعضا – الى من أتحدث اليوم ؟ قلوب جشعة، كل امرىء يغتال متاع جاره – الى من أتحدث اليوم ؟ .. لقد اختفى الرجل الشريف من الوجود ، بينما يعيش الباغى المتعجرف فائزا مظفرا – الى

---

(١) د. محمد بيصار، العقيدة والاخلاق ،وأثرها فى حياة الفرد والمجتمع ١٩٧٢ ، مرجع سابق ، ص ٢٠٠.

(٢) - شارل فرنر ، الفلسفة اليونانية ،ترجمة تيسير شيخ الارض ، الطبعة الاولى ١٩٦٨ ، دار الانوار ، بيروت ، لبنان، ص ٢٣٤ومابعدها
- الدكتورمحمد بيصار. الفلسفة اليونانية ،الطبعة الاولى(غيرمحدد سنة الطبع) جمعه السيد محمد بن على السنوسى لبيبا. ص ١٥٦.

من أتحدث اليوم ؟.. ففى الوقت الذى يجب فيه أن يثير سلوك المرء سخطا نراه يبعث السرور أيضا، وفى الوقت الذى يستحق فيه السارق الجلد بالسوط ،نراه يكافأ بالثروة والشهرة) (١).

وقد انتهج هذا المبدأ من فلاسفة العصور الحديثة آرثر شوبنهاور الذى ولد عام ١٧٨٨م ، وتوفى عام ١٨٦٠م حيث قال (ان ارادة الحياة ليست خيرا بل هى شر، وان أكبر نكبة ضرب بها العالم هى ارادة الحياة- انها ارادة عمياء لا ترجى منها فائدة فحياتنا البشرية - والحياة كلها - شئ لا قيمة له) (٢)

وقد أشار بعض المؤيدين لهذا المذهب من العلماء والفلاسفة المعاصرين بأن الناس ، وان كانوا جميعا طبيعتهم قد فطرت على الشر - الا أن بعضهم قد تمكن الشر فيهم ، ووصل الى أقصى درجاته ، الامر الذى يجعل من المحال أن ينفع فيهم تعليم أو تلقين ، ولايفيدهم أى عوامل تهذيب أوتأنيب من أجل أن ينتقلوا الى الخير - أما الاخرون فيمكن أن ينتقلوا من الشر الذى فطروا عليه الى الخير بعوامل التربية والتأديب والتهذيب (٣).

وقد وجه لهذا المذهب نقد شديد من جانب بعض العلماء، وخاصة أنصار المذهب الاول - كما ناقش جالينوس هذا المذهب وعارضه أيضا كما عارض المذهب الاول - حيث قرر بأنه لو كان الناس طبيعتهم جميعا قد فطرت على الشر - أى أن الناس جميعا أشرار بالطبع - فاذا انتقل بعضهم الى الخير عن طريق التعليم والتلقين أو التأديب والتهذيب - فان الذى علمهم

---

(١) أندريه ايمارد، جانين اوبوايه ، تاريخ الحضارات العام، الشرق واليونان القديمة، الجزء الاول ، باريس .
ترجمة فريد م. داغر، وفؤاد ابوريحان الطبعة الاولى ١٩٦٤ - بيروت ، لبنان،منشورات عويدات ، ص ٥٢٠

(٢) د. هنرى توماس ، اعلام الفلاسفة ، مرجع سابق ص ٢٩١.

(٣) د. بارودى ، المشكلة الاخلاقية والفكر المعاصر، مرجع سابق، ص ٥٠

أو أدبهم أوهذبهم – لابد أن يكون انسانا طبيعته مفطورة على الخيـــــر – وبالتالى لايكون كل الناس اشرارا بالطبع – بل ان بعضهم قد فطـــــرت طبيعتهم على الخير (١) .

بعض علماء الاديان السماوية قد هاجم هذا المذهب هجوما شديـــدا على أساس أنه يخالف الطبيعة الإنسانية ذاتها – لان الانسان لم يخلـــق ليشعل نار الحقد والكراهية، ويعيش على الرذيلة أوالاخلاق القبيحة، بل خلق من أجل أن يعمر الارض وينشر السلام والمحبة، وان من اسم الانسان اشتقت كلمة الإنسانية، والإنسانية مضمونها الأخلاق الفاضلة – كما أن الأخـــلاق تنمو بتفاعل من الداخل ،وليس بالتلقين عن طريق الاذاعة والشعـــارات والملصقات ، لانها اقتناع داخلى ، و ارتباط وجدانى فطرى. (٢)

المذهب الثالث : انعدام الفطرة :

وهو مذهب انفرد به الفيلسوف الالمانى "امانويل كانت" الذى ولد عـام ١٧٢٤م وتوفى عام ١٨٠٤م – حيث قرر – بأن الانسان عند ولادته لاتعرف حقيقة فطرته اذا كانـت خيرا أو شرا، ولايمكن أن تنسب طباعه الى واحد منها – لانه فى ذلك الوقت طفل صغير لايدرك ما يفعله، ولايعى لمـــا يصدر عنه من تصرفات،وانما يستمر حاله على ذلك حتى يصل الى سن معيـن يكتمل فيه نموه العقلى ويدرك كل جوانب الخير والشر فتظهر ميوله واضحة، فاما أن يجنح الى الرذيلة وارتكاب الفواحش ،والآثام فيكون شريرا– وامـــا أن يجنح الى الفضيلة ويجتنب الرذائل فيكون خيرا – ولعل ذلك على أســـاس ان الإنسان ينتمى الى عالم الشئ فى ذاته ، وتكون لديه ارادة حرة عندمـا يكتمـــل نموه وادراكه ،وأن الأخلاق بالنسبة له تتحدد طبقا لارادتـــه

---

(١) د. محمد بيصار، العقيدة والاخلاق وأثرها فى حياة الفرد والمجتمع ١٩٧٢ ، مرجع سابق ص ٢٠٢.

(٢) د. مصطفى محمود، الماركسية والاسلام ، ١٩٨٣، الناشـر دار المعارف بالقاهرة، ص ٨.

فاذا كان هذا الانسان خيرا فان الفاعل هو ارادته التى تعد وحدها الخيرة بلا قيد ولا شرط ،وبالتالى يتحدد طبعه عندما يدرك ويخضع افعاله لمبادىء ومسلمات ثابتة.(١)

وقد عارض بعض الفلاسفة وعلماء الأخلاق مذهب (كانت) على أساس أنه أنكر طبيعة الانسان التى فطر عليها عند ولادته، واعتبرها غير صالحة فى تحديد جوانب الخير والشر، واعتمد فقط فى تأسيس مذهبه الفلسفى على عقل الانسان بعد ادراكه عندما يبلغ سن معين(٢) - وان - انكاره لدور الفطرة وتحديد نسبتها الى كل من الخير والشر، يؤدى الى عدم اعترافه بطبيعة الانسان ذاته التى يرتكز عليها فى تأسيس علم الاخلاق قبل أن يلمح التعقلية الكاملة لعوامل الخير والشر(٣) .

ويقول برتراند رسل [ان الارادة التى يعتمد عليها (كانت) فى فلسفته للاخلاق ليست وحدها الخيرة بلا قيد ولا شرط - بل لابد أن يحرص الانسان على المعرفة والفهم الى جانب الارادة الخيرة، لان الانسان الجاهل قد يفعل أمورا سيئة كثيرة بنية طيبة وارادة خيرة - و بالتالى لن يكون من الممكن محاسبته أخلاقيا . ان اتبعنا المبدأ الذى ينادى به (كانت) وهو الارادة فقط ، وانما من الضرورى عمل حساب للعلم والمعرفة التى جعلها سقراط مرادفة للفضيلة أو للاخلاق الحسنة](٤) . هذا بالاضافة الى أن "كانت" لم يوضح كيف يدرك الانسان بعقله عوامل الخير والشر- أى كيف يعرف أن هذا العمل خير ،وأن ذلك الفعل شر - وبالتالى فانه اذا أنكر فطرة الانسان ، فانه أيضا لم يحدد بوضوح عوامل ادراكه لجوانب الخير والشر.

---

(١) اما نويل كانت ، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، مرجع سابق ص ١٧

(٢) د. ابوبكر محمد ذكرى ، تيسير فلسفة الاخلاق ١٩٦٧-١٩٦٨، مرجع سابق ص ٤٥.

(٣) د. بارودى ، المشكلة الاخلاقية والفكر المعاصر، مرجع سابق ص ٢٢٦

(٤) برتراند رسل ، حكمة الغرب، الجزء الثانى، الفلسفة الحديثة والمعاصرة ترجمة د. فؤاد زكريا ، صادر من المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب، ١٩٨٣، عالم المعرفة، الكويت ، ص ١٦٦.

المذهب الرابع : الفطرة المختلطة :

يقرر هذا المذهب بأن الطبيعة الانسانية لكافة شعوب العالم ليست واحدة ـ وانما بعض الناس قد طبعت فطرتهم على الخير، وبعض آخر قد طبعت فطرتهم على الشر، وبعض ثالث توسطت فطرتهم بين الخير والشر (١)

ومؤسس هذا المذهب الفيلسوف الرومانى جالينوس ، وقد أشار بأن الذين طبعت فطرتهم على الخير فهم أخيار، ولا يمكن أن يتحولوا الى أشرار لان طبيعتهم خيرة ، وأن الذين طبعت فطرتهم على الشر فهم أشرار بطبعهم ، ولا يمكن اصلاحهم وتحويلهم الى أخيار، اما البعض الثالث الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر، فان طبيعتهم مستعدة لكل منهما، وبالتالى يمكن تغير أخلاقهم من الخير الى الشر أو من الشر الى الخير تبعا لعوامل البيئة والتربية والدوافع المؤثرة.(٢)

ومن فلاسفة العصور الحديثة المؤيدين لهذا المذهب الفيلسوف فردريك ولهلم نيتشه الذى ولد فى بروسيا عام ١٨٤٤م وتوفى فى عام ١٩٠٠م حيث ميز بين ثلاث أنواع من الناس لكل منها أخلاقيته الخاصة ـ وهما السادة ، والعبيد، والابطال ، وذلك من خلال نظريته الأخلاقية، التى أوردها فى كتابه (ما وراء الخير والشر) الذى أصدره عام ١٨٨٦م ـ حيث أشار فيه بأن جميع الفضائل التى يتصف بها الانسان الخير ذو النفس الكريمة ترتبط بالاستقلال والكرم والاعتماد على النفس ، وأن هذه الصفات متوافرة فقط فى السادة النبلاء ـ أما النقائض المقابلة لهذه الصفات ، وهى الخضوع والوضاعة،والتهيب وما الى ذلك والتى تمثل الشر، توجد فقط فى طبقة العبيد لان طبيعتهم فطرت على الاستسلام الشامل للاهانة والاحتقار الذى يعد فى نظر السادة شرا ـ أما أخلاق الابطال أرقى من العبيد وتقع فيما بين الخير والشر ،وبالتالى ميز نيتشه فى منهجه الفلسفى بين الناس فجعل السادة

---

(١) محى الدين بن عربى الحاتمى الطائى، تهذيب الاخلاق، مرجع سابق ص ١٤.

(٢) د. محمد بيصار، العقيدة والاخلاق ،مرجع سابق ،ص ٢٠٣.

أخيارا ، وطبقة العبيد أشرارا ، واعتبر أخلاق الابطال تقع فيما بين الخير والشر (١) .

وعلى هذا النهج أيضا اتجه الفيلسوف الفرنسى مونتسكيو وهدم كل نظرياته السابقة التى هاجم فيها كل النظم التى تؤدى الى استعباد أو استغلال اى شعب – حيث قرر بأن استرقاق العبيد السود من افريقيا ضرورة لابد منها للقيام بالاعمال الكثيرة التى تتطلبها اقتصاديات أوربا ، وعلل شرعية ذلك من خلال آرائه الفلسفية التى أشار اليهافى مؤلفه (روح القوانين) والتى تناقض مبادئ الديمقراطية ، وحق المساواة – حيث ميز بين البشر واتخذ من اللون معيارا ومحكا للتفرقة بين الاجناس ،وادعى بأن الاجناس السمراء ليس لها نفوس خيره وانما طبيعتهم قد فطرت على الشر – وقال فى ذلك العبارة الاتية (لانستطيع ان نفهم أن الله الذى هو موجود جد حكيم قد ركب نفسا ، نفسا خيرة على الخصوص ، فى جسم أسمر تماما) (٢)

ومن علماء هذا المذهب العالم الايطالى سيزار لومبروزو (١٨٣٦ م – ١٩٠٩م) مؤسس المدرسة الوصفية لنظرية العقاب – حيث تضمنت آراؤه فى مؤلفه المعروف بعنوان (الانسان المجرم –الذى صدر فى عام١٨٧٦م) أن هنالك اشخاصا خيرين بالفطرة وشكلهم وأوصافهم تدل على أنهم أخيار ، وأن هنالك مجرمين بالفطرة وشكلهم وأوصافهم تشير بذلك –حيث يتميز كل منهم بتقاطيع وملامح معينة تختلف عن الانسان العادى ، وأن هنالك أنواعا أخرى توسطت فطرتهم بين الخير والشر تحولوا الى مجرمين نتيجة المرض وعوامل البيئة والتربية والظروف الاجتماعية التى تأثروا بها – وهم كالآتى :

١ – المجرم المجنون ، وهو مصاب بنقص وعدم اتزان عقلى .
٢ – المجرم بالصدفة وهوليس له ميل أصيل للاجرام ، ولكنه مصاب بضعف خلقى يجعله يخضع سريعا للمؤثرات الخارجية ، ويعجز عن تقدير عاقبة افعاله .

---

(١) برتراند رسل ، حكمة الغرب ، الجزء الثانى . مرجع سابق ص ٢٠٤

(٢) د.حسن شحاته سعفان ، مونتسكيو ، سلسلة قادة الفكر فى الشرق والغرب ،مكتبة نهضة مصر ،بالقاهرة (غيرمحدد تاريخ الطبع) ص ١٤٤ - ١٤٥ .

٣ ـ المجرم بالعاطفة: وهو سريع الخضوع للانفعالات العابرة والعواطف المختلفة كالحب والغضب والحقد والغيرة،واغلب جرائمه سياسية أو اعتداء على أشخاص .

٤ ـ المجرم بالعادة : وهو مصاب بضعف خلقي يجعله يعتاد على ارتكاب جرائمه نتيجة تأثره بظروف اجتماعية ـ أهمها اتصاله بالمجرمين وادمانه الخمر والبطالة، وعوامل أخرى تكسبه استعدادا اجراميا .

ويرى لمبروزو بأن المجرم بالفطرة و المجرم المجنون والمجرم بالعادة اشد خطرا على الهيئة الاجتماعية،وأن أفضل وسيلة لتجنب شرهم هوعزلهم عنها بأى صورة ما(١) .

بعض رجال الفقه الاسلامي يؤيدون هذا المذهب استنادا الى أنه ورد في صحيح البخاري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالاترجه . طعمها طيب وريحها طيب ـ والمؤمن الذى لايقرأ القرآن ويعمل به كالثمرة .. طعمها طيب ولا ريح لها ـ ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كالريحانه . ريحها طيب وطعمها مر ـ ومثل المنافق الذى لايقرأ القرآن كالحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر) (٢) ـ وأيضا استندوا بما رواه الترمذى عن ابى موسى الاشعرى ـ قال ـ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :(ان الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على مدار الارض ، فجاء منهم الاحمر ، والابيض ، والاسود، وبين ذلك والسهل ، والحزن ، والطيب، والخبيث) (٣)

الا أن جانبا كبيرا من العلماء . وخاصة انصار المذهبين الاول والثانى قد عارض هذا المذهب ، ووجهوا له نقدا شديدا على أساس أنه

---

(١) د.رءوف عبيد، مبادىء علم الاجرام ، الطبعة الثانية ١٩٧٢ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ص ٥١ ومابعدها .

(٢) محي الدين بن عربى الحاتمى الطائى، تهذيب الاخلاق، مرجع سابق ص ١٥ ، ٢٢ .

(٣) د. محمد بيصار، العقيدة والاخلاق، مرجع سابق ص ٢٠٣ .

لا يقطع بحكم واحد بالنسبة لجميع الناس ـ بل قسمهم من حيث الفطره الى ثلاثة أقسام ، فى حين أن الطبيعة الانسانية واحدة لكل البشر . وأن تقسيم الناس الى طوائف من حيث الفطرة يوءدى الى اهدار مبدأ وحدة الجنس البشرى (١) .

الرأى

نرى من خلال ما تقدم أن جميع شعوب العالم قد طبعت فطرتهم على الخير ـ لان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان من أجل ان يعمر الارض وينشر فيها السلام والمحبة ـ وأن البشر أجمعين مفطورون على الخير وكراهية الشر منذ أن أدرك آدم عليه السلام ذنبه وتاب منه، وقال هابيل لاخيه قابيل (لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لاقتلك انى أخاف الله رب العالمين) (٢) ـ ونستند فى تأييد رأينا بأن الفطرة الانسانية طبعت على الخير بالدعائم الاتية :

١ ـ أن الله سبحانه وتعالى قد كرم الانسان أفضل تكريم، وجعله فى منزلة عليا عن كافة المخلوقات مصداقا لقوله تعالى(ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) (٣) وبالتالى لايمكن أن يولد الانسان وطبيعته مفطورة على الشر، وانما لابد أن تكون مفطورة على الخير لكى يشكر ويحمد الله رب العالمين على ما حققه له من خيرات ، وما وهبه من سمع وبصر وفوءاد (٤) ، وفضله على كل المخلوقات ، وسخر له ما فى السموات والأرض ـ كماجاء فى قوله تعالى (الله الذى سخر لكم البحر لتجرى

---

(١) د. أبو بكر محمد ذكرى ، تيسير فلسفة الاخلاق، مرجع سابق ص٧٧

(٢) د.أبو بكر محمد ذكرى ،تيسير فلسفة الاخلاق، المرجع السابق ص٧٧

(٣) سورة الاسراء ، الاية ٧٠.

(٤) عبدالجواد رجب ، مع الله(نظرات فى الكون والحياة) تقديم الشيخ محمد الغزالى ، الطبعة الثانية ١٩٧٤، دار الاعتصام بالقاهرة، ص ٢١ ومابعدها.

الفلك فيها بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (١)

٢ ــ الله العزيز القادر قد فضل الانسان عن الملائكة فى استخلافه للأرض (٢) . قال تعالى: (واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة .قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لاتعلمون) (٣) ، ولا يمكن أن يستخلف الله سبحانه وتعالى الانسان فى الارض وتكون طبيعته مفطورة على الشر ــ بل لابد أن تكون قد فطرت على الخير، والله جل شأنه يعلم ما لاتعلمه الملائكة عن الانسان وقدرته فى تعمير الارض ، ونشر الاخوة و المحبة والتعاون ، ولذلك فضله عن الملائكة فى استخلافه للارض كدليل على مكانته وطبيعته الخيرة التى فطر عليها. (٤)

---

(١) سورة الجاثية ــ الاية ١٣

(٢) د.ابراهيم محمد العنانى،حقوق الانسان فى الشريعة الاسلامية(بحث تقدم فى مؤتمر الاسكندرية حول دراسات بعض النظم القانونية فى الفترة من ٩ الى ١٤ ابريل عام١٩٨٢)المطبعة العربية الحديثة، بالقاهرة،ص ١٦

(٣) سورة البقرة ــ الاية ٣٠، ٣١.

(٤) وتفسيرا لقدرة الانسان فى استخلافه للارض ، أن الله جل شأنه قد خاطب الملائكة قائلا لهم ، (انى جاعل فى الارض خليفة) أى انه خلق من آدم وذريته الذين يخلف بعضهم بعضا خلفاء له فى الأرض كما قال سبحانه وتعالى فى سورة الانعام الاية١٦٥ (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض) ، وفى سورة النحل الاية٦٢ (ويجعلكم خلفاء الارض) ..وعقب أن أخبرت الملائكة بذلك قالت على وجه الاستكشاف والاستعلام لا على وجه الأعتراض والتنقص لبنى آدم والحسد عليهم(اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) حيث كان الجن قبل آدم بالفى عام يسفكون الدماء،ويفسدون فى الأرض حتى بعث الله اليهم جندا من الملائكة فطردوهم منها وقضوا على شرهم ..(ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) أى نعبدك دائما ولا يعصيك منا أحد، وان كان المراد بخلق آدم و ذريته أن يعبدوك فها نحن لانفتر ليلا ولا نهارا عن عبادتك .. فقال سبحانه

٣ ـ سيدنا آدم عليه السلام لم يكرمه الله ويفضله على الملائكة في استخلافه للارض فقط ـ وانما أنعم عليه أيضا بشرف العلم عليهم ـ قال تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) (١) ، وقال ابن عباس ان هذه الاسماء هي التي يتعارف بها الناس (انسان ـ دابة ـ ارض ـ سهل ـ بحر ـ جبل ٠٠ الخ) ، وقيل ايضا ان الله علم آدم اسماء كل الدواب وأسماء الملائكة وأسماء ذريته (٢) ، وهذا يؤكد علو منزلة الانسان وتأمين حياته ورزقه ، واحترام شخصيته ،و عدم امتهانها أو اخضاعها لغير الله سبحانه وتعالى الذي خلقه وفضله على كل المخلوقات اكثر تفضيلا. (٣)

وبالتالي لايمكن أن يخلق وتكون طبيعته قد فطرت على الشر بل لابد أن يكون أصل فطرته قد طبعت على الخير والشر طارئ عليها، ولذا قال محمد صلى الله عليه وسلم (كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه أوينصرانه أويمجسانه) ، ولهذا نؤيد ما ذهب اليه بعض علماء الاديان والطب بأن أصل فطرة الانسان تشبه كيانه الجسماني ، على أساس أن أصل الجسم هو الصحة،والمرض عرض طارئ بسبب ما يعتري أعضاءه من فساد الغذاء أو الهواء أو نحو ذلك ،وبأن موقف الأخلاق مثل موقف الجسم ٠ وعوامل الشر مثل عوامل المرض أمر طارئ على أصل الفطرة الخيرة للانسان. (٤)

ولذلك فما ذهب اليه أفلوطين المصري ومن تبعه من العلماء والفلاسفة بأن فطرة الانسان طبعت على الشر ـ هو اتجاه خاطئ مخالف لكل الشرائع السماوية ،وكل ماجاء به الرسل والانبياء، لان الله سبحانه وتعالى

= وتعالى لهم (اني اعلم ما لاتعلمون) أي أعلم المصلحة الراجحة في خلق هؤلاء ما لاتعلمون حيث سيوجد منهم الانبياء والمرسلون والصديقون والشهداء والصالحون ٠

(١) سورة البقرة ـ آية ٣١

(٢) الامام/ أبي الفداء اسماعيل بن كثير ـ قصص الانبياء ـ الطبعة الاولى ١٩٨١ ،القاهرة ـ دار التراث العربي ص ٨ ، ٩٠

(٣) د٠ ابراهيم العناني ،حقوق الانسان في الشريعة الاسلامية، مرجع سابق ص ١٧٠

(٤) د٠ ابو بكر محمد ذكري ، تيسير فلسفة الأخلاق. مرجع سابق، ص ١٢٦٠

لو خلق كل البشر وطبيعتهم كانت مفطورة على الشر ،فان معنى ذلك أنهم سوف يدخلون جهنم عندما يحاسبون يوم القيامة فى حالة عدم تمكنهم من اكتساب عوامل الخير أثناء حياتهم ، وأن كل مولود يتوفى بعد ولادته مباشرة سيدخل جهنم ويحرم من الجنة، وهذا غير صحيح ،وبالتالى نرى أن مذهب الفطرة الشريرة الذى يقرر بأن جميع شعوب العالم طبعت فطرتهم على الشر هو مذهب غير مقبول شرعا وعقلا .

وما ذهب اليه انصار مذهب الفطرة المختلطة يشير أيضا الى اتجاه خاطئ – لان الانسانية واحدة، وجميع الناس متساوون من حيث الصفات الانسانية ، ولا فرق بين شخص وآخر من حيث اللون أو الجنس. قال تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) (١) ..وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع (يا أيها الناس ان ربكم واحد، وان أباكم واحد كلكم لادم وآدم من تراب . لافضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لابيض على أسود ولا لأسود على أبيض الابالتقوى) . وهذا ما يؤكد على وحدة أصل الانسانية، والتساوى بين جميع البشر فى جميع الصفات البشرية (٢)

ولهذا فان ما قرره الطبيب الرومانى الفيلسوف جالينوس فى تأسيس هذا المذهب يتضح منه عدم فهمه وادراكه الكامل للمعنى الصحيح للإنسانية ، ورأى كل من الفيلسوفين فردريك ولهلم نيتشه ومونتسكيو ما هو الا تعبير واضح عن مدى تمسكهما بمبدأ التفرقة العنصرية التى ازدادت حدتها فى القارة الاوروبية خلال القرنين السابع والثامن عشر، والتفرقة العنصرية من أشد الجرائم الموجهة ضد الإنسانية، ومن أهم العوامل التى تؤدى الى إهدار كل المبادئ والقيم الأخلاقية (٣)

---

(١) سورة النساء ، الاية الاولى.

(٢) الشيخ عبدالجواد رجب ، مع الله (نظرات فى الكون والحياة) مرجع سابق ص ٣٨ .

(٣) رالف ب . وين ، قاموس جون ديوى للتربية. مرجع سابق ص ٦٣

أما نظرية العالم الايطالى سيزار لومبروزو ، موءسس المدرسة الوصفية لنظرية العقاب ـ فقد هدمت من أساسها بعد أن تصدى لها مجموعة من العلماء والباحثين فى علم الاجرام و اثبتوا فشلها بعد أن أكدوا بأنه لا علاقة بين شكل الانسان والجريمة٠٠ بالاضافة الى ذلك أنجميع النظريات التى قامت بتصنيف البشر الى خير وشر من حيث الجسم وحالته،والشكل ولون البشرة قد ثبت علميا فشلها وعدم صحتها ـوأكد ذلك فريق بارز من علماء الجسم للجنس البشرى ، والمتخصصين فى علم التناسليات ـ فىإجتماع عقد فى مقر منظمة اليونسكو بمدينة باريس عاصمة فرنسا فى شهر يونيو عام ١٩٥١ م حيث اصدروا البيان التالى :

(٠٠ان الفوارق فى التركيب الجسمانى التى تميز جماعة عظمى عن جماعة أخرى ، أوشعوبا عن شعوب ، أو إنسانعن إنسان لا تؤيد بتاتا التصورات الشائعة لتفوق جنس بشرى على جنس ، أو انحطاط شعب عن شعب ، أو تميز إنسان عن إنسان آخر٠٠) (١) وبالتالى فالتركيب الجسمانى منحيث شكل الجسم أو لون البشرة لاعلاقة له بوجود فوارق بين جميع الشعوب ٠

واذا كان بعض رجال الفقه الاسلامى قد أيد المذهب المختلط للفطرة الانسانية لاستنادهم على بعض الاحاديث النبوية الشريفة، وقرروا بأن الذين فطروا على حب الخير قلوبهم طاهرة ونفسهم صافية ، وأن هذا الصنف من الناس هم المصطفين الاخيار ـوأن الذين فطروا على الشر وسيطر عليهم الشيطان وأغراهم بالشرور والاثام هم الصنف الثانى من الناس الاشقياء الاشرار الذين تبلدت حواسهم وختم الله على قلوبهم فقست حتى صارت كالحجارة أو أشد قسوة ، وأصبحوا لايحديهم وعظ ولاينفع فيهم نصح ولايسترشدون بتوجيه ، ولايستفيدون من الدروس والعبر، وأن الصنف الثالث الذين تأرجحت فطرتهم بين الخير والشر، فان منازلهم من الخير والشر متفاوتة،

---

(١) اوتو كلينيبرج ، البعد الانسانى فى العلاقات الدولية٠
ترجمة لجنة من المتخصصين ، مراجعة طه عبد الرءوف سعد ، الناشر مكتبة الوعى العربى ،القاهرة، ص ٣٨٠

وعلى قدر ما يرتكبون يوفى لهم جزاؤهم من الله، وانه يمكن اصلاحهم وارشادهم الى الخير والبعد عن الرذيلة ـ فاننا نرى أن كل ما أستند اليه هؤلاء الفقهاء المسلمون هو خاص بالانسان البالغ الذى اكتمل سن الادراك وليس بالمولود ،وبالتالي يعتبر رأيهم قريب الشبه بما ذهب اليه الفيلسوف الالمانى(كانت) .

وبذلك فالانسان خلق وهو يتحلى بفطرة الخير، ولد وهو يحمل فى كيانه وفؤاده الأخلاق الفاضلة ، أخلاقا غيرملوثة يعزز بها كماله[(١)] ، وتصديقا لذلك قال تعالى: (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم..)[(٢)] ، وهذا خير دليل على ان الانسان خلق فى أحسن تقويم أى لابد أن تكون فطرته قد طبعت على الخير وليس الشر[(٣)] .

واذا كان رأينا يتفق مع أنصار المذهب الاول من حيث المضمون ـ بأن جميع شعوب العالم طبيعتهم قد فطرت على الحير، الا أننا لا نقر بما أجمعوا عليه بأن الاسباب الأساسية لتحول الانسان الخير بطبعه الى الشر ترجع فقط الى معاشرته للاشرار أواختلاطه بهم أو بتأثره بعوامل التربية أو البيئة أو غير ذلك وإنما نرى أن هناك أسبابا وعوامل أساسية أخرى ذات أهمية تؤدى الى حدوث ذلك ، وهى ان كانت تتعلق بالإنسان والمجتمع الداخلى الذى يعيش فيه الا أنها قد تؤثر تأثيرا فعالا ولو بصورة غير مباشرة على المجتمع الدولى[(٤)] وعلى مستوى العلاقات الدولية التى

---

(1) Jeon C. Flugel, Man-Morals and Society, A Psyco Analytical Study, Amac cop, London, 1945, p. 9.

(٢) سورة التين آية ٤.

(٣) الشيخ عبدالجواد رجب ، مع الله(نظرات فى الكون والحياة)مرجع سابق ، ص ٧٧ ومابعدها.

(٤) ارسطوطاليس علم الاخلاق الى نيقوماخوس ـ ترجمة من اليونانية الى الفرنسية وصدره بمقدمة بارتلى سانتهلير استاذ الفلسفة اليونانية فى الكولج دى فرانس ثم وزير الخارجية الفرنسية ـ ونقله الى العربية أحمد لطفى السيد، الجزء الثانى طبعة١٩٢٤م دارالكتب المصرية بالقاهرة ص ٨٨.

تعارس بين اعضائه، على أساس أن جميع شعوب العالم ترتبط بالوحدة الانسانية وتتفاعل معها[١].

وان هذه الشعوب لديها الدراية الكاملة بكل عوامل الخير، وأساليب وطرق ارتكاب الشر أوالرذيلة، وان كل أمة أو دولة لا تستطيع أن تعيش منعزلة عن باقى أعضاء الاسرة الدولية ــ وانما ترتبط وتندمج معها فى كل أحداث الخير والشر على مفاهيم ومبادىء وأسس واحدة من منطلق الطابع الانسانى للمجتمع الدولى.[٢]

ومن أهم الاسباب والعوامل التى نراها ذات أثر فعال فى تحول الانسان المطبوع على الخير الى ارتكاب الشر هى :

أولا : المجتمع الغير منظم :

الانسان كائن اجتماعى بطبعه ، لايمكن أن يعيش حياته منعزلا ، أو يستطيع أن يحقق حاجاته أو اشباع رغباته المادية والمعنوية بعيدا عن الاخرين ــ ولذلك اندفع بطابعه الانسانى الى الاندماج داخل جماعة بالاتصال والتعاون وتكوين العلاقات المختلفة مع افرادها .

غير أن تحقق تلك الحتمية الاجتماعية لاتخلو من المشاكل، لان جوهر الانسان فكره وعاطفته ، فقد يجنح الى التسلط أو تضعف مقاومته وينساق بعواطفه خلف غرائزه التى تجعله فى بعض الأحيان يسعى الى تحقيق مصالحه ، ويتجاهل أويجور على مصالح الآخرين ــ مما يؤدى الى إحداث صدام بين أفراد الجماعة[٣].

واذا كان المجتمع عادلا ومنظما ويوجد به مجموعة من القواعد القانونية التى تعمل على تنظيم علاقات أفراده وتضبط سلوكهم ، وتمنع وتردع اى فرد

---

(١) أ.س. رابوبرت مبادىء الفلسفة، مرجع سابق ،ص ١٩.

(٢) رالف ب . وين، قاموس جون ديوى للتربية .
مرجع سابق ص ١٠٣

(٣) د. حمدى عبدالرحمن، فكرة القانون ١٩٧٩، دارالفكر العربى، بالقاهرة ، ص ٣٠.

يحاول أن يتسلط او ينساق خلف غرائزه ، أو يجور على حقوق الاخرين ، فانه يندر ما يرتكب الشر لان المجتمع المنظم يتحقق فيه العدل ،والعدل نعمة وفضيلة (١) .

كما يحقق توازنا بين حقوق الافراد وواجباتهم حتى لاتظهر طائفة من الناس تتمتع بامتيازات معينة عن الآخرين ،وتؤدي الى تولد الشعور بعدم التضامن والعدالة والاستقرار بين أفراد المجتمع. (٢)

والشريعة الاسلامية نصوصها صريحة فى طلب تحقيق العدل بين الناس تصديقا لقوله تعالى ..(ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) (٣) ـ كما أكد الاسلام على ضرورة المساواة بين كل أفراد الامة بما فيهم أعلى المستويات والحكام عن طريق قواعد قانونية عادلة تطبق على الكل بدرجة واحدة مهما كانت مكانة أحدهم، وذلك يتجلى فى قول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: (انما أهلك من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ،واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) (٤) .

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد خلق جميع البشر أحرارا ، وعلى فطرة التوحيد والفضيلة ـ الا أنه لم يسو بينهم مساواة تامة فى الملكات والمواهب والقوى والاستعدادات التى مع الممارسة تعمقت هذه الخلافات الطبيعية ، وامتدت الى نطاق الثروة والمال والضعف والقوة، وأصبح ظاهرا فى حياة الناس أنهم ينقسمون الى أغنياء وفقراء، والى مالكين ومعدمين، والى ضعفاء وأقوياء.

---

(١) ارسطوطاليس ،علم الاخلاق الى نيقوماخوس ،مرجع سابق، ص ٨٨.

(٢) محى الدين بن عربى الحاتمى الطائى ـ تهذيب الاخلاق، مرجع سابق ص ١٨.

(٣) سورة النساء الاية ٥٨.

(٤) د. محمد رأفت عثمان، الحقوق والواجبات ، والعلاقات الدولية فى الاسلام ١٩٧٣، مطبعة السعادة بالقاهرة، ص ٥٤.

والانسان لديه نزعة الانانية وحب الذات ، ومن الطبيعى اذا لم يكن هناك رادع قوى من القوانين والنظم العادلة التى يتم تطبيقها وتنفيذهـــا ، يلجأ القوى الى ممارسة كل ما لديه من قوة على حساب الاخرين ــ فتكـــون الحياة داخل الجماعة مسرحا للصراع الشديد، صراع بين الاقوياء والضعفـــاء من ناحية ــ ثم حين يخلو الجو للاقوياء يقوم مرة أخرى صراع جديـــــد ورهيب بين الاقوياء أنفسهم كل منهم يريد أن يبتلع الاخرين ويخضعهم لارادته وقوته (١) ، مما يؤدى الى ظهورالظلم والحقد والكراهية بين أفراد المجتمع ــ حيث يسود الباطل ويسيطر على كل العوامل التى تحقق العدل (٢) ، أمـــا اذا كان المجتمع منتظما وبه قواعد عادلة ومتصفة بالحكمة فان الانسان يكـــون عادلا وحكيما على نفس النحو الذى يكون عليه المجتمع من عدل وحكمة. (٣)

وبذلك اذا اندمج الانسان فى مجتمع غير منتظم فقد تنحرف طبيعتـــه الخيرة الى الشر، لان المجتمع الغير منتظم يكون مرتعا للفوضى والانانيـــة، التى تؤدى الى ظهور عوامل غير أخلاقية مثل القتل والسرقة والظلم والاستبداد ــ وهذه العوامل تجعل أفراد المجتمع يرتابهم الخوف على أنفسهم ــ فيرتكـــب بعضهم نتيجة الحب فى البقاء والاستمرار فى الحياة بعض أعمال الشر مـــــن أجل الدفاع عن حياتهم أوعن أموالهم ومصالحهم (٤) ــ وهم فى الحقيقـــــة ليسوا أشرارا وانما اندفعوا نحو عمل الشر نتيجة الخوف والذعر الـــذى دب فى نفوسهم من أثر فساد المجتمع ــ وبالتالى يكون من الممكن أن يرتكـــــب انسانا ظلما أوجريمة ولا يكون فى الاصل ظالما أوجانيا تماما (٥) .. وخيـــر

---

(١) د.. طعيمة الجرف ، مبدأ المشروعية وضوابط خضوع الدولة للقانون ١٩٦٣ ، مكتبة القاهرة الحديثة، ص ٣٦.

(٢) نورالدين اشراقية ــ معركة الحياة(الثورة الفكرية العالميةــ النضـال الثورى من أجل الوحدة العالمية) الطبعة الاولى١٩٧٢، مطابع دار الكتب بيروت ــ لبنان ص ١١٧.

(٣) جمهورية أفلاطون، الكتاب الرابع ، مرجع سابق ،ص ١٥٠.

(٤) د. بارودى ، المشكلة الاخلاقية والفكر المعاصر، مرجع سابق ، ص ٧١

(٥) ارسطوطاليس ،علم الاخلاق الى نيقوماخوس ،مرجع سابق، ص ٨٦، ١١٠.

دليل على ذلك اننا نسمع ونشاهد فى عصرنا الحالى كثيرا من الناس المشهود لهم بالاخلاق الفاضلة — قد ارتكبوا جرائم قتل ، اما من أجل الدفاع عن أنفسهم ، أو أموالهم ، أو عن الآخرين — على الرغم من أن أخلاقهم حميدة وسلوكهم حسن ، الا أنهم قاموا بارتكاب عمل غير أخلاقى لم يحدث منهم فى ظل الظروف العادية لان من يدفع الشر بالشر لايمكن اعتباره مرتكبا ظلما أو رذيلة ان لم يكن أمامه سبيل لدفع الهلاك عن نفسه أو عن الغير الا بهذا العمل.(١)

وفساد المجتمع الداخلى لاى دولة وان كان يؤدى الى تحول بعض أفراده من الفطرة الخيرة الى ارتكاب الشر — الا أنه قد يؤثر على المجتمع الدولى ، وخاصة فى أقاليم الدول المحيطة به(٢) — مثل الخراب والدمار الذى انتشر بين معظم الشعوب الاوروبية فى بداية العصور الحديثة بسبب الحروب الدينية التى كانت بدايتها فوضى تولدت من الاضطهاد الدينى فى بعض الولايات الالمانية، والاضطرابات التى تولدت فى كل أرجاء القارة الاوروبية عقب احداث الثورة الفرنسية، وسوف نبين ذلك بالتفصيل فى القسم الثانى الخاص بتطور العلاقات الدولية.

ثانيا : الظروف الطارئة (القهرية) :

قد يتعرض المجتمع الى ظروف قاسية طارئة لم يكن فى الحسبان توقعها — مثل الزلازل والبراكين والسيول والحرائق التى ليس من السهولة دفعها ، وتؤدى الى احداث اضطرابات وبعض الخسائر فى الارواح ، والعوامل العادية فى المجتمع — وأنه فى ظل هذه الظروف القهرية قد يندفع بعض الافراد الى ارتكاب بعض عوامل الشر مخالفين طبيعتهم الخيرة — من أجل

---

(١) رالف ب . وين ، قاموس جون ديوى للتربية ، مرجع سابق ، ص ٨٦ ، ١٧٠.

(٢) ميشيل ستيوارت نظم الحكم الحديثة.

ترجمة أحمد كامل ، مراجعة الدكتور/ سلمان الطماوى ١٩٦٢ ، دار الفكر العربى بالقاهرة.

انقاذ حياتهم من الهلاك ، أو أموالهم من الدمار- وهوءلاء الافراد ليست طبيعتهم شريرة ، أو لديهم ميول عدوانية ، وانما الظروف القاسية التي تعرضوا لها أجبرتهم وأرغمت ارادتهم الخيرة على ارتكاب بعض عوامل الشر [(١)] - مثل من يرتكب السرقة من أجل انقاذ حياته من هلاك الجوع أوالعطش- فهو في حقيقة الامر ليس شريرا ولا مجرما أو لصا وانما اندفع الى ارتكاب السرقة عندما أحس بأن حياته سوف تهلك ، ولاسبيل لانقاذها سوى ارتكاب هذا العمل - وبذلك فالدافع للسرقة هو الضرورة القاسية نحو التمسك بالحياة، وليس بقصد السلب والنهب أو الجور على حقوق الاخرين [(٢)].

وقد حدث في عهد خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن عاصرت الدولة الاسلامية فترة من القحط والمجاعة هلك فيها الكثير من المسلمين- مما دب الخوف والفزع في نفوس بعض الناس المشهود لهم بالأخلاق الفاضلة دفعهم الى ارتكاب جرائم السرقة للطعام والشراب - من أجل انقاذ حياتهم من هلاك الجوع والعطش ، حيث لم يكن أمامهم سبيل غير ذلك.

وبالرغم من شدة حكم خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه في تطبيق القانون الاسلامى ، الا أنه أرجأ تنفيذ حد السرقة على الذين ارتكبوها نظرا للظروف القاسية التي كان يمر بها المجتمع الاسلامى في تلك الفترة ، ولان ارتكابهم للسرقة لم يكن بقصد الاستيلاء على مال الغير للسلب والنهب - وانما كان من أجل انقاذ حياتهم من الهلاك ، وعمل الصحابة دليل لنا. استنادا الى قول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجز) [(٣)]

---

(١) أ. س . رابوبرت ، مبادىء الفلسفة ، مرجع سابق ،ص ١٨٢

(٢) ارسطوطاليس ، علم الاخلاق الى نيقوماخوس ، مرجع سابق ص٨٦.

(٣) محى الدين بن عربى الحاتمى الطائى ، تهذيب الاخلاق ، مرجع سابق ، ص ١٧.

واذا كانت تلك الظروف القاسية تؤثر مباشرة فى أى مجتمع يتعرض لها أو تهز أركانه فانهاتؤثر بأسلوب غير مباشر على المجتمع الدولى بأسره، وخاصة المجتمعات المحيطة ،لانه اذا تعرض شعب أى دولة لكارثة أونكبة ولم يستطع الصمود او التغلب عليها، فانه قد يزحف بعد اليأس وارتكاب كل عوامل الشر فى داخل نطاق اقليمه على أقرب أقاليم الدول المجاورة له ويشيع فيها الفوضى أو الخراب وكل أعمال السلب والنهب أو يتعرض لمصالح الدول الاخرى الموجودة داخل اقليمه ويدمرها ـ أملا فى انقاذ حياته من الجوع أو التشرد ـ ومعظم الصراعات البشرية منذ العصور الاولى كانت دوافعها نابعة من تلك الاسباب ٠

وعلى أثر ذلك ترسخت المفاهيم لدى كل الدول فى القرن الحالى وخاصة بعد محنة الحربين العالميتين ، بأن السلام لايمكن أن يستتب فى عالم تتفاوت فيه مستويات الشعوب تفاوتا بالغ الخطورة، وأنه لايمكن أن تستقر الاحوال الدولية على حافة الهوة السحيقة التى تفصل بين الامم المتقدمة، والامم الفقيرة المتخلفة (١) ـ ولذلك أسرعت الدول بصورة قاطعة الى التعاون الدولى من أجل الرخاء ـ على اعتبار أنه أقوى الضمانات للسلام العالمى (٢) بعد ما اتضح أن الصدام المحقق بين التقدم والتخلف هو من أهم الأخطار التى تهدد أمن واستقرار الأسرة الدولية (٣) ، فتكونت منظمات دولية واقليمية عديدة من أجل دعم هذا التعاون بصورة ايجابية ـ كما تقوم الدول الغنية بتقديم مساعدات ومنح للدول الفقيرة بدوافع انسانية من أجل أن تصمد فى مواجهة أعباء الحياة، وتسعى من جانب آخر على حل مشاكلها مثل ما قامت به الدول المتقدمة فى مساعدة شعوب بعض الدول الافريقية التى

---

(١) د٠ حسين عمر ،المنظمات الدولية والتطورات الاقتصادية الحديثة، الطبعة الثانية ١٩٦٨م ، دار المعارف بالقاهرة ، المقدمة٠

(٢) راجا هوتيشنج (فيلسوف هندى)-السلام العظيم ، نيويورك ١٩٥٣ ترجمة ونشر وديع سعيد، القاهرة١٩٧٣، المقدمة٠

(٣) ك٠م٠بانيكار، مشاكل الدول الاسيوية والافريقية، ترجمة وتقديم عبد السلام شحاته القاهرة، اكتوبر ١٩٥٩، الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع ص ٦٠

تعرضت للقحط والمجاعة خلال عامى ١٩٨٥، ١٩٨٦ على أثر محنـــــة الجفاف التى اصابت ثروتهم الزراعية وأثرت فى اقتصادهم القومى.

هذا بالاضافة الى الدور البارز الذى تقوم به هيئة الامم المتحـــدة من خلال أجهزتها المتخصصة فى ظل مفهوم النظام الاقتصادى الدولى الجديد ، من تقديم مساعدات مادية وفنية وثقافية من أجل دفع عجلة النمو للـــدول المتخلفة ومساعدتها على التعايش فى نطاق الأسرة الدولية ، ونزع الخوف من نفوس شعوبها ، واعطائهم صورة مبشرة بالامل حتى لايصابون بالاحباط ثـــم الفشل واليأس .

واذا كانت الظروف القاسية لاى شعب فى ظل عالم اليوم تـؤدى فى حالة عدم القدرة على التغلب عليها، والخروج منها الى بر الأمـــان ــ الى احداث الفوضى وتحول الطبيعة البشرية الخيرة الى ممارسة بعض أعمـال الشر ــ فانها من جانب آخر قد تؤدى الى تدمير كل المبادئ الإنسانية ــ فلا حرية فى ظل الجوع والحرمان، ولا أمان لانسان تحيط به الاخطار مـن كل جانب ،ولا رحمة أوشفقة من انسان يعلم أن مصيره قد كتب عليـه الهلاك ، ولا نجدة أوتعاون من شعب حكمت عليه الأقدار بالفناء أوالاختفاء من الوجود ان عاجلا أو آجلا.(١) ، ولا وجود لشعب يحمل أى معنـى انسانى فى مجتمع انهار وسادت فيه الفوضى التى تؤدى الى الظلم والتهـور والجبن والجهل والحقد والكراهية.(٢)

ثالثا : الحكم الظالـــم :

ومن عوامل الفساد ايضا للطبيعة الخيرة ، هو وصول حاكم ظالـم الى الحكم، واستطاع بنزعته الاستبدادية أن يكون الزعيم أو القائد الأوحد فى المجتمع بعد أن سيطر على كل طبقاته(٣) ، وقام بارتكاب أعمال غيــــر

---

(١) الامام نور الدين اشراقية ، معركة الحياة، مرجع سابق ص ٣١٨

(٢) جمهورية أفلاطون، الكتاب الرابع ، مرجع سابق ، ص ١٥٤.

(٣) ميشيل ستيوارت ، نظم الحكم الحديثة. مرجع سابق ص ٦

أخلاقية من ظلم واستغلال تولد عنه الحقد والكراهية في نفوس شعبه، كما أشاع الفوضى بينهم نتيجة انصرافه الباغى عن ادارة شئونهم وانغماسه في الشهوات والملذات (١) .

وكثير من الحكام أو الملوك المستبدين قد تراودهم الأحلام ، نحو اتساع ملكهم بالسيطرة على شعوب أخرى فيندفعون بغرورهم نحو المنازعات والحروب . وقد أكد معظم علماء النفس بأن كل الحروب والمنازعات الدولية التى حدثت منذ بداية تاريخ الإنسانية كانت بسبب القرارات التى أصدرها هؤلاء الرجال (الحكام أوالملوك) (٢) الذين يشعلونها ويجرون شعوبهم بعد خداعهم نحوها، ثم يرتكبون فيها أعمالا وحشية تهدر كرامة الانسان- والتاريخ يذكر الكثير من هؤلاء وآخرهم هتلر وموسلينى - وقال مونتسكيو عنهم (انه لتضليل أن يدعى أى حاكم مستبد انه يسعى لتوحيد الشعب ، فذلك مستحيل ، لانه لايحكم الشعب برفق ، بل يسلبه حقه فى الحرية، وما يسمى بالسلام العظيم والعدالة فى الحكم المستبد المطلق ، انما يحتوى دائما على بذور الفساد والانحلال) . (٣)

ولقد اتفق كل من جرمى بنتام ورسو على أن الحروب تنشب بين الملوك لا بين الشعوب التى تنقاد اليها دفاعا عن مصالح هؤلاء الملوك الفاسدين وأطماعهم الشريرة. (٤)

وقال (اما نويل كانت) الفيلسوف الالمانى(ان أعظم السياسيين من الحكام هم الذين يتمتعون بأفضل القيم والأخلاق الفاضلة. أما الحكام الفاسدون السفاحون ، فهم الذين انحرفت طبيعتهم، وتملك الشر على عقولهم

---

(١) د. بارودى ، المشكلة الاخلاقية ، مرجع سابق ، ص ٢١٨

(٢) اوتو كلينيبرج ، البعد الانسانى فى العلاقات الدولية. مرجع سابق ، ص ٨٦

(٣) راجا هوتيشنج ، السلام العظيم . مرجع سابق ص ٤

(٤) د. حسنين صالح عبيد، القضاء الدولى الجنائى، الطبعة الاولى ١٩٧٧ القاهرة، دار النهضة العربية، ص ٢٨.

– فجلبوا الخراب والدمار لشعوبهم ، لان الاخلاق لا تنفصل عن السياسة، وفساد الحاكم يؤدى الى انتشار الشر بين افراد المجتمع) (١) .

وقد عبر توما الاكوينى بالايضاح عن الدولة العادلة، والدولة الغير عادلة التى يلجأ فيها الامير أو الملك لاغتصاب السلطة عنوة دون ارادة الشعب ، ويزعم أنه يؤدى الواجب نحو تحقيق العدالة، وسالك السبيل نحو تحقيق الامن والاستقرار للشعب ويعمل على مقتضى أهدافه – فى حين أنه يضر بحياتهم ،ويشيع فيهم الفوضى والاضطراب ونشر الشرور، وطالب توما الاكوينى انقاذا لهذا الموقف بحق الشعب فى مقاومة هذا الحاكم، ولكن الى حد لايصل الى الثورة والاضطراب ، لان الثورة والاضطراب قد تؤدى الى الدمار والهلاك بصورة أكبر من تقبل حكم الملك الفاسد.

الا أن بعض المفكرين قد ذهبوا الى أكثر من ذلك ونادوا بضرورة المقاومة، وقتل الملك اذا لزم الامر– لكى يسقطوا حكمه الفاسد، وتزول كل أفعاله اللاانسانية مهما كانت التضحيات حتى ينتصر دائما الخير على الشر (٢) وفسروا ذلك على اساس أنه لو ترك هذا الحاكم الفاسد بدون تصد من جانب الشعب يجرى وراء نزواته وتطبيق القوانين الغير عادلة سيؤدى الى فقد المجتمع لكل اخلاقياته ، وانه اذا فقد المجتمع أخلاقياته وفضائله لابد أن يلحقه الدمار والخراب ان عاجلا وان اجلا. (٣)

جانب كبير من علماء الاديان اتفقوا على أن أهم العوامل التى تؤدى الى افساد أخلاق المجتمع هو وصول حاكم طاغية الى السلطة، وأكدوا بأن فساد حكمه يجعل شعبه فرقا متنازعة تتناحر وراء الشر وارتكاب الفواحش والرذيلة – فى صراع يسوده الطغيان والفوضى التى تؤدى الى هدم أركان

---

(١) د. عبد الفتاح محمد اسماعيل، جهود الامم المتحدة لنزع السلاح، ١٩٧٢، مطبعة دار العالم العربى بالقاهرة، ص ٢١.

(٢) د.طعيمة الجرف – مبدأ المشروعيه وضوابط خضوع الدولة للقانون، مرجع سابق ص ١٩.

(٣) د. حسن شحاته سعفان – مونتسكيو، مرجع سابق ص ١١١.

المجتمع ، بعد أن يصبح مسرحا لكل العوامل اللاانسانية [١] ، اما اذا كان الحاكمعادلا يخرج من بين صفوف الشعب ليعبر عن آماله وتطلعاته، فانـــه يسعى الى تحقيق الامن والاستقرار لافراد المجتمع ويقضى على كل صـــور الانحراف الاجرامى، ومعظم عوامل الشر والرذيلة ،لانه فى ظل حكمـــه العادل ينتشر الخير ويمد أفرعه الى جميع أفراد الشعب الذين يسعون الـى التعاون النابع من شعورهم الجماعى نحو ضرورة التضامن والمحبة• [٢]

واذا كان الحكم العادل والسلطة المنظمة من أهم الاهداف والمبـادىء التى ترتكز عليها الفلسفة الماركسية حيث تشير الى أن المجتمع الشيوعى هـــو الوحيد الذى سيكون مجتمعا عادلا تختفى فيه أحداث الشر ،وكل عوامـــل الانحراف الاجرامى الذى يتسع مداه فى المجتمع الرأسمالى [٣] ـ الا أننا نعتبر هذه المبادىء تصلح لكل نظام حكم مادام يحقق العدل ،ولديه قوانين ونظم عادلة تضبط سلوك الافراد وتردعهم عن الانحراف ، وتحقق لهم الامـــن والاستقرار والتعاون •

وعلى ذلك فاذا كان العالم قد أنتج عقولا صنعت تاريخه الانسانى ـ الا أنه قد ظهر خلال عصوره المختلفة حكام فاسدون أغرقوا شعوبهم فـــى الظلام والجهل، وأشاعوا الفوضى والدمار فى الشعوب الاخرى وألحقوا بغرورهم فترات سوداء فى سجل التاريخ الانسانى لشعوب العالم بأسره• [٤]

---

(١) محمد الغزالى ـ عقيدة المسلم ، مرجع سابق ، ص ١٨٢•

(٢) محىالدين بن عربى الحاتمى الطائى ـ تهذيب الاخلاق، مرجع سابق ص ٥٥، ٥٦•

(٣) جورج بولتينزير، جى بيسى ، موريس كافيتج ، المبادىء الاساسيـة للفلسفة ، الجزء الاول ، مارس ١٩٧٥، ترجمة اسماعيل المهدوى، الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرةص ٦١، ٦٢

(٤) الامام نور الدين اشراقيه ، معركة الحياة، مرجع سابق ص ٣١٧•

رابعا : المـــرض

يتجه البحث العلمى حاليا الى اعتبار عوج السلوك وارتكاب الشر مــن ظواهر الامراض النفسية، التى ليست من طبيعة الانسان العاقل – وقد قام علماء النفس بتفسير ظاهرة وقوع الجرائم على أنها أمراض تستوجب العــــلاج الحكيم ، وأكدوا من خلال ابحاثهم بأن هناك اضطرابات نفسية وعصبيـــة تختفى وراءها (١) ٠

ولقد أشار القرآن الكريم فى أكثر من موضع بأن المعصية أوالسلــوك الـغير أخلاقى هو مرض ٠٠ ففى سورة البقرة وصف النفاق بأنه مـــرض – قال تعالى (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) (٢) ومرض القلب هنا ليـــس سرعة أو بطء النبض ، وانماهو مرض النفس ، وفى كثير من السور شـــاع هذا الوصف ، وقد جمعت سورة الاحزاب هذه الاصناف كلها فى قولـــه تعالى (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فـــى المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها ، الاقليلا) (٣) ، كما توجد آيـــات عديدة فى القرآن الكريم تشير بوضوح الى أن اعمال الشر – من نفاق وكذب واضطرابات الغريزة الجنسية وشرودها ، وغير ذلك – هو مرض يصيب الفطرة الخيرة للانسان ،ويحولها الى الشر أو الرذيلة ٠

والديانة المسيحية تعتبر أيضا العصيان وأعمال الشر مرضا ، فقـــد قال سيدنا عيسى عليه السلام(لا تنظروافى أعمالكم كأنكم أرباب – بل انظروا فى أعمالكم على أنكم عبيد، فانما الناس رجلان ، مبتلى ومعافى ، فأعـــذروا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية) ٠

كما يتفق علماء الاديان الاخرى على أن أعمال الشر عبارة عن أمراض نفسية ،تتفاوت خفة وحدة مع ما ينشأ عنها من مخالفة للشرع والقانـــون

---

(1) J.C. Flogel, Man Morale and Society, op. cit., p. 65. (١)

(٢) سورة البقرة ، الاية ١٠٠

(٣) سورة الاحزاب ،الاية ٦٠٠

والاخلاق الفاضلة — ويجمع معظمهم على أن أكثر الامراض النفسية شيوعا هي اضطرابات الغريزة الجنسية ، والشعور الايجابي والسلبي بالذات .(١)

وعلماء النفس متفقون جميعا فى الرأى على أنه لايوجد شئ في الطبيعة البشرية يجعل الحرب لامفر منها، وأشاروا بأن الغرور الذى يصيب القادة والحكام ويجعلهم يشعلون الحروب والدمار — هو مرض طارئ على الفطرة الصحيحة للإنسانية الخيرة(٢) ، ولذلك اهتم هؤلاء العلماء وغيرهم من علماء الاجتماع بعد الحرب العالمية الثانية، على ضرورة المساهمة الكاملة فى علاج المشكلات والمنازعات الخاصة بالعلاقات الدولية عن طريق علم النفس بعد أن أكدوا من خلال أبحاثهم على أهمية العوامل النفسية فى هذا النطاق.

وتقوم منظمة اليونسكو بنشاط اكبر اتساعا فى هذا المجال — ففى خلال الجلسة الثانية للمؤتمر العام الذى عقدته المنظمة فى مدينة المكسيك عام ١٩٤٨م تقرر فيها انشاء مشروع كامل عن (التوترات التى تؤثر على التفاهم الدولى) ، يشمل عددا من التورطات النفسية المحددة التى تتعلق بمصادر النزاع بين الدول ومحاولة علاجها لتحقيق السلام العالمى.

ومن المعالم الاخرى التى تم نشرها عام ١٩٤٨ فى هذا المجال اعلان موجز بعنوان (الصحة العقلية والمواطن العالمى) صدر تحت رعاية الاتحاد الدولى للصحة العقلية الذى انشئ حديثا ، وهو يعد بمثابة تقرير عمل على قيام علماء النفس جنبا الى جنب مع زملائهم أطباء النفس والمتخصصين فى التاريخ الطبيعى للاجناس البشرية وعلم المجتمع وغيره من العلوم الاجتماعية — فى علاج التورطات النفسية التى تعكر صفو التفاهم الدولى — وقد أشير فى خاتمة هذا الاعلان — بأن من الاهداف العظمى التى ينبغى تحقيقها فى ميدان الصحة العقلية ، هو تمكين جميع الشعوب من العيش

---

(١) محمد الغزالى ، عقيدة المسلم ،الطبعة الرابعة، مرجع سابق ، ص ١٦٨ ومابعدها.

(٢) رالف ، ب . وين، قاموس جون ديوى للتربية. مرجع سابق ، ص ٨٤، ٨٥

سويا فى عالم واحد يشملهالتعاون والود والمحبة. (١)

وبذلك نعتبر كل ملك أو قائد أوزعيم جر شعبه الى الحروب والدمار من أجل توسيع ملكه ، والسيطرة على الشعوب الاخرى، وارتكب فى سبيل ذلك ابشع الجرائم الاخلاقية، مريضا وليس بكامل صحته العقلية. مثل كل من القائد البروسى هلموث فونمولتك H. Vonmoltke الذى قرر (بأن السلام سراب ، والحرب سنة الخليقة وتتجلى فيها أنبل الفضائل للانسان) ـ وزعيم الفاشية موسليني الذى قرر (بأن السلامكلمة رنينها كرنين العملة الزائفة ـ وزعيم النازية هتلر الذى قررفى الكتاب الذى أصدره بعنوان كفاحى بأن (الجنس البشرى لم يرتفع شأنه الا بكفاحه المستمر، وأن السلام الدائم يقوده الى الاندثار) ـ والجنرال آراكي Araki أحد ساسة اليابان الذى ظل طوال حياته يؤكد بالقول (بأن الحرب أم الخليقة والثقافة ، وأن التنافس الدولى فى سبيل سيطرة الدولة، وسيادتها ، مثله مثل كفاح الفرد ضد خصمه ومنافسه ، وأن فى كلتا الحالتين تظهر الحياة الجديدة بالحياة وتتضح) (٢) ، لانهم جميعا قد قلبوا الموازين وأهدروا أهم مبدأ من مبادىء الأخلاق والفضيلة، وهو السلام ، واعتبروا أشد عوامل الشر وهى الحروب والدمار هى التى تحقق الرفاهية والتقدم والرخاء.

وعلى الرغم من أن جميع الفلاسفة منذ العصور الاولى لتاريخ البشرية قد اعتبروا الحرب من أكبر عوامل الشر ـ الأأن هيجل صاحب النظرية الجدلية قد خالفهم وانفرد بافكاره الفلسفية ، واعتبرها أم الاشياء وأعظم وأرقى من السلم ، وقرر بعد أن رفض فكرة الفيلسوف الالمانى(اما نويل

---

(١) أوتو كلينيبرج ، البعد الانسانى فى لعلاقات الدولية ، مرجع سابق ص ٦ ومابعدها.

(٢) د. احمد سويلم العمرى ،أصول العلاقات السياسية الدولية، الطبعة الثالثة ، ١٩٥٩، مكتبة الانجلو المصرية، ص ٣٥ ومابعدها.

كانت) نحو ضرورة وجود اتحاد عالمى لتحقيق السلام ـ بأن (الحرب أرفع أخلاقيا من السلم، وأنه اذا لم يكن للأمم أعداء تحارب ضدهم يدب فيها الضعف والانحلال الخلقى) [١]

واذا كان هيجل من فلاسفة العصور الحديثة ،وفلسفته تحتل مكانة عليا لدى بعض الدول خاصة الاشتراكية ،على أساس أن كارل ماركس وانجلز وغيرهم من فلاسفة الفكر الشيوعى قد تتلمذوا عليها [٢] ـ الا أنه قرر من خلال بعض أفكاره الغريبة ما لا يقبله العقل ، ولا المنطق ـ لانه لم يخالف فقط الحقيقة التى عبر عنها كل الرسل والانبياء والفلاسفة والعلماء، بل انحرف بفلسفته وابتعد عن الاسس الصحيحة لوجود الحياة الانسانية والغاية التى أشارت اليها كل الاديان السماوية من ضرورة استمرارهاـ حيث جعل الحرب التى لايأتى من ورائها سوى الخراب والدمار والاحزان الدامية أفضل من السلام الذى يحقق المحبة، والتعاون والاخاء بين كل الشعوب. [٣]

ان الانسانية واحدة والسلام هو أساس رعاية الاخوة والرباط الوثيق بين الشعوب ، وكل من ينكر هذه الحقيقة أو يخالفها ليس عاقلا ـ سواء كان فليسوفا أوحاكما يدعى النضال [٤] ، لان الفيلسوف السليم أو المناضل العاقل هو الذى يعمل من أجل السلام، ويعلم أن الحرب هى شر وليست قضاء ملزما، وأن كل عمل ضدها له حسابه فى خدمة الإنسانية ويمهد لانتصار السلام [٥] ، وتأكيدا لذلك اهتم القانون الدولى بجعل من يشن

---

(١) برتراند رسل ،حكمة الغرب ، مرجع سابق ص ١٧٩.

(٢) جورج بولتزير، جى بيس ، موريس كافينج ، المبادىء الاساسية للفلسفة مرجع سابق ،ص ٥٠.

(٣) رالف ب . وين ، قاموس جون ديوى للتربية ،مرجع سابق ص ١٢٣

(٤) د. بارودى ، المشكلة الاخلاقية والفكر المعاصر، مرجع سابق ص١٣

(٥) د.يوسف القرضاوى، الحلال والحرام فى الاسلام، الطبعة الرابعة عشر، ١٩٨٠، القاهرة مكتبة وهبة ص ٢٥٧ ومابعدها.

الحروب او يحرض عليها من أجل بسط النفوذ والسيطرة مجرما دوليا يحاكم على افعاله التى دفعت الى اشعالها، وذلك من خلال نظام جديد يعرف بالقضاء الدولى الجنائى ـ مثل ما حدث فى محاكمات نورمبرج وطوكيو لمجرمى الحرب العالمية الثانية.(١)

وبهذا فالاخلاق الفاضلة هى صحة النفس وجمالها وقوتها ـ أما الشر أوالرذيلة فهى مرضها وقبحها وضعفها(٢) ، واذا كانت الجريمة هى نتاج تخلف فى تطور العقول والوجدانات متسمة بقدر واضح من الاثرة المدمرة لكل شعور انسانى كريم(٣) ـ فان الحروب والمشاحنات ما هى الا نتيجة بسط قوة الهيمنة من شخص مجرم تاه عقله، وأصبح لايعى المسئولية من حمله سلاحا خطيرا مدمرا.(٤)

خامسا : الجهل واختلاف الثقافات بين الشعوب :

ان كانت طبيعة الانسان قد فطرت على الخير، فانه لابد من احيائها دائما حتى يكون متمسكا بطبيعته على مدى حياته، ويبتعد عن الحقد والكراهية وكل عوامل الشر والرذيلة ، ويستطيع أن يقاوم المؤثرات الخارجية التى يتعرض لها ، من اغراءات وملذات ، ويصمد بطبيعته الخيرة فى مواجهاتها وأمام كل عوامل الشر(٥) .

---

(١) د. حسنين صالح عبيد ، القضاء الدولى الجنائى، مرجع سابق ، ص ٢٤ ومابعدها.

(٢) جمهورية أفلاطون ، مرجع سابق ، ص ١٥٥.

(٣) د. رؤوف عبيد ، مبادىء علم الاجرام ،مرجع سابق ،ص ٢٢.

(٤) د. محمد كامل ياقوت ، الشخصية الدولية فى القانون الدولى والشريعة الاسلامية ، طبعة ١٩٧١، عالم الكتب للنشر والتوزيع بالقاهرة.

(٥) أ.س . رابوبرت ، مبادىء الفلسفة، مرجع سابق ،ص١٠٨ ومابعدها

وعملية الاحياء الدائم للفطرة الخيرة التى طبعت عليها جميع شعوب العالم لا تتم الا بالعلم والمعرفة ـ وفى ذلك يقول الفيلسوف الهولندى باروخ سبينوزا وهو ابنا لاسرة يهودية، وولد فى أمستردام عام١٦٣٢م وتوفى عام ١٦٧٧م (أن الجهل هو العلة الأولى لكل شر يرتكب ، وأن المعرفة والفهم الأفضل للكون هى الشرط الاساسى الذى يوصلنا الى الحكمة والسلوك القويم) (١) .

كما قال أرسطو بأنه(يمكن العفو عن جميع الخطايا التى يرتكبها الانسان جاهلا انه يرتكبها، بل حتى التى يأتيها بناء على جهل) (٢)

ولذلك فالجهل من أخطر أعداء الانسانية،وأكبر العوامل التى تؤدى الى ارتكاب الشرـ اما العلم والمعرفة فهو طريق الارتقاء الى النورـ حيث يحول النفس من الظلمة الى النور والارتقاء نحو الحقيقة وعمل الخيرـ وليس العلم هو التدريب الجسدى اذ أن القوة الجسمية تنمو وتذبل ، وانما هو العلم العام لكل العمليات العقلية وفى كل أنواع المعرفة. (٣)

فلا جرم أن العلم الحديث يشرح لنا أصول بعض ظواهر الطبيعة كما يدخل فى علاج المرض والجهل وكشف بعض غايات الحياة وأسلوب تنظيم المعيشة على أفضل وجه ، وطرق التغلب على بعض مشاكل الحياة ـ ولذلك فالعلم والمعرفة من أسس الارتقاء بالأخلاق الفاضلة (٤) .

---

(١) برتراند رسل ، حكمة الغرب ، مرجع سابق ص ٨٣

(٢) ارسطو طاليس ، علم الاخلاق الى نيقوماخوس ، مرجع سابق ،ص ٩٧

(٣) جمهورية أفلاطون ، ترجمة د. فؤاد زكريا ، مرجع سابق ، ص ٢٥٧

(٤) د. بارودى ، المشكلة الاخلاقية والفكر المعاصر، مرجع سابق، ص١٠

ويقول الدكتور ايلى متشنيكوف (Elie Metchinkoff) عالـم الدراسات البيولوجية والذى قام باصدار كتاب فى دراسة الطبيعة الانسانية عام ١٩٠٣م ــ بأن (العالم متكون على أكمل وجه ، وما على الانسان الا أن يتجاوب مع الطبيعة ليصل الى الرضا والسعادة، وانه لكى يصل لهذا التجـاوب لابد له من الاعتناء بالمعرفة الدقيقة أى العلم الدقيق الوافى عن الطبيعـة وقوانينها حتى يستطيع وحده أن يوفر لنفسه السعادة التى يحلم بها ، وأن يهيئ الظروف التى تمكنه من تحصيلها، وأن يتحقق له الانسجام والتعاون فـى علاقته بالآخرين ــ كما تؤدى أيضا الى حل معظم المشكلات المتعلقـة بالمصير الانسانى) (١)

جميع الاديان السماوية تدفع الانسان نحو ضرورة الاهتمام بالعلـم والبعد عن الجهل المدمر ليتحقق له وللمجتمع الذى يعيش ويندمج فيـه الخير، فالاسلام خاتم الشرائع السماوية اكد وحث على طلب العلم والـنـدب اليه ، ورفع من شأن المخلصين فيه (٢) ، ويظهر ذلك واضحا فى أول مـا نزل من القرآن الكريم ، وهو قوله تعالى(اقرأ باسم ربك الذى خلـق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم، الذى علم بالقلم، علم الانسان مالم يعلم) (٣) والقراءة مفتاح العلم ــ كما توجد آيات عديدة تدعو الـى سلوك طريق العلم ، وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة مثل قولـه تعالى(فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) (٤) (وقل رب زدنـى علما) (٥) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم(من سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله به طريقا الى الجنة) ــ كما قال (من خرج فى طلـب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع) ــ وفى بيان فضل العلماء ومنزلتهم

---

(1) Elie Metchnikoff, Etude sur la nature humaine - essai de philosophie optimiste, Paris, Moloine, U.N. University, 1903, pp. 1-5.

(٢) د.ابراهيم محمد العنانى، حقوق الانسان فى الشريعة الاسلامية، مرجع سابق ص ٤٤ ، ٤٥

(٣) سورة العلق ، آيات ١ ــ ٥

(٤) سورة النحل ، آية ٤٣

(٥) سورة طه ، آية ١١٤.

من الله سحبانه وتعالى ،قال تعالى(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) (١) ، وقال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) (٢)

واذا كان الجهل من عوامل الشر بين الافراد فان اختلاف الثقافات بين الشعوب من العوامل التى تؤدى الى الحقد والكراهية بين الأمم، وتعكر صفو العلاقات الدولية، وكان ذلك من المشاكل التى شغلت علماء النفس ورجال التربية بوجه خاص بعد الحرب العالمية الثانية، ودفعتهم لعمل العديد من الدراسات والبحوث حتى اتضح لهم – أن أهم الاسباب التى تؤدى الى اختلاف الثقافات ، وتولد الشعور بالحقد والكراهية بين الشعوب ترجع الى وجود انطباعات قومية فى الكتب والمراجع العلمية التى تدرس فى المدارس والجامعات لبعض الدول ،و خاصة كتب التاريخ والجغرافيا حيث أن بعضها كان يحتوى على دراسات تتعلق بالحروب تشير للطلاب بأن قادة بلادهم كانوا شرفاء ، وجنودهم كانوا نبلاء ويتميزون بالبطولة والبسالة، وبات العدو ينتمى الى شعب شرير لا يعرف الضمير ولا الرحمة وقادته وجنوده كانت طباعهم تتسم بالخيانة والجبن، وهم الذين تسببوا فى اشعال الحرب من أجل السلب والنهب وسفك دماء الابرياء.

ولذلك اهتم العلماء والباحثون فى الأونة الأخيرة نحو ضرورة تقارب الثقافات بين الأمم وازالة الفوارق بين الشعوب ، من خلال الكتب والمراجع العلمية ، كما قامت منظمة اليونيسكو بدور بارز فى هذا المجال نحو مطالبة الدول بتطوير أساليب التعليم لطلابها بالتركيز على معرفة ثقافات الدول الاخرى والاستناد على أن الانسانية كاملة وواحدة لكل الشعوب(٣). وفى ذلك يقول جون لوك :(ان زيادة التفاهم بين الشعوب تهدف الى

---

(١) سورة المجادلة، آية ١١

(٢) سورة فاطر ، آية ٢٨

(٣) أوتو كلينيبرج ، البعد الانسانى فى العلاقات الدولية . مرجع سابق ص ٥٩ ، ٦٠

أمرين : الاول ، زيادة معرفتنا نحن ، والثاني أن نتمكن من توصيل هذه المعرفة الى غيرنا) ـ كما قال كارلوس ب . رومولو العالم الامريكي (يجب ان نتقارب فى العلم والمعرفة ، وألاتكون هناك طبقة عليا وطبقة دنيا حتى تعم العالم صداقة حقيقية) - ولذلك فالتقارب الثقافى بين الشعوب يساعد على ازالة الخلافات والحقد والكراهية بين الدول (١) .

سادسا : الفشل والاحباط :

اليأس والفشل من أشد عوامل ارتكاب الشر أو الرذيلة ـ فاذا تولد الشعور لدى الانسان بالفشل أواليأس من حياته ـ فقد يفقد قيمة الأحساس بوجوده ، وتموج فى نفسه كل أمواج الفساد والرغبة نحو الانحراف ، فيرتكب الشر ويضر بالغير وهو غير مبال ـ لان حياته المظلمة أبلدت ضميره وشعوره بالمسئولية ، فلا يهتم بحياة الآخرين لانه قد يندفع الى الانتحار والتخلص من حياته (٢) .

وقد صور فلاسفة كثيرون منذ العصور الاولى لتاريخ الإنسانية مدى خطورة الفشل والتشاؤم الذى يصيب الإنسان أو أى جماعة بشرية على القيم والمبادىء الأخلاقية ـ بداية بالفيلسوف المصرى القديم أبوور ـ حتى الفيلسوف الالمانى آرثر شوبنهاور فى منتصف القرن التاسع عشر ، الذى بلغ به التشاؤم واليأس الى القول بأن (ارادة الحياة ليست خيرا بل هى شر ، وان أحسن سبيل لمحو هذا الشر هو الانتحار للاختفاء من عالم الوجود) (٣)

وفى عام ١٩٣٨م قام عالم التحليل النفسانى برينز هوبكنز بتأليف كتاب عن علم النفس ، والتحركات الاجتماعية ـ أشار فيه الى نظرية العدوان المتعلق بالفشل ـ وقرر بأن (الناس حينما يصيبهم الفشل فانهم

---

(١) التعايش بين الثقافات على كوكبنا الارض (من مطبوعات المنظمة الامريكية الجنوبية للكليات والمدارس) ترجمة فؤاد أسكندر الطبعة الاولى ١٩٧٢ القاهرة دار المعرفة .

(٢) محيى الدين بن عربى الحاتمى الطائى ، تهذيب الاخلاق ، مرجع سابق ص ١٨

(٣) د . هنرى توماس ، اعلام الفلاسفة ، مرجع سابق ، ص ٩ ، ٢٨٩

سيكونون فى حالة أعظم احتمالا للجنوح الى ارتكاب الشر، أوالقيام بالحرب كوسيلة للتعبير عن فشلهم ويأسهم) ، كما قام العالمان البريطانيان داربين وباولبى المتخصصان فى علم المجتمع بتأليف كتاب نشر عام ١٩٣٩ بعنوان الاعتدائية الشخصية والحرب ـ أشارا فيه بأن الذين يرغبون دائما، وبدون وعى فى اشعال الحروب وارتكاب عوامل الشر هم فى الغالب الذين ذاقوا مرارة الفشل وخاصة فى مرحلة الطفولة المبكرة.(١)

والفشل وان كانت أسبابه ترجع الى عوامل أخرى مثل سوء تنظيم المجتمع أو التعرض للظلم وعدم تطبيق العدالة الا أنه يعد من أخطر الوسائل التى يتحول بها انسان أو شعب دولة ـ من الطبيعة الخيرة الى أقصى وأعنف عوامل الشر، وهذه الحقيقة قد أدركها معظم ساسة المجتمع الدولى فى القرن الحالى، وعبر عن خطورتها صراحة جالو بلازا السكرتير العام السابق لمنظمة الدول الامريكية ـ حيث قال (ان عالمنا اليوم تقسمه ثلاث فجوات ـ فجوة الفقر ، وفجوة الايديولوجية وفجوة التكنولوجيا، وان من سوء الحظ أن هذه الفجوات تزداد اتساعا مع مرور كل يوم ـ مما يهدد بعدم الاستقرار والسلام والأمن بين الشعوب ، وان الرجال المناضلين والأمم الساعية للسلام يحاولون نقض هذا الوضع ووضع طرق الاصلاح خشية أن يصيب شعبا بالفشل)(٢) ، وذلك لانه طالما بعدت المسافة بين التغنى بالمبادىء الإنسانية واعلانات حقوق الانسان ، وبين تطبيقاتها العملية الفعلية ، أو طالما بقيت الهوة عميقة بين الشعوب الغنية والشعوب الفقيرة ، فان بعض الجماعات الإنسانية ستفتك بها المجاعات التى تدفعهم الى اليأس واشعال الحروب .(٣)

اذا كانت تلك العوامل التى أشرنا اليها تعد من أهم الاسباب التى تحول الطبيعة الإنسانية الخيرة نحو ارتكاب أعمال الشر ـ سواء من جانب

---

(١) اوتوكلينيبرج ، البعد الانسانى فى العلاقات الدولية، مرجع سابق ص ٢٣

(٢) التعايش بين الثقافات على كوكب الارض، مرجع سابق ، ص ٤

(٣) د. محمد كامل ياقوت ، الشخصية الدولية، مرجع سابق، ص ٢٢٤

بعض الافراد في المجتمع الداخلي ، أو من جانب بعض الشعوب فيالمجتمع الدولي ٠٠ فان علاج كل عوامل الشر ممكن ، بالتغلب على هذه الاسباب ، لان الشر طارئ على أصل الفطرة الانسانية الخيرة، ويمكن رده بالايمان والصبر ــ وقال العالم الانجليزي توماس مورس الذي ولد في لندن عام ١٤٧٧ تأكيدا لذلك بأن (تحويل الانسان من سفاك للدماء الى انسان محب للسلام أمر ممكن اذا استطعنا السيطرة على غرائزه باصلاح وضعه الاجتماعي) (١) .

وكل الاديان السماوية تؤكد ذلك أيضا بأن التغلب على الشر ممكن بالايمان والعلم والتربية الحسنة ــ لكي تعود الارادة الى صحتها وقوتها ــ كما أن الله سبحانه وتعالى يفتح دائما باب الغفران حتى لا تسد منافذ الامل أمام أي انسان (٢) ــ مثل قوله تعالى للعصاه (قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا) (٣)

واذا كان البعض يسأل ٠٠ من أين يأتي الشر الى العالم والله الرحيم القدير خالقه ؟ ٠٠ فان ردنا على ذلك هو أن الله سبحانه وتعالى وان كان خلق الانسان وطبيعته مفطورة على الخير ــ الأأنه جل شأنه قد خلقه حر الارادة ، وحرية الارادة نعمة الهية عزز بها الانسان، وهي لا يعتد بها ولا تكون ذات اعتبار الا في عالم يحدث فيه الخير والشر، وينقاد فيه الانسان الى العمل الصالح غير مكره عليه ، بالاضافة الى ذلك ان الشر هو تمام الخير الذي يوجد معه وينعدم بانعدامه ــلانه لا معنى للرحمة بغير ألم ، ولامعنى للشجاعة بغير خطر، ولامعنى للكرم بغير الحاجة، ولامعنى للصفح بغير الاساءة، ولامعنى للعدل بغيرالظلم ــ وبذلك فالفروق بين الاشياء لازمة ، ولولاها ما وجد شيء٠ (٤)

---

(١) د٠ بطرس بطرس غالي، التنظيم الدولي ،الطبعة الاولى ١٩٥٧، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ص ٤٦٠

(٢) محمد الغزالي ،عقيدة المسلم، مرجع سابق ، ص ١٧١٠

(٣) سورة الزمر: الاية ٥٣

(٤) عباس محمود العقاد، عقائد المفكرين فيالقرن العشرين ١٩٨٤، دار المعارف بالقاهرة، ص ٦٦ ، ٦٥

الفصل الثانى

مضمون الأخلاق

للأخلاق عنصران : الاول نظرى وهو الضمير ، الذى يحمل عمـــق الاحساس بالقيم والمبادىء الاخلاقية وكل الاسس الانسانية التى تحرك دوافـــع الانسان نحو الخير والشر – والثانى عملى وهو السلوك الذى يقوم بالتطبيقات العملية لما يحمله الضمير الكامن فى نفس الانسان من خلال ارادته الحرة (١)

وهذان العنصران يشكلان الجوانب المتكاملة لكيان الانسان وكمالــه الذاتى وذلك على النحو التالى :

المبحث الاول

الضمـيـر (Conscience)

وهو ما أودع فى الانسان من قوة فطرية ذات سلطان ، تجعل منه مصدرا للمسئولية الاخلاقية ، ورقيبا عادلا على كل أفعال الانسان – التى هى أما أن تـكون مباحة أو معاقبا عليها طبقا لما تتصف به من خير أو شـر ، خطأ أو صواب . (٢)

كما أنه المقرر للحق أوالباطل لاعمال الانسان الذى عندما يعـــرض عليه أمر من الامور ، فتحدثه نفسه فيما يتصرف حياله من فعل ، وينشـــط ذهنه نحو التنفيذ أو الترك مقارنا بما يترتب عليه من نتائج خيرا أو شرا ، نفعا أو ضررا – ثم يقضى برأى ذاتى يبرمه فى كيان نفسه – فاذا وقع أحـــد الامرين (فعلا كان أو تركا) وتحقق منه نتائج – فان كان خيرا يجـــد الانسان نفسه مرتاحا ومطمئن الضمير – أما اذا كان شرا فيكون غير مرتاح ، ويقوم بتأنيب ضميره – وعلى ذلك يكون الانسان اما نزوعا الى الاثابة علـــى

---

(١) د. عبد الرحمن بدوى ، الاخلاق النظرية ، مرجع سابق ، المقدمة .

(٢) محيى الدين بن عربى الحاتمى الطائى ، تهذيب الاخلاق ، مرجـــع سابق ص ٩ .

خير ما فعل ، واما أن يكون نزوعا الى عقاب نفسه على ما أثم فعله من شر – ومصدر هذا النزوع هو الضمير الذى يعتبر شيئا فى داخل الـذات يطالبها بالخضوع له.(١)

ومن خلال ذلك نجد أن داخل كيان الانسان ثلاثة أمور يحركها الضمير عند القيام بتنفيذ أو ترك فعل أو قول – الأول. تشريعى: أى تشريع العمل ذاته هل يتحقق منه خير أو شر اذا تم تنفيذه أو تركه. والثاني. تنفيذى وهو تنفيذ الفعل أو تركه طبقا لما اهتدى اليه. أما الثالث فهو قضائي للمحاسبة نحوالاثابة أوالعقاب على ما ارتكب أو ترك من فعل تحقق منه خير أو شر، وهذه الامور الثلاثة لا توجد منفصلة أومستقلة احداها عن الاخرى، وانماجميعها مترابطة وترجع الى قوة واحدة وهى القوة الكامنة فى ذات الانسان المودعة فى فطرته، والتى يطلق عليها علماء الاخلاق اسم الضمير.(٢)

وقد عرف معجم لالاند الفرنسى ، الضمير بأنه (خاصية العقل esprit فى اصدار أحكام معيارية تلقائية ومباشرة عن القيم الاخلاقية) – الا أن أحد أعضاء الجمعية الفرنسية للفلسفة اعترض على هذا التعريف ، على أساس أن الضمير أمر مفروض من الخارج عن الارادة – ثم قام الفقيه بوارالك بالقول أن (الضمير هو معرفة الخير والشر)، الا أن هذا التعريف قد انتقد على أساس أنه يجعل من الضمير الاخلاقى صورة للمعرفة النظرية فى حين أن الاخلاق أكبر من أن تكون مجرد معرفة.(٣)

أن العالم الفرنسى لوسن Lesenne قال (ان ماهية الضمير الاخلاقى مزدوجة، وتقوم على الاستحسان والاستهجان، أو الموافقة أوعدم الموافقة L'approbation et la reprobation وبالتالى فهو ملكة الاقرار والاستهجان يحكم الانسان نحو الصواب أو الخطأ ، فاذا

(1) J.C. Flugal, Man Morals and Society, op. cit., p. 74.

(٢) د.محمد بيصار، العقيدة والاخلاق ،مرجع سابق ،ص ٢٢٠.

(٣) د. عبد الرحمن بدوى ،الاخلاق النظرية١٩٧٥، مرجع سابق ، ص ٥٦.

أخطأ فانه يلوم نفسه أخلاقيا واذا فعل صوابا يرتاح نفسيا ـ والخير يكون دائما مطابقا لما ينشئه العقل الكامل الذى يعمل وفقا للاحسن والأخلاق هى اكبر من أن تكون مجرد معرفة وانما هى تشمل طاقة الميول) (١)

ويتشابه هذا التعريف مع ما أورده الفقيه جبريل مادينييه Gabriel Madinier فى وصف الضمير الاخلاقى بأنه (ليس علم الخير، وليس معرفة نظرية على الرغم من كونه يحتوى على عناصر منها ، وانه ابتداء من معطياته تتكون النظريات الأخلاقية ، انه عاطفة بالمعنى الواسع لهذا اللفظ ،و هو فى وقت واحد معا : عقلى ،و عملى ، وعاطفى ، انه ارادة ونور لان الضمير الاخلاقى يدل على الشعور بالمبادىء، والتمييز شبه الغريزى بقيمة الفعل الحاضر، ويمكنه ان يفكر وأن يتأمل فى تقديراته وأنه اذا أخذ فى التحليل والتفكير أفضى الى التأملات الأخلاقية (أى النظرية) الى تقدير الأحوال Casuistique وتقدير الأحوال سيكون بمثابة عاطفة وعادة حتى يتيسر للانسان أن تقوده عن ثقة وأمان، عن سورة واسعاف مثلما نشهد فى ردود الفعل الغريزية. وبذلك يكون الضمير وسيطا بين المبادىء العامة وبين المواقف الجزئية لانه رد فعل شخصى ينتسب الى الوجود أكثر مما ينتسب الى الممتلكات) . (٢)

الا أن جانبا من الفقهاء أكدوا أن الضمير جوهره عقل مثل الفقيه الفرنسى فولكييه Foulquiè الذى أكد جانب العقل فى الضمير، وقرر أن الضمير الاخلاقى هو فى جوهره عقل حين يفحص الفرد مشاعره الأخلاقية وحينما يقدم على فعل أو قول أويبتعد بالترك طبقا لما يقرره بعقله نحوما يحمله من الخير بطريقة وجدانية وغريزية) ــ وأيضا ذهب القديس توما الاكوينى Saint Thomas d'Aquin بتعريف الضمير على نفس النمط، وقرر أن (الضمير هو الحكم الصادر من العقل ، وأنه تطبيق عقلى للمبادىء العامة البينة بنفسها على الاحوال

---

(1) Lesenne, Traite de morale génerale, op. cit., p. 314.

(2) G. Mafiniar, La concience morale, Paris, 1963, pp. 7-9.

الجزئية التى توجد فى الواقع العملى) (١) .

ولذلك تعددت التعريفات نحو الضمير طبقا لاجتهاد العلماء وفلاسفة الاخلاق فبعض منهم أشارالىأنه خاصية العقل وآخر قرر أنه معرفة الخير والشر ، ثم عارض آخر ذلك الاتجاه وقرر أن الضمير أكبر من أن يكون مجرد معرفة وانما هو طاقة تشمل ارادة ونورا بالمعنى الواسع وبكل جوانبها العقلية والعملية والعاطفية ثم ارتكز آخرون على التأكيد بأن الضمير جوهره عقلى أو حكم صادر من العقل ، ومع تعدد تلك التعريفات نجد أن الضمير ما هو الا قوة كامنة فى نفس الانسان ، مودعة فى فطرتهولها شعور متدفق فياض ينفعل به ويحتل الجانب الاكبر من تفكيره .

وقد اختلف فلاسفة الأخلاق عندماحاولوا الكشف عن حقيقة هذه القوة (الضمير) وتحديد مفهوم مضمونها ،وأساس هذا الخلاف بينهم يرجع الى أمر جوهرى نحو فطرية هذه القوة التى أودعها الله فى الانسان وركزها فى طبعه — فانقسموا الى ثلاثة مذاهب من حيث تفسير هذه القوة(الضمير) هل ولد بها الانسان أم اكتسبها من المران والممارسة وحسن التربية واعتياد الفضائل ،وارتياد جميل العادات وحميد الصفات (٢) ، وذلك على النحو التالى :

<u>أولا : المذهب الفطرى الحاسى(مذهب اللقا نة)</u> (٣)

معظم فلاسفة الأخلاق وخاصة فلاسفة الشرق القديم يرون أن الضمير قوة فطرية غريزية موضوعها الخير والشر — ولد بها الانسان ولم يكتسبها —

---

(١) د. عبدالرحمن بدوى ،الاخلاق النظرية١٩٧٥، مرجع سابقص ٥٩

(٢) د. محمد بيصار، العقيدة والاخلاق ، مرجع سابق ،ص ٢٢٠

(٣) معنى اللقانة : هى القوة الباطنة التى تدرك حقيقة الشىءبمجرد النظر اليمن غير اعمال العقل فى نتائجه(ابن منظور ، لسان العرب جـ ٣ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة) .

وهى قدر مشترك بين جميع الناس ،وان اختلفت فيهم قوة وضعفا — فكما منح الانسان قوة البصر والسمع واللمس ٠٠ كذلك منحه الله حاسة أخلاقية فطرية ، وهى قوة الضمير لكى يميز بين الخير والشر (١) .

ويعد الفيلسوف الفرنسى(جان جاك روسو J.J. Rousseau) من أنصار هذا المذهب ، حيث يرى أن الانسان مزود بهذه الغريزة الفطرية منذ ولادته ، وانه بهذه الغريزة الالهية يفرق بين الخير والشر، مثلما تفرق العين بين السواد والبياض — وأن هذا الضمير هو بصيرة فطرية ويعتبر الوسيلة الوحيدة للهداية فى الطبيعة الانسانية٠٠ وقد نادى (جان جاك روسو) الضمير ووصفه ٠٠ بالقول ٠٠(أيها الضمير انت غريزة الهية، وصوت سماوى خالد، ومرشد أمين لكائن جاهل محدود، ولكنه ذكى وحر — أنت حاكم لا يخطئ حكمه على الخير والشر، مما يجعل الانسان شبيها بالملاك ! أنت الذى تصنع سمو طبيعته وأخلاقية أفعاله ، بدونك لا أستشعر فى نفسى شيئا يسمو بى فوق الدواب ، اللهم الا الامتياز البائس لضلالى فى أخطاء بعد أخطاء بمساعدة ذهن بلا قاعدة وعقل بغير مبدأ) (٢).

ويلاحظ من هذا الوصف الرائع الذى نادى به(روسو) الضمير بأنه اعتبر الضمير غريزيا أى فطريا فى الانسان ، وبأنه حاكم لايخطئ حكمه على الخير والشر، وأنه وحده الذى يجعل الانسان يشعر بسموه عن الحيوان

وقد وجه بعض علماء الأخلاق نقدا لهذا المذهب على النحو الاتى :

١ — أن حاسة الضمير لاتضمن الصواب دائما فى الأحكام مثل الحواس الاخرى كالبصر أو السمع ، وبأن هذا المذهب يبالغ فى قوة الضمير الفطرية — لان الضمير لا يتسم بالعظمة٠

---

(١) أ٠ س٠ رابوبرت ، مبادئ الفلسفة ، مرجع سابق ، ص ١٧٦٠

(2) J.J. Rousseou, La profession de foi du vicaire savayard, ed. Beaulavon, Paris, U.N. University, 1928, p.146.

٢ – بالغ أصحاب هذا المذهب في القول بأن الضمير وحده هو الذى يجعل الانسان يشعر بسموه وارتقائه على الدواب – دون العقل الـــذى يعتبر أول شئ يملكه الانسان ويجعله يشعر بانسانيته ، ولانظيــر له في الحيوان. (١)

٣ – الضمير وعى وليس مجرد عاطفة لا واعية كما يذهب روسو لانه يترتب عليه اختلاف الحكم عند الناس على اختلاف اعمالهم، واحساساتهـم ، فقد يكون هناك عمل يعد خيرا عند بعض الناس ، في حين يعـد عند الآخرين شرا ، أو بالعكس – وقد حدث ذلك في تاريخ البشرية مثل ضمير المجتمع العربى في الجاهلية لوأد البنات وحسبانه داخـلا في الخيرات بينما اعتبره الاسلام بعد مجيئه من أقبح الجرائم. (٢)

ثانيا: المذهب الفطرى العقلى :

وهذا المذهب يقرر فطرية الضمير مثل المذهب الاول ولكنه يخالفه في القول بأن الضمير حاسة مثل حاسة السمع أو الشم أو البصر ، ويقـــرر بأنه قوة عقلية، ولدت مع الانسان وطبعت في خلقه الأول – ومن المؤسسين لهذا المذهب الفيلسوف الالمانى امانويل كانت Kant حيث قسم العقل الى قسمين :

الأول : العقل النظرى :

وقرر بأنه يختص بادراك المحسوسات ويعتمد في معارفه على الحـــس والتجربة ، وأنه لايصلح ان يكون مصدرا للأخلاق حيث يعتمد في أحكامــه على الحواس والتجارب وهى كثيرة الخطأ. (٣)

---

(١) أمانويل كانت ، تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ص ١٢

(٢) د. محمد بيصار ، العقيدة والاخلاق ، مرجع سابق ، ص ٢٢٥.

(٣) امانويل كانت ، تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ، ص ١٢

الثانى : العقل العملى:

وأطلق عليه (الضمير) وقرر بأنه عبارة عن قوة فطرية وجـــدت كامنة فى الانسان منذ ولادته ، لا تكتسب بالتجربة ولا تتوقف على الحواس، ولا تتصل بالمادة نهائيا ، لانها شعاع من نور هبط من القوة العليـــا المطلقة غير المحدودة الى النفس الإنسانية لتهتدى به وتميز بين الخيـــر والشر، وانها فى الوقت ذاته قاض معصوم من الخطأ فى قضائه وحكم لايضل فى أحكامه ، وقد أطلق على هذه القوة (الأمرالمطلق) (١)

عبر (كانت) عن الضمير فى اطار فلسفى بأنه دعامة الاخلاق، ومصدر كل اعمال الخير، وبأن العقل العملى أو الامر المطلق (الضمير) هو الذى يضع قانونا للأخلاق سابقا على التجربة وموجودا فى طبيعة العقل ذاتـــه، ولايمكن ان يستمد من المران و التجارب بل هو سابق عليها ،وحاكمهـــا ويعلوها- وأن القانون الاخلاقى الذى يضعه الأمر المطلق قابل للتطبيـــق وصالح لكل الكائنات العاقلة، ويؤيد هذا الاتجاه الفيلسوف الالمانى فختـــه Fickte (١٧٦٢ - ١٨١٤م) (٢) .

ورأى (كانت) قريب الشبه برأى بعض علماء الاسلام -وعلى الأخـــص الفيلسوفين الاسلاميين أبوحامد الغزالى ، وابن مسكويه - حيث قال الأمـام الغزالى رضى الله عنه فى باب المحاسبة والمراقبة فى كتابه عن الأحيـــاء .. (ان للمراقب فى عمله نظرات،نظر قبل العمل ، ونظر فى العمل - فقبـل العمل ينظر الى همته وحركته أهى لله خالصة أم لهوى النفس ومتابعـــة الشيطان ، فيتوقف فيه ويثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق - فان كان لله تعالى أمضاه ،وان كان لغير الله استحيا من الله، وانكشف عنه - أما النظر الثانى للمراقب عند الشروع فى العمل ، فذلك بتفقد كيفية العمـــل ليقضى حق الله فيه ويحسن النية فى اتمامه ويتعاطاه على أكمل ما يمكنه).. وفى محاسبة النفس بعد العمل يقول الغزالى .. (ينبغى ان يكون للمـــرء آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتهـــا،

---

(١) برتراند رسل ، حكمة الغـــرب ، مرجع سابق ،ص ١٦٥

(٢) أ. س. رابوبرت ، مبادىء الفلسفة، مرجع سابق ،ص ١٧٧.

كما يفعل التجار فى الدنيا مع الشركاء فى آخر كل سنة أوشهر، أو يـــوم، حرصا منهم على الدنيا) ..وخلاصة ما جاء به الامام الغزالى فى هذا الباب انه يعتقد فى قوة يسميها تارة(نورا الهيا) ، وتارة أخرى(معرفة) يستند اليها الانسان فى قيادة اعماله ، وهدايته الى سواء السبيل ،وصراط اللـــه المستقيم ــ أما الامام ابن مسكويه فحين يتكلم فى كتابه(تهذيب الاخلاق) عن النفس الانسانية وقواها ، ينكر ان من بين هذه القوة قوة باطنيـــة عاقلة ، هى قبس من النور، قذف به الخالق الى النفس البشرية، ليكـــون لها هاديا ومرشدا.[1]

وقد وجه بعض علماء الأخلاق نقدا لهذا المذهب على أساس أنه ينفى تماما أى وجود للمعرفة والتجارب ،وبأن الضمير وان كان قوة عقلية ويوجـــد عند الناس جميعا ــ الا أنه لم يكن فيهم بمثابة واحدة أو قدر متكافـــئ ــ كما أن هذا المذهب قطع العلاقة التى تربط حياتنا الأخلاقية، بحياتنـــا الحسية وبمجموع الاشياء ــ كما أن الحكم الاخلاقى فى العصر الحالى يختلف فى بعض الافعال عن حكم الناس فى العصور السابقة، دليـل على أن للتجربة دخلا فى تكوين الضمير[2].

ثالثا : المذهب الكسبـى :

ينكر أنصار هذا المذهب فطرية الضمير سواء كان حسيا أو عقليـــا ويقررون بأن الضمير اكتسبه الانسان من المران و التجربة ـومن أكبـــر المؤسسين لهذا المذهب هربرت سبنسر، بين[3] ، استيورت مـــــل Stuart Mill الذين قرروا بأن قوة الضمير لايمكن أن تكون فطريـــة فى الانسان بل هى قوة مكتسبة وأشاروا بأن الدراسة كشفت انعدام العناصـــر

---

(١) د.محمد بيصار، العقيدة والاخلاق ، مرجع سابق ، ص ٢٢٥

(٢) برتراند رسل ، حكمة الغرب ، مرجع سابق ص ١٦٨

(٣) بين Pain (١٨١٨ ــ ١٩٠٣م) عالم انجليزى اشتهـــر بالكتابة فى علم النفس والأخلاق والمنطق .

الفطرية لتلك القوة ، وأثبتت بأنها قوة اكتسبها الأنسان عن طريـــــق التجارب والمران ، وعلى نحو من التدرج طبقا لقوة ادراكه.(١)

ومن المؤيدين لهذا الاتجاه أيضا الفيلسوف الاجتماعى دوركهيم الـــذى جعل اكتساب الضمير ناتجا من حصيلة الاف الضغوط الاجتماعية على الفرد، بالاضافة الى عوامل التربية فى الأسرة وفى المدرسة، والقهر الرسمى الـــذى تمارسه المؤسسات والنظم الاجتماعية ،والأعراف والتقاليد، وسلطان البيئـــة والحضارة التى تشكل القوى التى تتضافر وتتحالف فى تكوين ضمير الفـرد ــ وبأن الضمير الفردى ما هو الا انعكاس للضمير الجماعى الذى ولد فيـــه الفرد وبه نشأ وتكون.(٢)

ويقول كارل فلوجل استاذ علم النفس الانجليزى ، وهومن أنصار هذا المذهب ــ بأنه (اذا كان العمل الاخلاقى هو العمل الذى يطابق القيم ــ وهذه القيم تقررها أساسا طبيعتنا البيولوجية واستعدادنا السيكولوجى ــ الا أنه لكى يعيش الانسان عيشة طيبة فى البيئة الاجتماعية المعقدة التى صنعها ــ لابد من ان يفرض عليه عامل خارجى ، بالاضافة الى الفضيلة الطبيعيـة التى تختلف أشد الاختلاف من شخص لاخر ، وهذا العامل الخارجى هـو عامل التوجيه والتحكم المكتسبين ، وهو عنصر يمكن اعتباره من بعض الوجوه اقل طبيعية وتلقائية من الغريزة ، وهو يحمل الشخص فى بعض الاحيـــان على أن يجاوز فى بعض الاتجاهات ما تمليه عليه غرائزه ،ويحمله فى أحيـان أخرى على الكف عن عمل محبب الى غرائزه ــ ويقل ظهور عنصر التحكـــم هذا كلما نما ضمير الانسان و اكتمل منهجه الأخلاقى)(٣)

---

(١) أ.س . رابوبرت ، مبادىء الفلسفة ، مرجع سابق، ص ١٧٨

(2) Emile Durkheim, L'education morale, Paris, 1925, p. 36.

(3) J.C. Flugel, Man Morals and Society, op. cit., p. 29.

وبذلك يعتبر الضمير فى نظر أصحاب هذا المذهب متفاوتا بتفـــاوت الافراد والجماعات ،ومختلفا فى أمة أو بيئة عنه فى أمة أو بيئة أخـــرى ،لان الانسان فى نظرهم هو وليد مجتمعه وأن الحياة الاجتماعية تنشئ بالتالـــى الضمائر ، وأن لكل مجتمع عرفه وتقاليده ونظمه المتفق عليها والتى تختلف من مجتمع لاخر، وأنه بمقتضى هذه التقاليد والنظم تتحدد قيمة الفعل ـ كمـا يتحدد الجزاء عليه فى مجتمع وتختلف عن أى مجتمع آخر ـ كما أن الضميـر يتطور من الاقل الى الاكثر أو من الشر الى الخير بالتجارب والمران عبـر تاريخ الانسان. (١)

وقد وجه مجموعة من العلماء وفلاسفة الأخلاق نقدا شديدا لهـــذا المذهب لاتجاهه نحو انكار فطرية الضمير وتقرير كسبيته بالاتى :

١ ـ لو كان الضمير كسبيا كما يقرر أصحاب هذا المذهب لوقع اختلاف بين الشعوب فى تقييم الفضائل والرذائل باختلاف العصور أو باختـــلاف البيئة بين الامم والمجتمعات المختلفة،و انما الحقيقة والواقع تثبـت بأن الطبيعة الانسانية واحدة لكل البشر ـ وأن جميع الشعـــوب متفقون على المبادئ الأخلاقية العامة فى مختلف فترات الزمـــان وفى كل المجتمعات ، واذاكانت هناك بعض الاختلافات بين مجتمـع وآخر ـ فهو تفاوت فى مسائل جزئية لا تؤثر على الأصول الاساسية للأخلاق المقررة وقواعد السلوك العامة(٢) ـ وهذه الأصول أوالمبادئ العامة للقيم الاخلاقية التى يتفق عليها جميع الشعوب هى التـــى يعتمد عليها المشرعون والمصلحـــون ، وهى كذلك الأساس فى احترام القوانين ، ووجوب طاعتها من الناس جميعا ـ مثل اعتبار السرقـــة والقتل واهدار كرامة الانسان والكذب والاساءة فى استعمال الحـــق والظلم ، وغير ذلك من المبادئ الغير أخلاقية ، التى تقـــررت وتعارف عليها جمنيع الشعوب على مر التاريخ ، وصال وجال فيهـــا

---

(١) محيالدين بن عربى الحاتمى الطائى ، تهذيب الاخلاق، مرجع سابق ص ٦٣.

(٢) ارسطوطاليس ، علم الاخلاق الى نيقوماخوس ، مرجع سابق، ص ٩٠ ـ ٩٢.

معظم فلاسفة الأخلاق [١] ، وركزت عليها كل الاديان السماويـــة وكافة المعتقدات الدينية بأسلوب متحد لاخلاف فيه بين كل البشر.

٢ – ان نظرية الفيلسوف دوركهيم التى أيد بها هذا المذهب قد ثبت فشلها كما أنه تراجع عنها بعد أن تعرضت لهجوم شديد من معظم علماء (الجمعية الفرنسية للفلسفة) وخاصة من جانب بارودى وبرونشفك – على اساس أنه لا يمكن التسليم كما قرر دوركهيم بأن القيم الموجـــودة فى الضمير الفردى المكتسب هى بعينها السائدة فى المجتمع الـــذى ينتسب اليه الفرد، والا لتساوت الضمائر فى المعـــايير التى تتخذها مقاييس للأخلاق ، حيث أن الشاهد الذى لاشك فيه يؤكد بـــأن هناك تفاوتا بين الضمائر فى المعايير – لان ضمير العامى مـــن الناس ليس مساويا لضمير المثقف أو العالم، وضمير من ينتسب لطبقة اجتماعية معينة ، ليس هو من نوع ضمير من ينتسب الى طبقـــة أخرى اجتماعية، بل فى الأسرة الواحدة والطبقة الواحدة تتفـــاوت معايير الضمائر تفاوتا شديدا ، وبأنه لايتفق مع الواقع فى شـــئ أن يقال انها متساوية فى تقديرها لما هو خير ولما هو شر ، ولما هو حسن ، ولما هو مستهجن قبيح – وان ذلك لدليل على أن مـــا يؤلف الضمير ليس هو ما يفرضه المجتمع من قيم ومعايير ولا مـــن أوامر ونواه. [٢]

٣ – اذا كان كما يقول أصحاب هذا المذهب بأن الضمير يتطور مـــن الاقل الى الاكثر أو من الشر الى الخير نتيجة استنادهم الى نظرية التطور والارتقاء – وما قرره الفيلسوف الاجتماعى هربرت سبنســـر (١٨٢٠ – ١٩٠٣م) أحد أنصار مذهب التطور للعوامل الاجتماعية [٣]

---

(1) Masaharu Anesaki, History of Japanes Religion with Special Reference to the Social and Morale Life of the Nation, op. cit., p. 7.

(٢) د.عبدالرحمن بدوى، الاخلاق النظرية ١٩٧٥، مرجع سابق ص٦٥

(٣) أ.س. رابوبرت ، مبادئ الفلسفة ، مرجع سابق ص ١٧٨.

فان معنى ذلك ان عملية تطور الضمير عملية بيولوجية ، ويمكن من خلالها أن يشترك الحيوان جنبا الى جنب مع الانسان ليكتسب هذا الضمير مع التطور الذى يلحق به مع مرور الزمن — لان الحيوان يتكيف مع البيئة مثل الانسان — وهذه النتيجة لايمكن تقريرها ، لان الحيوانات الاليفة نفسها ، والتى نقوم بتربيتها وتدريبها لا تمتثل للأخلاق فى تصرفاتها ، بل تمتثل للعقاب والاذى للابتعاد عن ارتكاب الشرور ، وعلى ذلك لايمكن قبول تطور الضمير على الاساس الذى يردده أنصار هذا المذهب. (١)

ويقول المرحوم الاستاذ الدكتور محمد بيصار بأنه (أمام هذه المذاهب وما تردد فيها من آراء وما وجه لها من انتقادات ، يمكن أن يستخلص منها كلها مع استبعاد ما كان مثارا للنقد والاعتراض ، نتيجة كاملة وهى القول بأن الضمير قوة فطرية فى كل انسان باعتباره جرثومتها وأصلها وان كان للتربية العقلية و الادبية دخل فى نموها وتحقيق كمالها) ، ويستند فى ذلك لقول الامام الغزالى عندما قام بتسمية الضمير أولا بأنه (نورا الهيا) ، بما يمكن تفسيره بأنه قوة فطرية ، وعندما سماه ثانيا بأنه (معرفة) ، بما يمكن القول بأنه قابل كذلك للتأثر فى نموه ، وكمال حقيقته ، بعوامل التربية. (٢)

واذا كان رأى الاستاذ الدكتور محمد بيصار يعد من وجهة نظرنا من أفضل الاراء — بأن الضمير قوة فطرية فى الانسان يولد به ، وأن لعوامل التربية العقلية والادبية دخلا كبيرا فى نموه وتحقيق كماله — الا أننا نرى بأن القوة الفطرية للضمير واحدة فى الطبيعة الانسانية لكل البشر ولا نتفق مع بعض علماء الاسلام الذين قالوا انه لابن آدم ثلاث أنفس . نفس مطمئنة ، ونفس لوامة ، ونفس امارة — وأن منهم من تغلب عليه هذه ومنهم من تغلب عليه الاخرى ، ويحتجون فى ذلك بقوله تعالى: (يا أيتها النفس المطمئنة) ، وبقوله تعالى : (لاأقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) (٣) وبقوله تعالى (ان النفس لامارة بالسوء) (٤) لان

---

(١) د. عبدالرحمن بدوى ، الاخلاق النظرية ١٩٧٥ ، مرجع سابق ، ص ٧٢

(٢) د. محمد بيصار ، العقيدة والاخلاق ، مرجع سابق ، ص ٢٢٦

(٣) سورة القيامة ، الاية ١ ، ٢

(٤) سورة يوسف ، الاية ٥٣.

الحقيقة أن النفس واحدة(ضمير واحد) ،ولكن لها صفات فقط وتسمى باعتبار كل صفة باسم، فتسمى مطمئنة باعتبار طمأنينتها الى ربها بعبوديتهاله ومحبتهاله وللانابة اليه والتوكلعليه والرضا له ، والسكون اليه، لكى يزول عن الضمير القلق والانزعاج — أما النفس اللوامة فقد اختلف فيها الرأى فالبعض قال انها التى لا تثبت على حالة واحدة ، أى مترددة كثيرة التقلب والتلون ، وآخرون قالوا ان المقصود بها اللوم ، وبأن المؤمن لاتراه الا يلوم نفسه دائما مثل ان يقول ما أردت هذا، لما فعلت هذا، كان غير هذا أولى..

أما النفس الامارة : فهى للانسان البالغ حيث تأمره بعمل السوء الى أن يوفقها الله ويعينها يتخلص الانسان من شر نفسه — قال تعالى (وما أبرىء نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم)[١] .. وقال تعالى :(ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا)[٢] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلله فلا هادى له) وبذلك فالنفس (الضمير) قوة فطرية واحدة للطبيعة الانسانية لكل البشر[٣] — أى قوة متساوية لكل الناس من حيث الفطرة ، ولم يولد أحد بقوة ضمير أكبر أو أقل من مولود آخر — وفى هذا قال شيشيرون Cicéron أعظم فقهاء الرومان فى كتابه عن القوانين (انماخلقنا لاقامة العدل فنحن لا نسن القوانين بمحض الرأى بل بدافع الفطرة) . اى فطرية الضمير الواحدة فى كل الشعوب[٤] .

---

(١) سورة يوسف الاية ٥٣

(٢) سورة النور الاية ٢١

(٣) ابن القيم (محمد بن أبى بكر بن أيوب) الروح ، تحقيق وتعليق د. محمد أنيس عباده، د. محمد فهمى السرجانى ، الناشر مكتبة نصير ش الازهر بالقاهرة(غير محدد سنة الطبع) ص٣٥٢–٣٦٣

(٤) د. عمر ممدوح مصطفى ، القانون الرومانى ،الطبعة الخامسة ١٩٦٥ ١٩٦٦ ، دار المعارف بالقاهرة ، ص ٥.

ولكن اذا كان الضمير قوة فطرية لكل البشر ـ الا أنه هناك عوامل خارجية تؤثر فى نموه وتحقيق كماله ـ وهى عوامل التربية العقلية الادبية التى تعمل على اتساع دائرة العلم و المعرفة للانسان ـ وهنا قد لايتساوى الناس المدركون البالغون فى درجات هذه القوة (الضمير) حيث يختلفون بقدر ما يحصلون عليه من تلك العوامل التى تعمل بصفة مستمرة عند الحصول على المزيد منها على تنوير البصيرة وكمال الضمير الانسانى، وهذا هوالاتجاه العلمى والفلسفى الحديث لدى معظم العلماء المعاصرين الذين يطالبون بضرورة عناية المربين والمرشدين لدى جميع الشعوب بتكوين الخلق واحياء الضمير الإنسانى ـ عن طريق تطبيق قواعد الأخلاق العامة واختيار افضل البرامج فى شئون التربية والتهذيب بأسلوب متحد ومتفق عليه لدى كل الدول (١) .

وقد أكد جميع علماء النفس ، واتفقوا فى الرأى على ان هذه العوامل تستطيع أن تقوم بدور فعال فى تحقيق الدراية واتساع دائرة المعرفة التى تساعد على الاحياء الدائم لضمير المجتمع الدولى من أجل التغلب على المشاكل والمنازعات الدولية لتتجنب الشعوب عوامل الشر، وأهمها ـ الحقد والكراهية والحروب المدمرة التى اشتعلت بينهم ، وذاقوا مرارة نارها ويتجهون نحو السلام الدائم Eternal Peace والمحبة love والتعاون service والأخوة brotherhood

ونؤيد هذا الاتجاه على أساس انه،اذا كانت كل الشعوب متساوية فى قوة فطرية الضمير ـ فانه يمكن أيضا ان تتساوى فى قوة احيائه ونموه نحو الكمال perfection بعوامل ثقافية واحدة ـ من خلال أعداد برامج متحدة تتفق عليها كل الدول . (٢)

---

(١) أ٠س ٠ رابوبرت ، مبادىء الفلسفة ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ .

(٢) أوتو كلينبيرج ، البعد الانسانى فى العلاقات الدولية . مرجع سابق ، ص ٥ ـ ٦ .

المبحث الثاني

السلوك Conduct - Etiquette - Manners

اذا كان الضمير (العنصر الأول للأخلاق) فى حقيقته وذاتــــه — قوة كامنة وحالة باطنية ، أوأمرا داخليا تشتمل عليه النفس — فان أفعال الانسان الظاهرة هى التى تعبر عن تلك القوة الكامنة (الضمير) ، أى أن الأفعال الظاهرة التى يقوم بها الانسان يتم تنفيذها من خلال هـــــذه القوة الكامنة (الضمير) — ويطلق علماء الأخلاق والمتخصصون فى علم النفــس على هذه الأفعال الظاهرة للإنسان أسم (السلوك) . (١)

والافعال الظاهرة للانسان لا تسمى سلوكا الا اذا كانت صـــادرة منه بارادة حرة (Free Will) — اما اذا صدرت عن غير ارادته أو من غير تفكير أو اتزان عقلى ، فانها لا تسمى سلوكا — وانما تعتبـــر تصرفا يندفع اليه من خلال غرائزه التى يشترك فيها مع الحيوان على السواء — وبالتالى لايعتبر سلوكا من صدر منه فعل وارداته مقيدة أو مفقودة أوسلبـت منه . (٢)

والارادة الحرة هى التى يسبقها تفكير ويقترن بها شعور نحو غايـــة معينة — حيث لايمكن أن يقوم الانسان بفعل خير ، أو ارتكاب جريمــــة ويعتبر ذلك سلوكا منه الا اذا كان مريدا فى الحالتين أى ارادته حرة — كما لايمكن التوقع فى الحصول على عدل من شخص غير حر الارادة — لان الارادة الحرة تتطلب أن يكون الانسان عالما بمايفعل (٣) — وبالتالى فبدون الحريـــة فى الارادة لايوجد سلوك ، ولايكون هناك أخلاق ، ولا ابداع ، ولا اتقان ، ولا وا جب . (٤)

---

(١) د . رؤوف عبيد ، مبادئ علم الاجرام ، مرجع سابق ، ص ٨ .

(٢) أ . س . رابوبرت ، مبادئ الفلسفة ، مرجع سابق ، ص ١٨٥ .

(٣) ارسطوطاليس ، علم الاخلاق الى نيقوماخوس ، مرجع سابق ص ٩٣

(٤) د . مصطفى محمود ، الماركسية والاسلام ، مرجع سابق ، ص ٨ .

وقد عارض علماء كثيرون من بينهم ماكنزى ، ما قرره الفيلسوف الأخلاقى هربرت سبنسر، فى تعريفه للسلوك بأنه (مجموعة الأعمال الحيوانية المتجهة نحو غاية) ـ على أساس ان هذا التعريف لا يقتصر على أعمال الانسان الارادية التى هى موضوع علم الأخلاق، وانما يشمل كذلك أعماله الغير ارادية التى لا تعتبر سلوكا، بل هى تصرف يندفع اليه الانسان بطابع الغريزة الغير مقرونة بتفكير ولا شعور.(١)

ويقول الاستاذ محمد يوسف موسى ـ رحمه الله ـ فى كتابه مباحث فلسفية فى الأخلاق عن درجات التوجه والتنبيه عند الكائنات المختلفة (بان امتداد جذور النبات الى أدنى طلبا للغذاء ، وامتداد الاغصان والفروع الى أعلى طلبا للضوء والهواء يسمى حاجة ، وتطلع الحيوان الى مابه قوام حياته وادراكه المحدود لمقومات وجوده ، دون شعور بالغاية المترتبة على تحصيلها يسمى شهوة .

أما الانسان فاننا نجده يسعى الى ما يحتاج اليه وهو شاعر تماما به، متصور اللذة التى تعقب وجوده والألم الذى ينتابه لفقده ـ وأنا الانسان فكر فيما يرغب فيه وراه ممكنا وذلل ما قد يكون بينه وبين نيله من عقبات ، ثم أجمع أمره عليه وارتقى ذلك الاتجاه فيسمى (ارادة) ـ وعلى ذلك فالفرق بين الرغبة والأرادة يتضح من أن الرغبة قد لايتلوها العمل المثمر ـ حيث ربما يرغب الانسان فى أمر يستحيل الحصول عليه أما الارادة فلا تتكون الا حين يتروى الانسان فى الأمر، ويزن جميع الظروف والملابسات ، ثم بعد ذلك يراه ممكنا فيعزم عليه فيعقبها العمل أوالفعل ،وهو ما يسمى سلوكا) .(٢)

وعلى ذلك اصطلح علماء الاخلاق على استعمال كلمة السلوك فى الدلالة على أعمال الانسان الارادية الظاهرة المتجهة نحو تحقيق غاية معينة

---

(١) د. محمد بيصار، العقيدة والاخلاق ، مرجع سابق ص ٢٢٧.

(٢) مشار اليه فى مؤلف محمد الغزالى(عقيدة المسلم) مرجع سابق ، ص ١٦١، ١٦٢.

مقصودة ، وأصطلحوا كلمة الخلق فى الدلالة على الضمير الذى يمثل الأمور الباطنية،وأن العلاقة بين السلوك ، والخلق (الضمير) هى علاقة الدال بالمدلول ، أو الأثر بالمؤثر فيه — مع الملاحظة بأن السلوك المعبر لا أهمية له الا من خلال الأعمال التى يقوم بها الانسان بالفعل.[١]

ومعنى ذلك أن الضمير يؤثر فى سلوك الانسان ، وذو فاعلية بالنسبة له — وصدور السلوك ناتج من دوافع الضمير (الخلق) — فاذا كان السلوك حسنا كانت الأخلاق حميدة ، واذا كان السلوك غير حسن كانت الأخلاق غير فاضلة[٢] — ونصل بذلك الى نتيجة بأنه لكى نحكم على شخص أو شعب معين بانه ذو خلق حسن أى يتحلى بالفضيلة ، لا يكون الا عن طريق السلوك من حيث تقدير وموازنة الأعمال الارادية التى ترتكب وتكون مقرونة بتفكير وروية ومزودة بالشعور نحو تحقيق غاية مقصودة[٣] — انما اذا لم ترتكب أى أعمال ظاهرة صادرة من ارادة حرة، فلا يمكن الحكم على الخلق ، لانه قوة كامنة، أو أمور باطنية لايمكن رؤيتها أوالأحساس بها بالنسبة للآخرين[٤] — وبالتالى فتقييم الأخلاق من الناحية الموضوعية لفرد أوشعب لايكون الاعن طريق السلوك — لان الخلق فى حقيقته وذاته أمر باطنى أو داخلى تشتمل عليه النفس كصفة تقوم بها ، وتطبعها بطابع معين يميل بها اما الى فعل الخير، واما الى فعل الشر — وهذا الامر الداخلى أوالباطنى لايمكن تقديره أو الحكم عليه موضوعيا ، الا اذا صدر عنه فعل بارادة حرة — ليكون سلوكا معبرا بوضوح ، عن الأخلاق الكامنة التى دفعت الى ارتكابه.

---

(١) برتراند رسل ، حكمة الغرب ، مرجع سابق ، ص ٢٧٨

(٢) الامام محيى الدين بن عربى الحاتمى الطائى ، تهذيب الاخلاق ،مرجع سابق ص ١٢.

(٣) أ.س. رابوبرت ، مبادئ الفلسفة، مرجع سابق ، ص ١٨٧.

(٤) د. رؤوف عبيد ، مبادئ علم الاجرام، مرجع سابق ، ص ١٨٣ ، ومابعدها.

وهذا هو التعبير الموضوعى للأخلاق والحكم عليها سواء بالنسبة للفرد أو بالنسبة لشعب ، والذى نعتقد به حتى لاندخل فى الجدل والمناقشات الفلسفية نحو الأمور الباطنة للأخلاق ما دمنا لا نستطيع الحكم عليها الا من خلال الأعمال الظاهرة الصادرة عن الارادة الحرة، التى تعطى صورة واضحة للخلق الدافع لها فى إطار عام ، ومحدد البيان للنفس ومدى جنوحها اما الى الخير أوالى الشر – والدليل على ذلك أن جميع الأحداث التى مرت بها الشعوب منذ العصور القديمة حتى عالم اليوم وتم تقييمها من حيث الأخلاق، كانت عن طريق السلوك أى الاعمال أو الافعال الظاهرة التى صدرت عن هذه الشعوب .(١)

ولذلك يجمع العلماء على أن دراسة أى ظواهر سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية لتحديد مدى علاقاتها بالأخلاق ، لاتكون الا عن طريق تصرفات البشر الارادية أى بدراسة سلوكهم للحكم على تلك الظواهر وعلاقتها بالأخلاق العامة.(٢)

واذا كنا قد وصلنا بأن الانسان ولد وطبيعته مفطورة على الخير من خلال كيانه وطابعه الانسانى طبقا لما عبرت عنه كافة الشرائع السماوية، وما أشار اليه بالدليل القاطع بعض الفلاسفة وعلماء الأخلاق فى كل المجتمعات وعلى مر العصور المختلفة حتى عالم اليوم – فان ذلك هو الحد الذى لانستطيع أن نتجاوزه فى الحكم على الفطرة – انما اذا ارتقى الانسان بأخلاقه الفاضلة التى فطر عليها، أو انحرف عنها نتيجة العوامل الخارجية (التى سبق الاشارة اليها) – فاننا لايمكننا الحكم على مدى هذا الارتقاء أو الانحراف بأى مقاييس شكلية أوموضوعية تحدد ما يتمتع به من فضائل أو ما يطويه من رذائل

---

(١) رالف ب . وين، قانون جون ديوى للتربية ، مرجع سابق ، ص ٣٧٨

(٢) دين جاروس ، لورنس ف . جرانت ، السلوك السياسى، الاختبارات والروءيات ترجمة واعداد مركز البحوث والمعلومات بالقاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٧٢ – (المقدمة) ص ٤٠

مادامت حبيسة فى داخلهولم يظهرها بأى فعل ارادى نحوغاية محددة.

وهذا هو ما انتهى اليه زيجمند فرويد Sigmund Freud (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩) فى تفسير نظريته عن السلوك الإنسانى بانه لابد أن يكون ظاهرا لكى يعتد به ـ واكده استاذ الفلسفة الأمريكى جون ديوى John Dewey (١٨٥٩ـ ١٩٥٢) عندما قام بتفسير الصورة المعدلة للنظرية البرجماتية التى سيطرت على الفلسفة الامريكية خلال القرن التاسع عشر، (بعد أن صاغها الفيلسوف الامريكى تشارلز ساندرز بيرسى Charles Sanders Peirce الذى ولد عام ١٨٣٩، فى إطار موضوعى عن الظاهرة وكيف نشأت وكيف جاءت من خلال النتائج العملية فى عالم الواقع) بأن الافعال الظاهرة هى مقياس الحكم على الفكرة الكامنة، فاذا انتجت عملا صالحا كانت فكرة صائبة ، واذا انتجت عملا سيئا فهى فكرة خاطئة ـ وبالتالى يتحدد السلوك المعبر عن الخلق (الضمير). (١)

والنظرية البرجماتية التى صاغها بيرسى وعدل صورتها جون ديوى ما هى الا فكر متطور للفلسفة النفعية التى برزت من خلال (بنتام ، ومل) لانالفعل عندهم يكون اما فضيلة أو رذيلة حسب ما يترتب عليه من نتائج تسعد الناس أو تشقيهم ـ فاذا نشأ عنه أكبر قدر من السعادة لاكثر عدد من الناس فهو فعل فاضل ـ وعلى هذا المنهج قال بيرسى(ان الأفكار اما أن تكون خططا للسلوك العملى ، أو لا تكون شيئا على الأطلاق ـ فاذا أعطت سلوكا عمليا بالفعل ويحكم عليها الناس بالمشاهدة من خلال ما تحقق من نتائج خيرا أوشرا (لان السلوك دائما ظاهر) ـ فان ذلك يعد سلوكا ناتجا عن فكرة كامنة ، أما اذا لم نحصل عمليا وموضوعيا على

---

(١) كان بيرسى من علماء الرياضة والفلك فى أمريكا ـ ودرس الرياضة والطبيعة فى هارفارد ، واشتغل باحثا علميا ـ وتعلق بتخير الالفاظ العلمية التى لاتصادف شعبيه ، واستند عليها فى ابحاثه.

(٢) برتراند رسل ،حكمة الغرب ، مرجع سابق ص ٢٨ ومابعدها.

أى سلوك ظاهر فى حدود الخير أو الشر ـ فان الفكرة هنا لاتكون شيئا على الأطلاق ، ويحكم عليها بأنها زائفة ـ حيث يستحيل الوصول الى حكم تقديرى لها ـ لانه لم يصدر عنها السلوك الذى يعد المصدر الأساسى للحكم على الخلق) ـ وبذلك فجوهر برجماتية بيرسى فى مجال الأخلاق يظهر من خلال منهجه فى القول (بانه لامعنى للخلق ولا أساس لاعتقاد، الا اذا كان لذلك الخلق أو لهذا الاعتقاد خطة سلوكية يمكن أداوءها وتظهر نتائجها واما اذا كان غير ذلك ، فلا يمكن اعتبارها أو الوصول لحكم يطبق عليها) .

وبذلك يتضح ان فلسفة بيرسى عن الأخلاق والتى صاغها من خلال نظريته البرجماتية ما هى الا صورة متطابقة لفلسفته النظرية النفعية من حيث المضمون لان كلاهما كما تبين لا يعتد بالأخلاق الا من خلال السلوك وما يتحقق عنه من نتائج سواء كانت خيرا أو شرا .

وما يوءكد ذلك أيضا أن وليم جيمس الفيلسوف الأمريكى الذى قام بعد بيرسى بتكملة البنيان الفكرى للبرجماتية ـ قد قال صراحة (ان البرجماتية اسم جديد لطريقة قديمة فى التفكير) A new name for some old ways of thinking ـ أى أنها امتداد للفكر النفعى ، وترتكز موضوعيا على أن المقياس الخلقى للفرد هو عمله من خلال السلوك الظاهر المحقق لنتيجة (١) .

واذا كان السلوك هو المعبر عن الخلق الذى يدفعه ، فان هذا السلوك هو عبارة عن فعل ، وهذا الفعل قد يكون قولا أو عملا ، فالكذب مثلا من الأفعال أو من السلوك الغير أخلاقى ، والصدق من سلوك الأخلاق الحميدة ، وان كان كل منهما فعلا قوليا ، وأيضا الشكر والذم وحسن الكلام

---

(١) د. سعد محمد الشناوى ، مدى الحاجة للاخذ بنظرية المصالح المرسلة فى الفقه الاسلامى ـ فقه مقارن ـ مقارنات والفكر الغربى ، الجزء الاول ، الطبعة الثانية ـ ١٩٨١ ، ص ٤١٤ ومابعدها .

عبارة عن أفعال قولية وتعتبر سلوكا مثل الافعال العطية كالشجاعة والكرم، أو القتل أو السرقة ــ لا ن جميعها أفعال صادرة عن ارادة سلوكية كما يردد أصحاب المذهب السلوكي[١].

ونستخلص من ذلك أن الحكم الموضوعي على أي فرد أو على أي شعب من حيث الضمير أومستوى الأخلاق لايكون الا عن طريق السلوك ــ والسلوك هو عبارة عن الأعمال الظاهرة (قولا أوفعلا) الصادرة عن ارادة حرة سليمة غير مقيدة ولا مسلوبة ، ويتحقق منها غاية أو نتيجة.

بعض العلماء قد أشاروا بأن الخلق لاينفرد كاملا بالتأثير في سلوك الانسان ، وأن هنالك عوامل وظروف يتوقف عليها تكييف الصلة بينهما ، وفاعلية الأول في الثاني ــ وقرروا بأنه ليس من المؤكد أن يكون السلوك هوالتعبير الكامل عن الأخلاق ــ مثل انه ليس من الضروري كلما وجد لدى الإنسان خلق السخاء أن يسخو فعلا ــ بل قد يتخلف عن ذلك لضيق اليد مثلا ، أو كلما اشتملت نفسه على خلق العدل أن يعدل فعلا ــ لانه قد يعجز عن تحقيق العدل بين الناس ، أو من لديه الشجاعة أن يكون شجاعا فعلا ــ لانه قد يعجز (نتيجة تعرضه لمرض) عن فعل النجدة أوالشجاعة قبل الآخرين .[٢]

الا أننا نرى أن هذا الرأى قد جانبه الصواب ، لان العلاقة بين السلوك والخلق (الضمير) علاقة الدال بالمدلول من الناحية الموضوعية ، وليس من الناحية الشكلية أو بالمقاييس الحسابية التي تتطلب دائما التوازن الكلي في هذه العلاقة ــ كما أن الأتصال العقلي بالواقع عن طريق السلوك يعبر عن الداخل بصفة تقديرية تؤدى الى التقارب بين الظاهر والباطن ، أو بين المعروف والأمر الذى أدى الى ظهوره بحيث يصبحان كيانا واحدا[٣]

---

(١) دين جاروس ، لورانس .ف . جرانت ، السلوك السياسي، مرجع سابق ، ص ٣٠

(٢) د. محمد بيصار ، العقيدة والاخلاق ، مرجع سابق ، ص ٢٢٧.

(٣) د. محمد بيصار العقيدة والاخلاق ، المرجع السابق ،ص ٢٢٧.

والكيان الواحد هو الأخلاق ، والمعروف هو السلوك والامر الذى أدى الى ظهوره هو الأمر الباطن المتمثل فى الضمير .

هذا بالاضافة أن جميع الشرائع السماوية، وعلى الأخص المبادىء الاساسية فى الاسلام — تؤكد بأن الانسان لايكلف الا بما فى استطاعته أن يفعله ، ولا يقوم بأى عمل حتى ولو كان واجبا عليه الا اذا كانت قدرته تتحمل تنفيذه .. قال تعالى(لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) .(٢)

أى أن الانسان لايكلف القيام بعمل الا اذا كانت قدراته وامكانياته الجسمانية والعقلية قادرة على تنفيذه والا هلك — فاذا كان الانسان على خلق فاضلة واراد أن يعبر عن ذلك بفعل الخير، ولكن لم يستطع لامور خارجة عن ارادته — فلا يقال هنا بأن العلاقة بين السلوك والخلق قد انفصلت ، كما أنه اذا لم يأت بعمل ظاهر (أى سلوكا واضحا) تكون العلاقة بين الدال والمدلول غير موجودة — وبالتالى لايمكن الحكم على مقدار ما يتحلى به من أخلاق لانها تكون كامنة فى النفس لم تظهر خارجيا لعدم وجود الوسيلة وهى الارادة الحرة القادرة(٣) — مثل الذى لديه خلق السخاء ولكنه لم يسخ لضيق يديه — فانه لم يرتكب سلوكا يحاسب عليه ، لانه ليست لديه الامكانيات التى يستطيع بها أن يحقق أو ينفذ فعلا من دوافع أخلاقه الحميدة — وبالتالى لايمكن الحكم عليها — وأيضا اذا اشتملت نفس الانسان على خلق العدل، ولكن لعوامل أو أمور خارجة عن ارادته أعجزته عن تحقيقه بين الناس — فانه لايمكن أيضا محاسبته — مثل الانسان العادل الذى تتقيد ارادته بالسجن ، ويعجز عن توجيه تصرفاته بصورة صحيحة(٤) ، أو يفرض

---

(١) برتراند رسل، حكمة الغرب ، مرجع سابق ص ٢٨٦

(٢) سورة البقرة ، الاية ٢٨٥.

(٣) رالف ب . وين، قاموس جون ديوى للتربية .. مرجع سابق ص ٣٩

(٤) د.رؤوف عبيد ، مبادىء علم الاجرام، المرجع السابق ، ص ٣٠٩.

عليه تهديد بقتله اذا ارتكب سلوكا عادلا فى موضوع معين، أو يصاب بمرض يجعله غير قادر على التوفيق بين أفكاره وشعوره وبين ما يحيط به ، وفى ذلك يقول ارسطو ان (الانسان العادل لايكون عمله أو سلوكه عادلا الا اذا كان صادرا من ارادة حرة و سليمة) .(١)

ويقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان) .. ومعنى هذا أن الانسان لا يفعل الا مايستطيع ان يقوم به أويوءديه من عمل طبقا لامكانياته ــ ويقول الفيلسوف ماكنزى فى كتابه عن الاخلاق .. (ان مجرد باعث خير أو عرض نبيل فى حياة الانسان ، فلا يكفى لجعله فاضلا . بل لابد من العمل الصالح وجوبا)(٢) .. وعلى ذلك فاذا لم ينفذ الانسان الفعل المأمور به من دوافع أخلاقه العادلة فلا يمكن الحكم عليه بأن أخلاقه عادلة، لانها لم تظهر بأى عمل ارادى ــ وبالتالى لايمكن تكييف الصلة بين الأخلاق والسلوك سواء لعدم وجود الارادة أوموجودة ولكن مقيدة أو مسلوبة أو غير سليمة ــ والانسان بلا ارادة حرة لايكون البتة عادلا ولا ظالما .(٣)

وأيضا بالنسبة للانسان الذى تتحلى أخلاقه بالشجاعة ولكن جدت عليه أمور خارجة عن ارادته منعته من ممارسة فعل النجدة أوالشجاعة (مثل المرض) ــ فان الصلة بين السلوك والخلق لا تكون موجودة ، لان المريض الذى اقعده المرض واضعف من قواه لم يمارس الشجاعة، أو لم يعبر بسلوكه عن دوافع أخلاقه الكامنة .

---

(١) ارسطوطاليس ، علم الاخلاق الى نيقوماخوس ، المرجع السابق ، ص ٩٣.

(٢) محمد الغزالي : عقيدة المسلم ، المرجع السابق ، ص ١٦٤.

(٣) ارسطوطاليس ، علم الاخلاق الى نيقوماخوس ، المرجع السابق ، ص ٩٤.

ومن ناحية أخرى لايشترط أن تكون العلاقة بين الخلق والسلوك علاقة توازن حسابية — فالانسان الذى يتحلى بخلق السخاء، وأراد أن يتبرع بمائة جنيه فى عمل من أعمال الخير — ولكنه اكتشف أنه لايحمل فى يديه من المال سوى مبلغ خمسين جنيها فقط فتبرع بها — فان سلوكه فى هذه الحالة يعبر عن خلق السخاء الذى يحمله من الناحية الموضوعية ،ولا يمكن القول بأن خلقه غير مطابق لسلوكه — لان العبرة بالظاهر أولا حيث لايمكن لاى شخص ان يعلم ببواعث الاخر الداخلية — وانما من خلال السلوك يكون الحكم على الخلق — فسواء تبرع الشخص فى عمل الخير، بأى مبلغ ، فهو من الناحية الموضوعية وبدون الدخول فى الجدل ومتاهة الغيب هو شخص لديه خلق السخاء، وان كان فى نيته أن يتبرع بأكثر من ذلك — لانه لايمكن أن نعتد بتلك البواعث مادامت أمورا باطنية — ويحال على أى انسان أن يحكم بمقدارها حسابيا الا اذا ظهرت خارجيا — وفى ذلك يقول الاستاذ محمد يوسف موسى فى كتابه مباحث فلسفية فى الأخلاق —(من غلب عليه حب العطاء وأعطى كثيرا ، ولم يبخل الا قليلا كان كريما — وكذلك الصدق والكذب وسائر الفضائل والرذائل) .[1]

وبذلك فخلاصة رأينا — أن العلاقة بين الخلق والسلوك علاقة موضوعية تقديرية ، وليست شكلية ولا حسابية — وبأن الضمير (الخلق) يؤثر فى السلوك ويحركه ، وان السلوك يدل ويعبر عن الخلق — والحكم على الظاهر يدلل ويوضح ما يملكه الباطن من بواعث القيم والمبادىء الأخلاقية.

واذا كان هذا الرأى يتشابه مع اتجاه انصار ومؤيدى المذهب السلوكى القائل بأن سلوك وتصرفات الانسان هى المجال الحقيقى لدراسة علم النفس ، ووضع نظرياته[2] . (أى دراسة الانسان طبقا لمنهج السلوكيين تكون عن طريق رصد سلوكه وتصرفاته) — الا أننا نختلف عنهم لان المذهب السلوكى يقوم

---

(١) مشار اليه فى مؤلف / محمد الغزالى(عقيدة المسلم) مرجع سابق ، ص ١٦٤.

(٢) دين جاروس ، لورانس ف. جرانت ، السلوك السياسى ، الاختبارات والمؤيدات ، مرجع سابق ، ص ٣ ومابعدها.

دراسة سلوك الانسان وتصرفاته فقط كدليل عليه – دون النظر نحو فحص أفكاره ودوافعه ومشاعره التى تمثل جوانب هامة من طبيعته الإنسانية – لانه كما تبينا أن أخلاق الانسان تتكون من عنصرين ضمير ويطلق عليه علماء الأخلاق (خلق) وسلوك ، وأن كلا منهما يوثر فى الآخر، ولايمكن دراسة أحدهما دون الآخر للحكم على طبيعة أى انسان ٠

كما نرفض ما يبالغ فيه الدكتور ميتشنيكوف العالم المحترف عندما قرر بان (العلم وحده هو الذى يمنح الانسان السعادة التى يحلم بها لانه يحقق له الانسجام مع الطبيعة بدلا من التنافر) حيث ثبت فشل هذه النظرية وجميع النظريات والأفكار المشابهة لها التى تجعل الاعتماد على العلم أو العقل أو الاستناد عليهما معا لتحقيق السعادة دون الأخلاق أو أحد عنصريها الضمير أوالسلوك ، لان العقل أوالعلم قد يكونان هما مصدر الاضطرابات أو الفساد٠ (١)

واذا كانت الطبيعة البشرية مفطورة على الخير، وأن عوامل التربية والتهذيب توءدى الى احياء وتنمية الخلق نحو الكمال – وانه يمكن ازالة الفوارق الخلقية بين جميع الشعوب بتوحيد برامج التربية والثقافة التى يقوم بها المربون والمرشدون فى جميع دول العالم ، فان ذلك يوءدى الى اتباع قواعد عامة تضمن السداد فى سلوك الشعوب وتوءثر بالتالى على مجرى العلاقات الدولية وتجعلها تتجه دائما نحو المحبة والتعاون والابتعاد عن اثارة المشاكل والمنازعات واشعال الحروب – التى ينتج عنها الخراب والدمار وتولد الشعور بالاحزان والحقد والكراهية بين الشعوب التى ذاقت مرارتها – وفى ذلك يقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فى حديث له مع بعض الصحابة عن فضل السلوك الحسن وخطر الخصومة والشحناء(الا أدلكم على أفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة) ؟ قالوا بلى يارسول الله : قال (اصلاح ذات البين ، فان فساد ذات البين هى الحالقة، لاأقول : انها تحلق

---

(١) د٠ بارودي ، المشكلة الأخلاقية ،الفكر المعاصر، مرجع سابق ٠ ص ١٤ ومابعدها٠

الشعر ولكن تحلق الدين) أى على المتخاصمين أن يصفيا ما بينهما وفقا لمقتضى الأخوة والمحبة.(١)

ان الحروب والمنازعات وكل المشاكل الدولية ما هى الا سلوك يرتكب من جانب الشعوب وليس سوى ذلك – وأنه لايمكن حل تلك المشكلات فى ميدان العلاقات الدولية، مهما كانت فراسة وكفاءة العلماء والسياسيين والاقتصاديين والمؤرخين أو كل العلماء والخبراء المتخصصين فى العلاقات الدولية – الا بدراسة الأخلاق بعنصريها (الخلق والسلوك)(٢)، حيث أن هناك حقيقة لايمكن الفكاك منها أوالانحراف عنها – هى لا سلم ولا تضامن ولا انسجام بين الشعوب اذا كانت بينهم اختلافات أو فوارق فى بعض المبادىء والقيم الاخلاقية التى تنتج من أختلاف عوامل التهذيب والتربية من شعب لآخر، والتى تؤدى الى اختلاف بعض قواعد السلوك من دولة لاخرى، وتولد الاحساس لدى كل شعب بالعزلة عن الشعوب الأخرى، وبعدم وجود الوحدة الإنسانية.(٣)

ولذلك فاحياء الضمير بأسلوب متحد لكل الشعوب يضمن سداد السلوك الدولى من جانب كل أعضاء الاسرة الدولية، ويبعد الإنسانية عن خطر الهلاك والدمار، وهذا هو ما تتبعه حاليا بعض الدول وخاصة ذات الاطار الاقليمى نتيجة للنداءات المتكررة من جانب علماء النفس والمتخصصين فى دراسة الأخلاق – بعد أن فشلت كل الاساليب والمحاولات الدولية فى منع الكوارث التى الحقت بالبشرية من المعارك الطاحنة التى تولدت من ازمة الضمير، وكانت أشدها شراسة الحربين العالميتين الأولى والثانية.(٤)

---

(١) د. يوسف القرضاوى، الحلال والحرام فى الاسلام، مرجع سابق، ص ٢٦٠.

(٢) اوتو كلينيبرج، البعد الانسانى فى العلاقات الدولية، مرجع سابق ص ١١

(٣) د. بارودى، المشكلة الأخلاقية والفكر المعاصر، مرجع سابق، ص ٢٢٩.

(٤) د. أحمد سويلم العمرى، أصول العلاقات السياسية الدولية، مرجع سابق، ص ٤٣٢.

كما ارتكزت منظمة اليونسكو على هذا الاتجاه بعد أن تفوهت بعبارة مؤداها أن الحروب تبدأ فى عقول الرجال ، وان للعامل البشرى أثرا فى العلاقات الدولية، وانه لايمكن الاعتقاد بأن الحروب لا مفر منها، أو لا يمكن تحقيق علاقات دولية على السلام والمحبة ، والتخلص من كل صور العداء أو العدوان بين الشعوب[1] لان كل الشعوب تنتمى الى طبيعة انسانية واحدة، والإنسانية لو اكتملت صفاتها سوف تجنح دائما الى السلم والتعاون والأخوة .

ولذلك تبذل منظمة اليونسكو جهودا عظيمة من أجل تنمية وارتقاء الانسانية عن طريق القضاء على الجهل الموجود لدى بعض شعوب دول العالم الثالث ، التى تخلفت وانحدرت بعيدا عن العوامل الانسانية نتيجة الظروف التى تعرضت لها وما لحق بها من آثار الظلم والاستغلال الناتج من الاستعمار والتفرقة العنصرية - بالاضافة الى دعوة كل دولة نحو تغيير مناهج وبرامج التعليم والتدريب والتربية على نحو يتقارب موضوعيا مع الدول الأخرى - لكى يتم التمكن من ازالة الفوارق بين الشعوب ،واحياءشعورهم بضرورة التمسك بوحدتهم الإنسانية - والابتعاد عن السلوك العدائى ليسود السلام والمحبة فى كل ما يمارس من علاقات دولية[2] ، والقرآن الكريم به العديد من الايات التىتؤكد ذلك منها قوله تعالى (فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)[3] .

---

(١) اوتو كلينبيرج ، البعد الانسانى فى العلاقات الدولية ، مرجع سابق ص ١٢

(٢) د. يوسف القرضاوى ، الحلال والحرام فى الاسلام، مرجع سابق ، ص ٢٥٩.

(٣) سورة الحجرات ، آية ١٠.

الفصل الثالث

دائرة الأخلاق

اذا كان الضمير قوة كامنة فى النفس ، يحمل القيم والمبادىء الاخلاقية التى تولدت من الفطرة ، ومن عوامل التهذيب والتربية التى تعمل على احيائه ونموه نحو الكمال ، والسلوك هو الذى يعبر عن خروج هذه القوة الكامنة الى عالم الحياة تعبيرا صادقا ــ فان هذا السلوك لا يعتد به الا فى محيط جماعة من الافراد ، أى من خلال علاقة الانسان بالآخرين ــ وهذا يعتبر حتمية منطقية لطابع الانسان الذى يحوم دائما حول علاقته فى المجتمع ، ويتفاعل معه ومع التطور الذى يحدث فيه من خلال سلوكه [١].

وانما اذا عاش الانسان بمفرده ، وانعزل تماما عن الآخرين ــ فان ما يرتكبه من سلوك لايعتد به ، ولايكون معبرا أو مظهرا لاخلاقه [٢] لاننا لو تخيلنا شخصا حكمت عليه الاقدار أن يعيش وحيدا ، وتوفرت له بعض وسائل المعيشة التى يستطيع بها أن يحمى جسده وحياته من الهلاك ، وكان هذا الشخص يتمتع بخلق السخاء أو الكرم ــ فانه لايمكن التوقع أن يرتكب سلوكا يعبر فيه عن ذلك حيث لايوجد أحد معه ــ وأيضا اذا كانت أخلاقه منحرفة واراد مثلا أن يسرق أو يكذب أو ينم فلا يمكن كذلك أن يرتكب سلوكا يعبر فيه عن هذا الانحراف لعدم وجود الذين سيسرقهم أو يكذب عليهم أو ينم فيهم ، لانه منعزل عن الناس ــ وفى ذلك يقول العالم الامريكى بيرسى (تجربة الرجل ليست شيئا اذا كانت بمعزل ــ واذا رأى الانسان ما لايراه الآخرون سمى ذلك هلوسة وتخليطا) [٣].

---

(١) د. محمود السقا ، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية ، الطبعة الاولى ١٩٧٠ ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ص ١٠.

(٢) رالف ب ، وين ، قاموس جون ديوى للتربية . مرجع سابق ص ١٤٩

(٣) د. سعد محمد الشناوى ، مدى الاخذ بنظرية المصالح المرسلة ، مرجع سابق ، ص ٤١٦

وعلى ذلك فاذا كانت الاخلاق هى التى تحدد سلوكنا – وتحدد لنا كيف يجب أن نفصل فى الحالات المختلفة التى تعرض علينا لنضمن لتصرفاتنا السداد – فان المقصود هو توجيه سلوكنا فى محيط الآخرين من خلال ما يتم من علاقات مختلفة – لانه ليس من الناحية الموضوعية وجود سلوك لفرد يعيش منعزلا عن مجتمع ، وأن وجد هذا السلوك فلا يعتد به لانه لايمثل أى تعبير عن الخلق (١) – وما ينطبق على الفرد ينطبق أيضا على مجتمع دولته الذى يعيش ويندمج فيه ، بحيث لايعتد بسلوك مجتمعه فى النطاق الدولى اذا انعزل عن مجتمعات الدول الأخرى ٠

نستخلص من خلال ذلك أن للأخلاق دائرة تشتمل على ثلاثة محاور، ذات ارتباط وثيق ،وكل واحد منها دعامة للآخر– الأول الأخلاق الشخصية ويمثلها خلق الإنسان ذاته ، والثانى الأخلاق الإجتماعية وتتضمن سلوك الإنسان مع الآخرين من خلال دوافعه الذاتية التى تستحثه على الاندماج داخل مجتمع وتكوين علاقات مع أفراده ، والثالث الأخلاق الدولية وتتكون موضوعيا من قيم ومبادىء عامة مستمدة من مضمون الأخلاق الاجتماعية لكل مجتمعات الدول وتتفق عليها وتعتنقها كافة الشعوب لانها تنبع من طابعهم الانسانى

المبحث الاول

الأخلاق الشخصية

والمقصود بها الخلق الذى يتمتع به كل إنسان فى هذا العالم – فقد قضت حكمة الله سبحانه وتعالى ألايخلق الإنسان من مادة فحسب ،ولا من روح فحسب ، وانما خلقه العزيز الجبار مزيجا من مادة وروح – وكان من

(1) E. Durkheim, L'Education Morale, op. cit., pp. 42-43.

الطبيعى أن يكون لكل منها مطالبه ومقتضياته لدى الإنسان – فالـــروح تستحثه دائما على تحصيل الفضائل ، وتبنى القيم الروحية والمبادىء الانسانية السامية ، واعتناق تعاليم الاديان السماوية فى كل ما يأتى منها من أقــوال وأفعال أو خواطر – أما جانبه المادى فيجعله يسعى الى كل ما هـــو ضرورى من المقومات الأساسية التى تساعده على الحركة والنشاط والعمل ليتحقق له الخير والرفاهية بشكل دائم ومستمر.(١)

والأخلاق الشخصية بالتالى تدور حول الإنسان نفســه دون أن يتدخل أحد فيها بالالزام أوالجبر – أى هى محور واجب الانسان نحـــو نفسه – ولهذا قال الفيلسوف الانجليزى شافتسبرى(٢) (اذا سألنى سائـل وقال لماذا ينبغى أن يكون الانسان شريف النفس محبا للفضيلة فى الخفـاء مع نفسه هو دون تأثير من أحد.. فان الرد على هذا ، بأن الانســان احساس ، ونفسه الانسانية تشمئز من الدنس والرذيلة أو الأخلاق القبيحـة ، لانها تحط من درجاته)(٣).

وعلى ذلك فالانسان يتطلع دائما الى احترام تلك النفس التى يقـدر قيمتها ، فيقدم نحوها كل ما يليق بها من احترام وتقدير، ويسعى عـــن طريق ضميره الذى طبع عليه بفطرته نحو الخير من أجل تأمين حياتــه ومعيشته ، والوصول الى أعلى درجات احترام شخصه وكيانه الإنسانى – كما يجاهد بكل مالديه من قوة فى استغلال كل ما يغذى نفسه من عوامـل التربية العقلية والادبية للوصول بطبيعته الفطرية نحو الكمال ليتسع ادراكــه فى تحديد المفاهيم الأخلاقية والقيم الإنسانية، وتزداد قوة ارادته فى التفرقـة

---

(١) د. ابراهيم أبو الغار، دراسات فى علم الاجتماع القانونى ، مرجـع سابق ، ص ٤٠.

(٢) شافتسبرى Shaftesbury (١٦٧١–١٧١٣م) فيلسوف انجليزى فى الأخلاق – كان يعارض نظرية (هوبز) التى ترجع كل عمـل الى الاثرة وحب النفس بنظريته التى يقول فيها ان الانسان مفطور على حب الناس كماهو مفطور على حب النفس، والفضيلة انما هى بتـوازن الغريزتين.

(٣) أ.س. رابوبرت ، مبادىء الفلسفة، مرجع سابق ، ص ٢١٨.

بين الخير والشر، ليبتعد عن الرذيلة والاعمال القبيحة التي تحط من كرامته.(١)

وبذلك يبني الانسان وجوده في الحياة باخلاقه الشخصية، فيعاهد نفسه بأن يكون كريم الخلق في تعامله مع الآخرين، و أن يسعى للوصول الى محبتهم – كما يعزم في قرارة ذاته نحو التطلع لتحقيق أهدافه وبناء مستقبله ، وتحقيق الخير، والمكسب المادي الذي يحقق له حياة كريمة من مأكل وملبس ومأوى ،وتأمين وجوده الاجتماعي ضد اخطار المرض والكوارث – بالاضافة الى اجتهاده في اكتساب احترام الآخرين في المجتمع الذي يندمج فيه ويتكاتف مع افراده للتغلب على مصاعب الحياة وتطويع ما تنتجه الطبيعة لخدمتهم .(٢)

واذا كان الانسان أجتماعيا بطبعه ،فهو النواة التي يتشكل منها بناء كل مجتمع – وأن عناية الله سبحانه وتعالى بالإنسان وخلقه في أحسن تقويم ، وعلى طبيعة متحلية بالفطرة الخيرة – هي من أجل أن يعمر هذا الكون ، وعمارة هذا الكون لاتكون الا عن طريق بناء المجتمعات التي يترابط فيها الافراد على المحبة والتعاون والتآخي .

فقد بدأت الحياة في هذ العالم الفسيح بخلق آدم وحواء حكمة من الله العزيز القادر – ليكون لهم ذرية تتكون منهاجميع شعوب العالم – ولذلك فسيدنا آدم عليه السلام هو أبو البشر أجمعين ، وحواء هي الأم التي ولدت الأسرة التي تناسلت وأنجبت كل الشعوب من فضل الله وكرمه –(٣) وانهذه الحقيقة تثبت بأن العالم قائم ومتآلف على الأخوة الانسانية ،وان كل البشر متساوون في خلقهم ولاأفضلية أو امتياز لاحدهم عن الآخرين.(٤)

---

(1) J.C. Flugel, Man Morals and Society, op. cit., p. 24.

(2) E. Durkheim, L'education morale, op.cit, p. 37.

(٣) الامام نور الدين اشراقية ، معركة الحياة، مرجع سابق، ص ٣٠

(٤) د. بازودي ، المشكلة الاخلاقية والفكر المعاصر، مرجع سابق، ص ٢٠٩.

والأخلاق الشخصية التي يمتلكها كل انسان وتتحرك داخله ويتفاعل معها نتيجة ما أودع فيه من قوة الضمير ذات السلطان الرقيب على كل أفعاله الخيرة والشريرة ـ هى البداية التي تكون الأخلاق الأجتماعية لكل مجتمع ـ فاذا كانت فاضلة عند كل الافراد كان المجتمع الذى يتكون منهم مجتمعا فاضلا ولذلك فمضمون كل نداء من فلاسفة الأخلاق والعلماء نحو ابراز مكارم الأخلاق التى يجب أن يتحلى بها كل انسان الهدف الاساسى منه ليس الانسان لشخصه فقط ، وانما من أجل أن يعود الخير الى المجتمع ـ فالمقصود بمكارم الأخلاق هو العمل على صلاحية المجتمع من خلال كل إنسان يعيش فيه.(١)

ان الاعتناء بفطرة الإنسان الخيرة عن طريق عوامل التربية والتهذيب المدروسة ، الارشادات الصالحة التى تؤدى الى تحقيق كماله الأخلاقى ، وتنزع منه الحقد والكراهية وكل العوامل التى تدفعه نحو ارتكاب الشر ـ يعد البناء الحقيقى لكل مجتمع يسعى أن تكون لديه مبادئ وقيما إنسانية تحقق استمرارية وجوده وتطوره ـ كمايعد الوسيلة نحو تحقيق التعاون والمحبة والترابط الأخوى بين كافة الشعوب ـ لتحطيم كل الاكاذيب والدعايات العنصرية التى رددها السفهاء والمجانين والمعقدون على مر العصور ـ بان الطبيعة الإنسانية لشعب معين أفضل وأرقى من الشعوب الأخرى (٣).

ولذلك فان الأخلاق الشخصية التى يتحلى بها كل إنسان هى التى تجعله غاية فى ذاته ، وتهديه الى الحقيقة اذا ضل أو غرر به ـ وتشعره دائما بان الإنسانية واحدة ، وجميع شعوب العالم رغم إختلاف أجناسهم وعقائدهم أخوة ـ وأن الوحدة الانسانية هى القدرة والشئ الوحيد لصلاحية

---

(1) J.C. Flugel, Man-Morals and Society, op.cit., p. 32.

(٢) أوتو كلينيبرج ، البعد الإنسانى فى العلاقات الدولية ، مرجع سابق ص ١٨٨

(٣) د. بارودى ، المشكلة الأخلاقية والفكر المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٩٢ ومابعدها.

الحياة فى هذا الكون ۰ [١]

---

(١)   امانويل كانت، تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق، مرجع سابق ، ص ٨٢ ۰

المبحث الثانى

الأخلاق الإجتماعيـــــة

وهى تمثل السلوك المعبر عن الضمير لواجب الإنسان نحو غيره من خلال الحتمية الاجتماعية لعلاقاته مع الآخرين المكونين الجماعة البشرية فى كل مجتمع انسانى — والأخلاق الشخصية هى المصدر أو المنبع لكل القيم والمبادىء التى تكون الأخلاق الاجتماعية لجميع المجتمعات البشرية.. وفى ذلك يقول بارودى ان (قواعد الأخلاق التى يعتنقها كل فرد، ليست الا منتجات للحياة الجماعية — وان أى عمل من خلال سلوك كل فرد لا يعتبر انه أخلاقى الا اذا اعتقد أنه نافع للمجتمع — وان الواجب هو مايجب على الإنسان نحو الجماعة التى هو جزء منها، وان ما يتقدم الى احترامنا على أنه الزامى ومقدس هو مكون من هذه التصورات الجماعية التى هى فى ضمير كل واحد منا) (٢)

واذا كان المجتمع عبارة عن مجموعة من الأفراد — الا أنه قائم على مجموعة من أسمى القيم الإنسانية التى تكونت بداية من الضمير الفردى لدى كل واحد من أفراد المجتمع (٣)— وقد عبر الفيلسوف الاجتماعى اميل دوركهيم عن الأخلاق الاجتماعية بالقول (حين يتكلم الضمير، فالمجتمع كله يتكلم فينا — والضمير الجماعى هو الذى يفكر ويشعر ويريد ، وان كان لايستطيع ان يريد أو يشعر أو يعمل الا بواسطة الضمائر الفرديـــــة) (٤).

---

(٢) د.باروى، المشكلة الاخلاقية والفكر المعاصر، مرجع سابق، ص ١٩٨

(٣) د. أحمد الخشاب ، الضبط الاجتماعى أسسه النظرية وتطبيقاته العملية ، مكتبة القاهرة الحديثة١٩٦٨، ص ١٨٠ـ١٨٣.

(4) E. Durkheim, L'education morale,op.cit., p. 102.

ويقصد بالضمير الجماعى هنا الأخلاق الإجتماعية لان المجتمع شخص معنوى ، والضمير صفة من صفات الشخص الطبيعى وهو الانسان.

وعلى الرغم مما تعرض له اميل دوركهيم من نقد من جانب علماء الجمعية الفرنسية للفلسفة ، ومنهم بارودى وبرونشفك عندما قرر بأن الضمير الفردى مكتسب وليس فطريا — الا أنه قد أشار الى حقيقة الوجودالاجتماعى من خلال نظريته ، وعبر على أن أخلاق المجتمع تتضمن وتشمل الأخلاق الشخصية التى يحملها كل فرد من افراده — وقد أكد ذلك أيضا الفيلسوف الاخلاقى جبريل مادينييه ، عندما قال (ان الحياة الإجتماعية لا تخلق الضمائر ، بل تكيفها وتشكلها — واذا كان المجتمع لايزود الفرد بأداة التمييز بين الخير والشر، فانه يساعده على إمتلاك هذه الأداة) (١) وانه وان كان قد قرر بأن الضمير لايكتسب من الحياة الاجتماعية كما يدعى دوركهيم فى نظريته عن الأخلاق ،الا أنه قد عبر عنو جود أخلاق اجتماعية تكونت من طابع الضمير الفردى ،وبأن الأخلاق الاجتماعية لكل مجتمع تساعد الأفراد على إمتلاك القيم والمبادئ ، والتمييز بين الخير والشر.

ان تحقيق الخير لايمكن أن يستقل به إنسان بمعزل عن الناس — لان مقتضيات الطبيعة البشرية والفطرة الإنسانية توجب أن يتعاون الناس على تحقيق الخير— كما أن الإنسان لم يبلغ كماله الا مع أبناء جنسه وبمعونتهم —لان علم الأخلاق يقرر أن يكون سلوك الإنسان فى وسط جماعى لكى يعتد به. (٢)

واذا كانت الاخلاق الشخصية تعتبر من الدعائم الاساسية لتكوينالأخلاق الإجتماعية الا أنهناك حقيقة لا يمكن تغافلها ، وهى أن الأخلاق الشخصية تتضمن جوهريا حكما يصدره الفرد بسلوكه ليمكن الوسط الإجتماعى أن ينشط

---

(1) G. Madinier, La conscience Morale, op. cit., pp. 19-20.

(٢) د.محمد بيصار، العقيدة والاخلاق ، مرجع سابق ، ص ٢٤٩.

ويتفاعل أفراده بالاندماج والترابط نحو الوحدة الإنسانية ـ أما المجتمع الـذى تتشكل فيه الاخلاق الإجتماعية ـ فانه وان كان يتألف من الأفراد ـ الاأنه ليس مجرد حاصل جمعهم ـ وانما يمتلك ذاتية خاصة تعلو هذا الحاصـل الجمعى ، لان للمجتمع شخصية معنوية كبيرة تصنع من خلالها المـدن والحضارات الإنسانية ـ تجعله يتجاوز الضمائر الفردية ،وتدفع كل فرد بـأن يشعر نحوه اكثر فأكثر بانه عال عليه ـ كما تعطى الأحساس لدى أفـراده بأنه توجد عوامل أخرى لها دور هام فى حياتهم تولدت من ظروف ومعطيـات وجوده ـ وبانها تلاحمت مع الأخلاق الإجتماعية، واعطتها طابعا متميـزا عن الأخلاق الشخصية ، وأصبح منخلالها سلم القيم الموجود فى الضميـر الفردى ليس هو بعينه هو السائد فى المجتمع الذى ينتسب اليه الفـرد ـ وذلك حتى لاتتساوى كل الضمائر فى المعايير التى تتخذها مقاييس الاخـلاق ، حيث أن ضمير العامى فى الناس ليس مساويا لضمير المثقف .

ومن منطلق أن الأخلاق الاجتماعية تعلو الضمائر الفردية أوالأخـلاق الشخصية وتوءثر فيها ـ يستطيع أى مجتمع صالح أن يرتكز عليها فى الاحياء المستمر للضمير الفردى ودفعه نحو الكمال عن طريق عوامل التربية والثقافـة والعلم ـ أو قد يحدث العكس عندما تتخلف الأخلاق الاجتماعية عن الضميـر الفردى نتيجة لفساد المجتمع وانحلاله الخلقى(للعوامل التى سبق أن أشرنا اليها) حيث يقوم الضمير الفردى بنقد الأخلاق الإجتماعية بابراز ما علاها من ضلال وانحراف منافيين لتيار التقدم الأخلاقى ، والعمل على اصلاحها.[(١)]

وعلى ذلك فاذا كانت الأخلاق الشخصية تشكل وتكون الأخـلاق الإجتماعية ـ الا أن الأخلاق الإجتماعية قد تعلوها أو تتخلف عنها ـ نتيجة لاندماج عوامل أخرى بها خاصة بقواعد التربية والتهذيب والنظم والضوابـط

---

(١) د. عبد الرحمن بدوى ، الأخلاق النظرية ، مرجع سابق ، ص ٦٢ وما بعدها.

الاجتماعية التى قد تجعل من المجتمع صالحا ومنظما أو فاسدا تسود فيه الفوضى التى تؤدى الى انحرافه عن كل القيم والمبادىء الاخلاقية.(١)

المبحث الثالث

الأخلاق الدولية

المقصود بالأخلاق الدولية (وهو المحور الثالث لدائرة الأخلاق) ـ مجموعة القيم والمبادىء العامة الأخلاقية التى تتفق عليها وتعتنقها جميع شعوب الأسرة الدولية .

واذا كانت الأخلاق الشخصية تشكل إطار الأخلاق الإجتماعية لكل مجتمع ـ فان مضمون الأخلاق الاجتماعية لكل مجتمعات الأسرة الدولية ـ تشكل القيم والمبادىء العامة للأخلاق الدولية فى إطار موضوعى نابع من طبيعة وحدة الانسانية لكافة شعوب العالم ـ لانه اذا كان الأنسان إجتماعيا بطبعه وأخلاقه لايمكن الاعتداد بها الا فى وسط إجتماعى من خلال اتصالاته وعلاقاته مع الآخرين ـ فان كل مجتمع دولة لايمكن اعتباره مجتمعا إنسانيا فى النطاق الدولى الا اذا استجاب لمقتضيات الحياة الدولية التى تدفعه دائما الى ضرورة الاتصال والترابط من خلال العلاقات المختلفة مع مجتمعات الدول الأخرى لتحقيق الخير، وحماية المصالح المتبادلة بينهم.(٢)

والعلاقات الدولية بمختلف أشكالها هى عبارة عن سلوك جماعى تكون من خلاله القواعد والمبادىء العامة للأخلاق المتفق عليها لدى جميع شعوب العالم ،والتى نبعت من أساس طبيعتهم الإنسانية.(٣) ويطلق على تلك

---

(1) J.C. Flugel, Man Morals and Society, op. cit., p. 91.

(٢) ابراهيم العنانى ،القانون الدولى العام، مرجع سابق ، ص ٥

(3) James E. Bougherty and Robert L. Pfaltzgraff, Contending Theories of International Relations. J.B. Lippincott Company, New York, Hagerstown, Philadelphia, San Francisco, 1970, pp. 2-5.

القيم والمبادئ العامة لاخلاق الشعوب لفظ الضمير العالمى ــ واذا كــان جانب من بعض الفقهاء يعترض على هذا اللفظ على أساس أن الضمير مـــن خصائص الفرد الطبيعى وليس من سمات الشخص المعنوى [1] ، الا أننـــا نرى أن استخدام الضمير العالمى المقصود به ضمير الشعوب المكونة للاســرة الدولية ، وليس المقصود هو الجدال بين الصفة والسمات من حيـــث أن المجتمع الدولى شخص معنوى أم شخص طبيعى، لان الاخلاق تبدأ بالفـــرد وتمتد عبر المجتمع الداخلى الى نطاق الاسرة الدولية ، وهى تتعلـــق بالطبيعة الانسانية للفرد ولم تخرج عنه الى اطار موضوعى آخر.

ومما يؤكد أن الأخلاق الدولية لا تختلف فى إطارها العام عـــن مضمون الأخلاق الإجتماعية النابعة من الأخلاق الشخصية ــ نظام الهجـــرة المعروف والمتبع منذ العصور الاولى لتاريخ الانسانية ــ حيث هاجر أفـــراد كثيرون منمجتمعات الدول التى ولدوا وعاشوا فيها، الى مجتمعات دول أخـرى استقروا فيها، ولم يشعروا أو لم يلمسوا بوجود قواعد أو نظم تخالف قواعـــد أخلاقهم من حيث المبدأ العام ــ لان الفضائل والرذائل معروفة لدى جميـــع البشر، ويفرقون بينها مثل التفريق بين اللون الأبيض واللون الأسود ــ كمـا أنه لا يوجد مجتمع دولة يبيح السرقة أويجعلها من الفضائل ، أو يغير من بعض الفضائل ويجعلها من الرذائل مثل (الصدق أو الكرم أو الشجاعـــــة أو الأمانة أو الوفاء فى الوعود أو قواعد التقدير والأحترام) ــ أو العكـــس يجعل من الكذب والنفاق والقتل والاستيلاء على مال الغير بدون وجه حـق من الفضائل ــ وانما الخير بين والشر بين ، ومن سمات الطبيعة الإنسانيـة

---

(١) د. محمد طلعت الغنيمى ، بعض الاتجاهات الحديثة للقانون الدولى العام ، قانون الامم ١٩٧٤ ، منشأة المعارف بالاسكندرية، ص ٢٧

(2) William H. Mcneill and Ruth S. Adams, Human Migration, Patterns and Policies. Indiana University Press, Bloomington & London, U.N. University, 1978, p. 7.

لكافة شعوب العالم ٠

وإذا كانت الأخلاق الدولية قد تكونت مبادئها العامة من مضمون الأخلاق الاجتماعية الانه توجد عوامل تتداخل وتجعل من الأخلاق الدولية غير مطابقة تماما من حيث الاطار الشكلي للأخلاق الاجتماعية ــ وهى عوامل خاصة بعادات وتقاليد كل مجتمع التى تتميز بطوابع تجعل أسلوب تطبيق القواعد الاخلاقية قد يختلف من دولة لاخرى ــ مثل القواعد الخاصة بالاحترام والكرم والتضامن والمحبة والاحسان، فنجدها تطبق فى دولة مثل اليابان بأساليب وطرق معينة تختلف من حيث الشكل عن دولة اخرى مثل فرنسا أوأى دولة عربية ــ واذا كان ذلك قد دفع بعض علماء الاخلاق الى القول بأن لكلمجتمع عاداته وتقاليده واخلاقه[١]، الا أن الحقيقة أن الاخلاق من حيث مضمونها الموضوعى واحدة لكل شعوب العالم، والاختلاف فقط فى الشكل وأسلوب التطبيق منمجتمع دولة لاخرى، والا ما وجدت علاقات بين اعضاء المجتمع الدولى ٠

وبذلك تعتبر الاخلاق الدولية هى صفوة القيم والمبادىء العامة الاخلاقية لدى كل شعوب المجتمع الدولى حيث يتفقون جميعا عليها ويعتنقونها منمنطلق طابعهم الانسانى ــ واذا كان مجتمع دولة يختلف فى أسلوب تطبيق قواعد الاخلاق عن مجتمعات الدول الاخرى نتيجة اختلاف عاداته وتقاليده وعوامل تطوره المستمر التى قد تحدث تعقيدات فى علاقاته الاجتماعية[٢] ــ الا أن ذلك لم يغير من المضمون العام لمبادىء الاخلاق الدولية ، والا انقلبت أوضاع المجتمع الدولى وانهدمت أركانه وظهرت الانسانية بصورة أخرى غير متحدة ٠

وقد شغلت عوامل التطور ، واختلاف عادات وتقاليد مجتمع دولة عن الأخرى عقول الكثيرين من الفلاسفة والعلماء ــ من أجل الوصول الى

---

(1) E. Durkheim, L'education morale, op.cit, p. 112.

(٢) د٠ أحمد خليفة : النظرية العامة للتجريم ، دراسة فى فلسفة القانون الجنائى ، القاهرة طبعة ١٩٥٩ ، ص ١٩٠

الاسباب التى تؤدى الى ذلك ومحاولة تفسيرها ورسم كل خطواتها [١] - وهذا قد أدى الى ظهور عدة نظريات بخصوص هذا الشأن كل واحدة منها صاغها وأيدها علماء وفلاسفة فى منهج مختلف عن النظريات الأخرى - ومن أهم هذه النظريات ما يلى :

١ - نظرية أوجست كونت Aogaste Cont

ولد فى مدينة مونتبلييه Montpellier بفرنسا عام ١٧٩٨ وتوفى عام ١٨٥٧م - وهو فيلسوف وعالم رياضى ، وخلال دراسته تأثر برأى استاذه سانت سيمون S. Simon عند وضعه لقانون الاطوار الثلاثة [٢] ، حيث صور به أن التغيير كان من نتاج تطور العقل البشرى من مرحلة التفسير اللاهوتى (الدينى) الى مرحلة التفسير الميتافيزيقى (الفلسفى) ، ثم مرحلة التفسير الوضعى - وان تطور العقل البشرى كان من نتائجه أحداث تغيرات فى بناء المجتمع ، واخلاقياته - وأن تطور العقل البشرى لم يتساو فى كل المجتمعات، وانما قد اختلفت مراحله وتفاوتت من مجتمع لاخر، مما أدى الى اختلاف وتميز كل مجتمع من حيث عاداته وتقاليده وأخلاقياته عن المجتمعات الأخرى [٣] .

وكان (كونت) يشارك الفلاسفة الراديكاليين فى أحترامهم للعلم ، وأخذ على عاتقه تقديم تصنيف شامل لكل العلوم بادئا بالرياضة ومنتهيا الى علم الاجتماع - كما أن فلسفته تحمل ملامح متشابهة مع تفكير ومنهج فيكو الذى درس فلسفته ، واستمد منه فكرة أولوية التاريخ فى أمور البشر، وقام بتأسيس نظريته فى التطور التاريخى للمجتمع البشرى مستندا الى العقل. [٤]

---

(١) د. محمود السقا، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية،مرجع سابق ، ص ١٢.

(٢) أحمد محمد غنيم ،تطور الفكر القانونى(دراسة تاريخية فى فلسفة القانون) مجلة القضاه ، العدد السابع يونيو ١٩٧٢، ص ١٠٦

(٣) د. احمد كمال ، د. كرم حبيب - علم الاجتماع الحضرى طبعة ١٩٧٣ ، القاهرة، دار الجيل للطباعة ، ص ١٥٦، ١٥٧

(٤) برتراند رسل ، حكمة الغرب ، مرجع سابق ،ص ٢٣٨، ٢٣٩.

وهناك دلائل تشير بتأثر كونت بفلسفة أبن خلدون وبروح الاســـلام – لانه سمى العقيدة (دين الانسانية) وأختار بعض أدلتها من آيات القرآن والتصوف العميق (وليس فى أوربا مصدرا للتصوف سوى الثقافة الاسلامية) (١)

وقد وجه نقد لهذه النظرية من جانب بعض علماء الاجتماع علـــى اساس أن (كونت) يرجع التغيرات التى تحدث فى المجتمع الى تطور التفكير، فى حين أن شئون المجتمع تتغير نتيجة عوامل كثيرة تتفاعل آثارها وتتحــد نتائجها (٢) – وتطور التفكير ذاته ليس الا مظهرا من مظاهر تغيرات المجتمع عندما يتطور – وبالتالى لا يعتبر هو نفسه سببا لهذا التطور. (٣)

٢ – نظرية هربرت سبنسر H. Spencer

وهو فيلسوف انجليزى عاش ما بين ١٨٢٠م – ١٩٠٣ وأسس مذهـب الكمال الأخلاقى – وقد صاغ نظريته فى التغير الاجتماعى على أساس انــه لا يحدث تلقائيا ، وانما توجد عوامل تؤدى اليه وتدفع لحدوثه فى المجتمعات، وأن هذه العوامل كثيرة بعضها داخلى خاص بالتكوين العقلى لأفراد المجتمع ، والبعض الأخر خارجى يتمثل فى أثر البيئة – ثم قرر بأن الظروف الطبيعية والبيئية التى تغير فى تركيب الكائن الحى هى نفسها التى تجعل شكل المجتمع يتغير فى بنائه وأخلاقياته. (٤)

وعلى الرغم من أن سبنسر قد فطن الى أن التغير فى بناء المجتمـع

---

(١) د. محمد كامل ياقوت : الشخصية الدولية، مرجع سابق، ص ٢١٨

(٢) د.بارودى ،المشكلة الاخلاقية والفكر المعاصر، مرجع سابق،ص ١٧٧

(٣) برتراند رسل ، حكمة الغـــرب ، مرجع سابق ص ٢٤٠

(٤) د. حسن شحاته سعفان : أسس علم الاجتماع ، الطبعة الخامســة ١٩٦١ ، دار النهضة العربية ، القاهرة، ص ٢١٣.

وأخلاقياته لايحدث تلقائيا [١] الأنه قد وجه الى نظريته نقد شديد من جانب معظم علماء الاجتماع ـ على أساس أنه اعتبر المجتمع كائنا عضويا وطبق عليه قوانين علم الحياة مع أن طبيعة المجتمع والحياة الاجتماعية فيه تخالف تماما الطبيعة الحيوية للانسان [٢] .

٣ ـ نظرية هوبهاوس Hobhouse

أسس نظريته وهو متأثر بفلسفة سبنسر وكونت ـ حيث قرر بأن التطور العقلى يؤدى الى تطور أخلاقيات ومعتقدات المجتمع ، وأن التغيرات التى تحدث فى المعتقدات الاخلاقية والدينية تؤدى الى حدوث تغيرات فى بناء المجتمع وهياكله ـ وانه نتيجة لتفاوت التطور العقلى من مجتمع لآخر ـ يكون لكل مجتمع أخلاقياته التى تختلف أو لا تتشابه مع أخلاقيات المجتمعات الأخرى . [٣]

وقد وجه بعض علماء الاجتماع وفلاسفة الأخلاق نقدا لهذه النظرية لربطها بين التغيرات الاخلاقية والنظم الاجتماعية ـ وبأن الأول يؤثر تماما فى الثانى ـ على أساس أن ذلك ليس قانونا عاما حيث أن كثيرا مايحدث تغير فى النظم الاجتماعية تؤثر فى المعتقدات الأخلاقية والدينية ، وفى هذه الحالة تكون نظرية هوبهارس عاجزة عن توضيح سبب التغير ـ كما أن ربط التغير الاجتماعى بالتطور العقلى أمر لايستقيم مع واقع الحياة لانه فى بعض الاحيان قد تؤثر الثقافة المادية على أحداث بعض التغيرات فى داخل المجتمع . [٤]

---

(١) أحمد محمد غنيم ، تطور الفكر القانونى ، مرجع سابق ، ص ١٥٤ ، ١٥٥

(٢) أ . س . رابوبرت ، مبادىء الفلسفة ، مرجع سابق ، ص ١٧٨ .

(٣) د . مصطفى الخشاب ، تاريخ التفكير الاجتماعى وتطوره ، الطبعة الاولى ١٩٥٤ ، مطبعة لجنة البيان العربى ، بالقاهرة ، ص ١٥٨ .

(٤) د . أحمد كمال ، د . كرم حبيب ، علم الاجتماع الحضرى ، مرجع سابق ص ١٦٠

٤ – نظرية اوجبرن Ogburn

ويرى أن الثقافة المادية هى التى تؤدى الى احداث التطور والتغير فى المجتمع وأخلاقياته ، وليس نتيجة للقدرات العقلية والنواحى البيولوجية، وبأن الثقافة المادية دليلها الاختراع والابتكار – وبأنه اذا وجد اختراع أوابتكار جديد أحدث تغيرات إجتماعية وأخلاقية فى المجتمع لان الجانب المادى سرعان ما ينتشر بين أفراد المجتمع بعكس الجانب الغير مادى الذى يتحرك ببطء لوقوف عدة عوائق فى سبيل انتشاره ، منها ميل كل ثقافة فى الابقاء على تراثها القديم والنزعة نحو تقدير الماضى.(١)

وقد وجهت لهذه النظرية انتقادات عنيفة من جانب معظم العلماء وفلاسفة الأخلاق أمثال سوركن Sorokin وكيفيليه Cuvillier على أساس أنها تخالف الحقيقة والمنطق لان الثقافة الغير مادية تنتشر بصورة أسرع من الثقافة المادية فى داخل أى مجتمع – حيث أن الفكرة تصل أولا ثم تبدأ فى التأثير على السلوك ، وبالتالى على الثقافة المادية – كما أن فلسفة الثقافة الغير مادية تؤدى بدورها الى ماديات تتجسد فيها – ومن جانب آخر ليست الثقافة سواء كانت مادية أو غير مادية هى السبب الوحيد فى أحداث التغير فى المجتمع واخلاقياته وانما هناك عوامل أخرى تزيد عنها أهمية قد تؤدى الى احداث ذلك التغير والتطور، وتؤثر على الثقافة المادية وغير المادية.(٢)

---

(1) W.F. Ogburn, Social Change with Respect to Culture and Original Nature. The Viking Press, New York, 1952, pp. 80-81.

(2) Pitirim A. Sorokin, Social and Cultural Dynomics. Porter Sargent Publisher, Boston, 1957, p. 679.

٥ ــ نظرية كارل ماركس Karl Marx

تذهب الفلسفة الماركسية الى أن القوى الوحيدة التى تملك إحداث تغيير فى بناء المجتمع وأخلاقياته هى الحياة المادية الاقتصادية ــ وان المجتمع شأنه شأن الطبيعة فى حركتها وتغيراتها ، وان هذه الحركة تسير من التغيرات الكمية الى التغير الكيفى .(١) وبذلك فجميع التغيرات التى تحدث بالمجتمع وتؤثر على العقائد الدينية والقيم الأخلاقية تنتج من التغيرات التى تطرأ على النظام الاقتصادى فى هذا المجتمع .

وعلى الرغم من اعتبار الفلسفة الماركسية من أعظم ما أنتج فكريا فى أوروبا خلال القرن التاسع عشر حيث فسرت أصول التاريخ الاقتصادى للمجتمعات المختلفة ــ الا أنها هوجمت من جانب العديد من العلماء والفلاسفة لاستنادها فقط على العوامل المادية (الاقتصادية) وحدها فى إحداث تغيير فى المجتمع وأخلاقياته دون العوامل الأخرى التى لاتقل عنها أهمية فى امكانية أحداث هذا التغيير(٢) ــ فالعامل الاقتصادى وان كان أكثر ظهورا فى معظم التغيرات التى تحدث فى المجتمع وتؤثر على عاداته و تقاليده، الا أنه ليس العامل الوحيد فى احداث هذا التغير.(٣)

وبهذا فقد تباينت كل النظريات فى محاولة تفسير ظاهرة التغيرات التى تحدث فى كل مجتمع وتميزه عن المجتمعات الأخرى من حيث نظم العادات والتقاليد وأثرها فى تطبيق القواعد والمبادىء الأخلاقية ــ حيث أن كل نظرية ارتكزت فى تفسير تلك الظاهرة على عامل أوعاملين فقط دون العوامل الأخرى التى تحدث اثارا مباشرة وغير مباشرة فى بناء المجتمع وأخلاقياته .. ولذلك نرى أن ظاهرة التغير ترجع الى عدة عوامل قد يكون لاحدهما الأثر الأكبر من العوامل الأخرى طبقا لظروف ومقتضيات كل مجتمع ــ ومن أهم هذه العوامل الآتى:

---

(١) جورج بولتيزير، وجى بيسى ، موريس كافينج، المبادىء الأساسية للفلسفة ، مرجع سابق ، ص ٧٣.

(٢) برتراند رسل ، حكمة الغرب ، مرجع سابق ، ص ٢٣٤.

(٣) عباس محمود العقاد، عقائد المفكرين فى القرن العشرين، مرجع سابق، ص ١٤٦.

* البيئة الجغرافيـة :

فالمجتمعات التى تقع فى المناطق الحارة تختلف عن التى تقع فـى المناطق الباردة ، وعن المجتمعات التى توجد فى المناطق المعتدلة ـ كما يختلف المجتمع الزراعى عن المجتمع الصناعى ، والحياة الريفية عن الحيـاة الحضرية ـ من حيث العادات والتقاليد وأسلوب تطبيق المبادئ والقيـم الاخلاقية ـ وقد اعتبر مونتسكيو العامل الايكولوجى الذى يتفاعل فيـه الانسان مع البيئة الجغرافية من حيث المناخ ذا أثر هام على الأخـلاق والعادات والتقاليد السائدة فى المجتمع (١) ـ كما قرر ذلك أيضا كل مـن أرسطو ، وجالينوس ، وأبن خلدون ، وجان بودان ،وميكيافيلى ـ فـى كتاباتهم عن ظاهرة الفوارق والتغيرات بين المجتمعات الانسانية. (٢)

* العامل التكنولوجى :

ويقصد به النشاط الانسانى المتمثل فى الثقافة المادية والغير مادية نحو الاطلاع والابتكار وملاحقة تطورات العصر التى تؤدى الى أحـداث تغير حضارى (٣) ، يعتمد على التخلص من بعض العناصر الحضاريـة القديمة واستبدالها بعناصر أخرى جديدة لكى يحدث تلاؤم مع الطابع الجديد ـ وهذه العناصر قد تخترع أو تبتكر من عقول ذات المجتمع أو تقتبس مـن مجتمع أو حضارة أخرى (٤) ـ ويعتبر عامل التكنو لوجيا من أكثر العوامل ظهورا فى ذلك القرن للتميز بين المجتمعات من حيث العادات والتقاليـد والنظم الاجتماعية ـ مثل ما هو ملاحظ الآن من آثار واضحة بين مجتمعات دول العالم المتقدمة ودول العالم الثالث (المتخلفة).

---

(١) د. حسن شحاته سعفان، مونتسكيو ، مرجع سابق، ص ١٣٦.

(2) James E. Dougherty, Robert L. Pfaltzgraff, Contending Theories of International Relations, op. cit., p. 46.

(٣) أوتو كلينيبرج ، البعد الانسانى فى العلاقات الدوليـة ، المرجع السابق ، ص ١١١

(٤) د. محمود السقا ، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، مرجع سابق، ص ١٢.

× العامل البيولوجى :

ويقصد به طبيعة أفراد المجتمع من حيث مدى طموحهم ونشاطهم وقدراتهم الانتاجية ، وحالتهم الصحية وطريقة معيشتهم . وما يتحلون به من أفكار وذكاء ،وأسلوب عباداتهم ومعتقداتهم الدينية ـ حيث أن ذلك يؤدى الى ظهور فوارق ومتغيرات بين مجتمع وآخر من حيث العادات والتقاليد وأساليب تطبيق المبادىء الاخلاقية.(١)

× النظم القانونية :

فالمجتمع المنظم الذى تسوده قواعد ونظم قانونية تضبط سلوك أفراده يختلف تماما عن المجتمع الفوضوى الذى يفتقد تلك القواعد، أو الذى تكون به نظم قانونية ولكن ليست ذات فعالية لتحقيق العدل بين الأفراد، حيث يظهر ذلك على الأخلاق والعادات والتقاليد (كما سبق أن بينا) لانه لا عدل الاحيث يوجد قانون سليم وفعال يفصل بين الناس ، ويضبط علاقاتهم المختلفة(٢) ـ ولذلك تختلف العادات والتقاليد وأساليب تطبيق المبادىء والقيم الأخلاقية بين المجتمعات المنظمة التى يسودها قانون عادل وفعال ، والمجتمعات الأخرى الغير منظمة التى لاتوجد بها نظم وقواعد عادلة أويوجد بها قانون غير فعال .(٣)

× النظم السياسية :

يسود المجتمع الدولى نظما سياسية عديدة تحكم مجتمعات الدول التى تشكل الأسرة الدولية، وبين هذه النظم أوجه اختلافات عديدة تؤثر بصورة مباشرة ، وتؤدى الى احداث فوارق وتغيرات فى العادات والتقاليد ، وفى

---

(1) James E. Dougherty, Robert L. Pfaltzgraff, Contending Theories of International Relations, op. cit., p. 65.

(٢) ارسطوطاليس ، علم الأخلاق الى نيقوماخوس ، مرجع سابق ص ٨٧

(٣) رالف ب ، وين ، قاموس جون ديوى للتربية . مرجع سابق ص١٧٠

الطابع التطبيقي لمبادئ الأخلاق بين المجتمعات ـ مثل نظم الحكم الملكية والنظم الجمهورية ، والنظم التي تحكم مجتمعات الدول الاشتراكية ، والاخرى السائدة فى المجتمعات الرأسمالية .[١]

وبذلك فمن خلال هذه العوامل قد يحدث تغيرات وفوارق بين مجتمعات الدول من حيث تطبيق المبادئ والقيم الأخلاقية ـ ولكن دون أن يحدث تغير فى الجوهر الموضوعى لتلك المبادئ والقيم المتعارف عليها ، والتى تكون الاطار العام للأخلاق الدولية[٢] ـ لان الفوارق بين مجتمعات الدول يجب الا تحجب نظرنا على الحقيقة المؤكدة وهى أن جميع الشعوب تماثل بعضها البعض فى العديد من النواحى ،وان هذه الاختلافات لاتمنعنا من التسليم بالوحدة الحيوية لجميع البشر، فى الطابع الانسانى[٣] ، وأن جميع القيم و المبادئ الأخلاقية العامة متعارف عليها وتعتنقها كل الشعوب، ولا خلاف بينهم الا من حيث التطبيق والجزئيات الشكلية طبقا لمعطيات ومتطلبات و ظروف كل مجتمع يندمجون فيه.

ويستنتج من ذلك أن الأخلاق الدولية هى صفوة المبادئ والقيم،وهى تماثل موضوعيا الأخلاق الاجتماعية السارية فى مجتمعات كافة الدول ولا تختلف عنها الا من حيث الشكل والتطبيق الذى يناسب ظروف مجتمع كل دولة والذى لا يؤثر على المفهوم العام للقواعد العامة الأخلاقية.

---

(١) ميشيل ستيورات ، نظم الحكم الحديثة ، مرجع سابق ص ٩ ومابعدها.

(2) James E. Dougherty, Robert L. Pfaltzgraff, Contending Theories of International Relation, op. cit., p. 102.

(٣) أوتو كلينيبرج، البعد الانسانى فى العلاقات الدولية. مرجع سابق ص ٢٠٢.

المبحث الرابع

القيم والمبادىء العامة للاخلاق الدولية

ثار خلاف بين فلاسفة وعلماء الأخلاق نحو القيم والمبادىء الاخلاقية — من حيث العلاقة بينها وبين الوجود — وانقسموا الى فريقين كالآتى:

الأول فريق الواقعيين ويؤكدون موضوعية القيم والمبادىء، وبأنها توجد بذاتها ولذاتها، وخارجة عن النفس — وعلى رأس هؤلاء أفلاطون (٤٢٧ — ٣٤٧ ق٠م) الذى جعل صورة الخير على قمة عالم المثل، وجعل سائر القيم مشاركة فيها، وقرر بأن هذه الصور كلها وعلى رأسها صورة الخير، ليست مجرد تصورات ذهنية لا وجود لها الا فى الذهن ، بل هى موجودة وجودا حقيقيا، وان كان هذا الوجود مختلفا عن الوجود المادى للاشياء المادية، لان وجودها الحقيقى فى عالم المعقول ،وان الموجودات المتصفة بالصور عبارة عن ظلال لها وأشباح(١) — ومن أنصار هذا الفريق فى العصر الحاضر الفيلسوفين سورلى Sorley (١٨٥٥— ١٩٣٥) ، ورينيه لوسن René Lesenne (١٨٨٢— ١٩٥٤)٠

الثانى فريق الذاتيين وينكرون أن يكون للقيم الاخلاقية وجودا موضوعيا ولاينسبون اليها الا وجودا ذاتيا — أى فى النفس — ومن فلاسفة هذا الفريق ماكس شيلر M. Scheler ونقولاى هرتمن Nicolai Hartman (١٨٨٢ — ١٩٥٠)(٢)

الا أننا نؤيد اتجاه الفريق الأول على أساس أن القيم الأخلاقية وان كانت نابعة من الوجود الذاتى للطبيعة الانسانية الا أنها تجسدت فى صور وكيانات موضوعية لتكون كمقياس للسلوك الإنسانى فى كل مجتمعات الاسرة

---

(١) شارل فرنر ، الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ص ٩٢ ومابعدها٠

(٢) د٠ عبد الرحمن بدوى ،الاخلاق النظرية، مرجع سابق ، ص ١٢٤

الدولية ، وواضحة الرؤية والبيان لكل البشر.

القيم والمبادىء الأخلاقية التى تعتنقها كافة الشعوب وتتكون منها الأخلاق الدولية تستند على الواجب والفضيلة ، وهما وان كانا يمثلان المضمون الكامل لدائرة الأخلاق الا أننا سوف نقتصر على عرض أهم الواجبات والفضائل المحركة لعلاقات المجتمع الدولى نحو تحقيق الخير، والتى تعمل على الاحياء المستمر للضمير العالمى لكافة الشعوب لنحدد من خلالها مفهوم الأخلاق الدولية ، وذلك على النحو الاتى :

أولا : الواجب Devoir

ويقول الفيلسوف الالمانى(اما نويل كانت) ان (الواجب كلمة سامية عظيمة، وهو عصب الأخلاق كلها لانه يولد الشعور بالالتزام تجاه القيم ويجسد السلوك المؤدى الى تحقيق الغايات الأخلاقية ، والدافع الباطنى الى تنفيذ ما تقضى به الأخلاق) ، كما قرر بأن (السلوك الخير أمر مطلق يصدر من داخل نفوسنا، وباننا نشعر شعورا مولودا مع ولادة أجسادنا - بأننا مرتبطون روحيا بعضنا ببعض ، ونعلم أننا ينبغى أن نقوم بواجبنا - وأن الاحساس المتبادل بالواجب هو الذى يجعل شعوب العالم فى وحدة قوية مترابطة ، ومتسقة مع أسس الحياة الإنسانية) (١)

والواجب لابد أن يكون مبنيا على حرية الارادة - بأن يقدم عليه شعب دولة دون اكراه من شعب دولة أخرى ، ولذلك قيل بان الواجب الأخلاقى تلتزم به الذات الحرة بنفسها بافعال معلومة (٢) ، وقد ركز كانت Kant على ضرورة حرية الارادة Free will فى عمل الواجب الأخلاقى دون أن تحكمها مؤثرات خارجية من ضغط أو اكراه ، وتشدد فى ذلك الى حد قيل فيه أن الاخلاق عند (كانت) تنطوى على عنصر صارم من

---

(١) د. هنرى توطس ، اعلام الفلاسفة . مرجع سابق ص ٢٨٣

(٢) برتراند رسل ، حكمة الغرب ، مرجع سابق ص ١٦٦.

الاستقامة فى السلوك الاخلاقى نحو الواجب ، حيث اشترط أن يكون نابعـا من الذات دون ميل أوانتظار منفعة ــ على أساس انه يعتبر الارادة الحـرة فى فعل الواجب الاخلاقى هى الارادة الخيرة.[١]

وإذا كنا نؤيد ما اتفق عليه معظم الفلاسفة وعلماء الأخلاق بأن الارادة لابد أن تكون حرة فى فعل الواجب الأخلاقى أى بدون اكراه ــ الا أن الواجب الأخلاقى فى ذاته التزام أخلاقى Morale obligation نابع من الطبيعة الانسانية ، وان هذا الالتزام وأن كان يقلل من مجال الاختيـار الا أن الشعور به لدى شعب دولة بأنه يصدر من خلال ارادته الحرة، وليس أمرا مفروضا عليه من الخارج يجعله يطابق الواجب الأخلاقى على أساس أن كلا منهما يصدر من خلال ارادة حرة غير مقيدة لعمل أخلاقى معين، ولهذا يخلـط بين الواجب والالتزام فيستعملان عامة بمعنى واحد .

وأنواع الواجبات اربعة من حيث الشكل ، ومن حيث الذوات ، ومن حيث النظام القانونى ،ومن حيث الالتزام[٢] ، وهى ان كانت تنطبق علـى الإنسان ، الا أنها تنطبق أيضا على الدول باعتبار أن كل دولة تمثل شعبـا من مجموع شعوب العالم وذلك كالآتى :

١ ــ <u>من حيث الشكل :</u>

تنقسم الواجبات من حيث الشكل الى :

أ ــ واجبات ايجابية ــ وهى التى تفرض التزاما دوليا بفعل شئ معيـن مثل : يجب على الدولة أن تقوم بسداد الديون التى عليها، أو أن تقوم بدفع التعويض الذى قدر عليها مقابل ماتسببت فيه من أضـرار لدولة أخرى .[٣]

---

(١) أمانويل كانت ، تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ،ص ١٠٧ .

(٢) د. عبدالرحمن بدوى ،الأخلاق النظرية، مرجع سابق ،ص ١٣٤

(3) J.C. Flugel, Man Morals and Society, op. cit., p. 69.

ب — واجبات سلبية — وهى التى تفرض التزاما دوليا بالنهى عن ارتكاب فعل شئ معين مثل لايجوز للدولة أن تضر بمصالح الدول الأخرى، أو تعتدى على حقوق رعاياها الموجودين داخل اقليمها.

ويطلق علماء الأخلاق على الواجبات الايجابية أوامر، وعلى الواجبات السلبية نواه.[١]

٢ — **من حيث الذات :**

تنقسم الواجبات من حيث الذات الى :

أ — واجبات تجاه الذات الخاصة التى يجب أن تلتزم بها الدولة نحو نفسها مثل ان تقوم بتحقيق العدالة لشعبها وتمنع ما يخل بامنهم وحريتهم وسلامة حياتهم[٢]، وقد جاء ذلك واضحا فى مواد عديدة بالاعلان العالمى لحقوق الانسان مثل المادة الثالثة التى تقرر بأن (لكل فرد الحق فى الحياة والحرية وسلامة شخصه).

ب — واجبات تجاه الغير — وهى ما يجب ان تلتزم به الدولة فى المجتمع الدولى مثل ان تحترم سيادة الدول الأخرى ، وان تتخذ الحيطة اللازمة لكى تحول بين رعاياها وبين الاعتداء على مصالح الدول الأخرى أو الرعايا الاجانب المقيمين على أقليمها.[٣]

٣ — **من حيث النظام القانونى :**

وهو مايجب على كل دولة ان تحترم وتطيع كل قواعد القانون الدولى العام ، وقد أشارت ديباجة ميثاق الأمم المتحدة الذى يعتبر الدستور الحالى للمجتمع الدولى على ذلك صراحة — بأن تحترم الدول الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولى[٤].

---

(١) د. أحمد الخشاب ،الضبط الاجتماعى ، مرجع سابق ، ص ١٧٨.

(2) J.C. Flugel, Man-Morals and Society, op. cit., p. 69.

(٣) د. حامد سلطان ،القانون الدولى العام فى وقت السلم. الطبعة الخامسة ١٩٧٢، دار النهضة العربية ، ص ٣٠٦.

(٤) د.احمد سويلم العمرى ،أصول العلاقات السياسية الدولية . مرجع سابق ص ١٣٢٨.

٤ ـ من حيث الالتزام :

تنقسم الواجبات من حيث الالتزام الى :

أ ـ واجبات العدالة Justice وهى تعبر عن حرفية القانون ، وتقوم على دعامتين ، الأولى نهى وهى لاتسئ الى أحد neminen laede أى لاتقوم أى دولة بارتكاب أى عمل يسئ لدولة أخرى ـ و الثانية أمر بمعنى اعطاء كل صاحب حق ماله Cuiquesuum أى أن تقوم كل دوله بتنفيذ ما عليها من التزامات للوفاء بحقوق الدول الأخرى •

ب ـ واجبات الانصاف devoirs d'equite وتقوم على الاحسان والروح الإنسانية بين شعوب الدول من أجل تدعيم الترابط الأخوى بينهم على المحبة والتعاون ، وهى تتجاوز حرفية القانون الى روحه ، وتسعى الى تصحيح التفسير الحرفى ومايوجد من جمود وشكلية وبعد عن الغاية المنشودة على أساس توسيع النظرة ومراعاة الظروف واستلهام روح المشرع العامة ، ولهذا يقول فكتور هوجو (١٨٠٢م ـ ١٨٨٥م) (ان الشئ الوحيد الذى فوق العدالة هو الانصاف) •[١]

وبذلك فالأخلاق الدولية من حيث الواجب تشمل العديد منالواجبات التى تعتبر من الدعائم الاساسية لحسن سير العلاقات الدولية ـ وان الاخلال بها أو بأحدها قد يؤدى الى احداث اضطرابات تعكر صفوها لان المنازعات والحروب التى نشبت بين بعض الدول على مر العصور المختلفة كانت نتيجة لذلك ، مثل عدم قيام دولة بالوفاء بما تعهدت به أو تسببت فى احداث أضرار لدولة أخرى ، أو تعدت عليها من أجل السيطرة وبسط النفوذ ولم تحترم قواعد القانون الدولى ومبادئ العدالة والانصاف[٢] •

---

(١) عبد الرحمن بدوى ، الاخلاق النظرية، مرجع سابق ص ١٣٥، ١٣٦

(2) James E. Dougherty, Robert L. Pfaltzgraff, Contending Theories of International Relations, op. cit., p. 138.

ثانيا: الفضيلـة Virtue

ومعناها الأُحسن أو الافضل ، للدلالة على الفضل والتفوق فـــى الخلق [١] ــ ويعرفها معجم لالاند الفرنسى ، بأنها (الاستعداد الراســخ لانجاز نوع معين من الأفعال الأخلاقية ، أو الاستعداد الراســـخ لارادة الخير أو عادة فعل الخير) كما يعرفها كل من فولكييه بأنها (العادة التى بها تمتثل الارادة للخير) ، والقديس توما الاكوينى بانها(صفة طيبة للنفس بها تستقيم الحياة ولا يسئ أحد استخدامها) ، وجوليفية بانها(استعـــداد راسخ لحسن العقل ،اكتسبت على ضوء العقل وصاحبه المباشر هـــــو الارادة [٢] .

أما أرسطو فقد عرفها بأنها (حالة اعتيادية تقوم على العلـــم والارادة، وينجم عنها الثبات والعصمة فى الأفعال ، لانها تخضع للعقل والروئيـــــة وتضبط النفس الشهوانية ــ وان الفضائل موضوعاتها انفعالات باطنة، ونشاطـات خارجية نحو الاعتدال فالشجاعة تعدل الخوف والتهور، والعدالة تعدل فـــى لذة الكسب لتمكن من احترام العقد، فلا يضر الانسان مصلحة غيره ولامصلحته هو) . [٣]

وقد اختلف فلاسفة وعلماء الأخلاق منذ العصور الاولى فى تصنيـــــف (الفضيلة) ــ فقد أكد الرواقيون على لسان فيلسوفهم سنكا أن الفضائل ليست عديدة بل واحدة تحت أسماء عديدة ، اما افلاطون فقد صنفها فى كتابــــه (الجمهورية) الى أربعة : الحكمة ، الشجاعة ، العفة، العدل ، أمـــا بالنسبة للاهوتيين فقد صنفوها الى ثلاثة أنواع :

---

(١) محى الدين بن عربى الحاتمى الطائى ، تهذيب الأخلاق ،مرجع سابق ص ٢٤.

(٢) د.عبد الرحمن بدوى ، الأخلاق النظرية ، مرجع سابق ص ١٤٢ وما بعدها.

(٣) أرسطوطاليس ، علم الأخلاق الى نيقوماخوس ، مرجع سابق ص ١١٠٦ ومابعدها.

١ ـ فضائل لاهوتية وموضوعها الله وتتمثل فى الايمان والرجاء والمحبة.
٢ ـ فضائل عقلية وموضوعها أمور تتعلق بالملكات العقلية فى الانسان نحو التمييز والحكمة.
٣ ـ وفضائل أخلاقية تتمثل فى الفطنة والشجاعة والعدل والعفة.

ومن التصنيفات المعاصرة للفضيلة نوعان ـ فضائل مباشرة وهى العدل والاحسان ، وفضائل غير مباشرةوهى الشرف واحترام الناس ـ وتتمثل فى الشجاعة والعفة والتواضع والحشمة ، والصدق ،والاخلاص ، والامانة ـ كما يوجد تصنيف آخر لفلاسفة الأخلاق المعاصرين للفضيلة تبعا للموضوع ـ الى فضائل شخصية مثل العفة والشجاعة، وفضائل تتعلق بالعلاقات بين الناس مثل الامانة والأدب ، والتواضع ، وفضائل اجتماعية، تتعلق بالأسرة والوطن أو الأمة أو المجتمع.(١)

ومع اختلاف تلك الاراء الفلسفية نحو الفضيلة نرى أن الفضائل عديدة وأن هنالك فضائل رئيسية ـ قد يطلق عليها فضائل إنسانية عامة حيث انها معلومة وواضحة لجميع شعوب الأسرة الدولية وهى العدل ،والتضامن والمحبة والاحسان والصدق والامانة والعفة و الحكمة والتواضع والسخاء والتعاون (٢) وذلك كالآتى :

١ ـ العدل :

يعرف العدل بأنه الارادة الراسخة والدائمة لاحترام كل الحقوق وأداء كل الواجبات ـ فقد عرفه كل من الفقيه الرومانى(البيان) بأنه (ارادة اعطاء كل ذى حق حقه) ، والفقيه (جينى)بانه يعنى(فكرة التناسب الذى يجب ان يكون بين المصالح المتعارضة بقصد تحقيق النظام اللازم لبقاء

---

(١) د. عبدالرحمن بدوى ،الاخلاق النظرية، مرجع سابق ، ص ١٥٤ ومابعدها.
(٢) محيى الدين بن عربى الحاتمى الطلئى ، تهذيب الاخلاق ،مرجع سابق ، ص ٢٤.

الجماعة الانسانية والنهوض بها) (١) أما الفيلسوف ارسطو فقد أعطى لفكـــرة العدل اهتماما بالغا حيث اعتبرها الأساس الذى تقوم عليه القوانين وتستمـــد منه قوتها الملزمة ـ وقام بوضع ثلاثة نظم للعدل . الأول العدل التوزيعى ، (ويرتب علاقات الأفراد بالمجتمع فى صدد توزيع المغانم والاعباء حيث يتعيـن توزيعها فى المجتمع على الافراد وفقا لقدراتهم ،وملكاتهم) والثانى العدل التبادلى (ويرتب علاقات الافراد فى المجتمع بشأن مايجرى بينهم من معاملات ، ويقتضى احداث التوازن بحيث يتساوى قدر الاداء الذى يقدمه الفرد مع قدر الاداء الـذى يحصل عليه) . والثالث العدل التصحيحى وهو (يمثل دور القاضى عندما يقـوم بتصحيح الوضع بين الظالم والمظلوم سواء فى المعاملات الارادية كالبيـــع والشراء أو فى الاحداث غير الارادية كالسرقة والاعتداء) (٢)

ويعتبر العدل فضيلة فردية واجتماعية ـ فهى فردية تدل على الانسان العادل ،واجتماعية حيث انها تراعى حقوق الغير ـ والعدل يضع المعاييـــر للمساواة ثم تأتى العدالة لتأخذ فى الاعتبار الظروف وكل الملابسات الخاصـــة بكل وضع معين (٣) ، وقد نصت كل الشرائع السماوية على اعتبار العدل مـن أعظم القيم الانسانية لمعاملة كل الناس أو الشعوب على قدم المســـاواة. والشريعة الاسلامية قد أقرت ودعت الى ضرورة توفيره للمساواة الإنسانيـــة وكأساس للتعاون فى كل العلاقات البشرية ـ لان الاسلام قد أقام كل علاقـــة إنسانية على العدالة، وكفل حق المساواة ، لجميع البشر أمام القانون ، ويدل على ذلك قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان ..) (٤) ، (ان اللـــه

---

(١) رالف . ب .وين ،قاموس جون ديوى للتربية ، مرجع سابق ص ٤٥

(٢) د. حمدى عبد الرحمن ، فكرة القانون ، مرجع سابق ص ١٦، ص ٤٥ ومابعدها.

(٣) د.بارودى ، المشكلة الاخلاقية والفكر المعاصر، مرجع سابـــق، ص ٢٠٩.

(٤) سورة النحل آية ٩٠.

يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) [١] (ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) [٢] ولذلك فالعدالة فى الاسلام تعنى معاملة كافة الشعوب على قدم المساواة ، واخضاعهم لاحكام القواعد المنظمة للسلوك فى المجتمع الدولى ٠ دون تفرقة بين شعب دولة وأخرى٠ [٣]

وقد عرف العالم الاسلامى الامام محيى الدين بن عربى العدل باعتباره فضيلة صالحة لكافة الشعوب ومن أسس الحياة الانسانية ، بأنه (التوسط اللازم للاستواء ، واستعمال الأمور فى مواضعها وأوقاتها ، ووجوهها ومقاديرها من غير سرف ولا تقصير ولا تقديم ولا تأخير) [٤] ، ويدل هذا التعريف على أن العدل يحقق المساواة بين جميع الشعوب ، ويجعل العلاقات المختلفة بينهم منتظمة ، وفى اتجاه نحو الخير، ويضبط السلوك العام ليمنع الظلم والفساد ٠ والفوضى ، وكل مايحدث من المنازعات والحروب التى تؤدى الى تولد الحقد و الكراهية ، وتعكر صفو الحياة الإنسانية فى المجتمع الدولى ٠

وقد أشار ميثاق الأمم المتحدة فى أكثر من موضع على أن العدل من أهم الاسس التى تحقق الأمن والسلام الدولى ، وتمنع ويلات الحروب التى تجلب على الإنسانية الدمار والاحزان - ومضمون ديباجة الميثاق يعبر بما يفيد بان العدل من أهم المبادىء الاخلاقية نحو الكمال ، وبأنه يمكن الاهتداء اليه وتطبيقه عن طريق العقل حيث قررت (نحن شعوب الامم المتحدة،

---

(١) سورة النساء آية ٥٨

(٢) سورة المائدة آية ٨

(٣) د٠ ابراهيم محمد العنانى حقوق الانسان فى الشريعة الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٥٤، ٥٥٠

(٤) محى الدين بن عربى الحاتمى الطائى ،تهذيب الاخلاق ، مرجع سابق ص ٣١٠

وقد آلينا على انفسنا ... وان نبين الأحوال التى يمكن فى ظلها تحقيق العدالة) (١)

والفيلسوف (امانويل كانت) قد عبر عن ذلك فى فلسفته حيث جعل العدل من مبادئ الأخلاق التى تتبنى على التصور العقلى لتحقيق الكمال الأخلاقى. (٢)

٢ - التضامن :

وهو وسيلة لتحقيق غايات المجتمع الانسانى ببسط خيرات البعض الى الجميع ، وخيرات الجميع الى البعض ، وحل مشاكل البعض بواسطة الجميع (٣) - والتضامن نوعان طبيعي وأخلاقي .

التضامن الطبيعي:

معناه توقف الافراد أو الجماعات أو الشعوب المنتشرة فى هذا العالم بعضهم على بعض - بحيث أن ما يحدث لاحدهما يكون سببا فيما يحدث للاخر - مثل ان المجاعة فى أى دولة افريقية تؤثر على دول أخرى، أو أن نقصا فى الطاقة البترولية المستخرجة من البلاد المنتجة للبترول تؤثر فى الصناعات والحياة اليومية فى البلاد المستهلكة له، أو غلاء الاسعار فى سلعة معينة يتسبب فى احداث غلاء فى سائر البلاد المستهلكة لها.

أما التضامن الاخلاقي:

فيقوم على التزام الضمير، مثل التفوق لدى فرد أو جماعة أوشعب معين يلزمه أو يلزمهم بأن يتم استخدامه لفائدة الآخرين - وبهذا فالتضامن

---

(١) د. أحمد سويلم العمرى ، أصول العلاقات السياسية الدولية ، مرجع سابق ص ١٢٢٨.

(٢) امانويل كانت ، تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ص ٩٤ ومابعدها .

(٣) محى الدين بن عربى الحاتمى الطائى ، تهذيب الاخلاق، مرجع سابق ص ٤٢ ومابعدها.

الاول ضرورة طبيعية والثانى الزام أخلاقي٠ (١)

ويعد التضامن من أهم السبل لتقارب الشعوب نحو وحدتهم الانسانية حيث يعمل على زيادة الوفاق والترابط والتآخى بينهم ، ويزيل كل عوامل النزاع والتنافس اللاانسانى ، واندلاع الحروب ــ وقد أشارت كل الاديان والشرائع السماوية الى ضرورة التضامن باعتباره من أعظم مكارم الاخلاق، ومن أهم العوامل التى تجنب الشعوب الانانية والحقد والكراهية ــ وفى ذلك يقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم (لا يوءمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه) ــ وهذا الحديث الشريف حكمة لمنع الفساد والجروح التى تصيب الانسانية وتسئ الى مشاعرها من خطر الانانية العمياء التى تدمر الحياة الانسانية٠ (٢)

٣ ــ المحبة والاحسان :

وهذان المعنيان قد يتحدان فى لفظ واحد فى اللغات الاوروبية هو Charité بالفرنسية ، وفى الانجليزية Charity وبالايطالية Carita ــ والكلمة اللاتينية Caritas مشتقة كصفة معنوية من Carus وتعنى عزيز، محبوب ــ ولكن سرعان ماجمعت معنيين ــ المحبة بمعنى أن يحب الانسان غيره دون أن ينتظر مقابلا ، وأن يسعى لتحقيق الخير له بكل مافى طاقته دون أن يتوقع جزاء ولاشكورا٠

وبذلك فالمحبة والاحسان ليس المقصود بها الحب العاطفى انماتعنى المحبة الأخلاقية التى تقوم على أساس الأخوة الانسانية بين الشعوب ــ بتقديم العون والصدقات دون انتظار المقابل ــ ويقال أن المحبة والاحسان مرادفان للأخوة مادام أساسها هو الصفة الانسانية المشتركة ــ ولذلك يجب أن يتسعا ليشملا كل الناس مهما اختلفت أجناسهم والوانهم وعقائدهم من أجل

---

(١) د٠ عبد الرحمن بدوى ، الاخلاق النظرية، مرجع سابق ص ٢٠٧ وما بعدها٠

(٢) د٠ ابو بكر محمد زكرى ، تيسير فلسفة الاخلاق ، مرجع سابق ص ١٣٦٠

بناء العلاقات الانسانية السليمة •

وهذا ما نادى به كل فلاسفة الشرق فى العصور القديمة – مثـــل اخناتون ، وبوذا ،وكونفوشيوس ، وزاردشت ، وركز عليه الرواقيون فى عهـــد الاغريق ، حيث جعلوا المحبة هى غاية الإنسانية•

كما اعتمدت عليه كل الاديان من أجل اصلاح البشرية، ففىالمسيحية صارت ركن الزاوية فى الايمان ،والأخلاق وفى كل علاقات الشعوب على أســـاس أن الله محبة Deus est caritas (رسالة يوحنا الاول ٤، ٩ ، ١٦) [(١)] •

أما الاسلام فيؤكد بكل الادلة و البراهين (كرسالة ذات نزعـــة انسانية عالمية) على محبة كل البشر منأجل دفع العدوان و اضفاء الهـــدوء والسلام على كل علاقات الشعوب ، والتشجيع على احترام الحقوق المتبادلة ، وتجنب الحقد والكراهية• [(٢)]

نؤيد ما ذهب اليه الفيلسوف (امانويل كانت) بأن المحبة أمريتصل بالعاطفة لا بالارادة، وذلك لان الحب فى ذاته ليس بمعنى أن أريـــد الحب أو أكره عليه ، وانما الضمير هوالذى يفرض هذا الحب ،و يجعله فعلا من أفعال السلوك ، أى يخضعه للقانون الأخلاقى -فاذا قيل مثلا بأنـــه ينبغى على شعب دولة معينة أن يحب شعوب الدول الأخرى – فليس معنى هذا أنه ينبغى عليه أن يحب مباشرة، وانما على هذا الشعب أن يتخـــذ طريق المحبة – بان يفعل الخير أى يقدم الخير للشعوب الأخـرى، لان فعل الخير سوف يولد فى نفوس هذا الشعب حب الشعوب الأخرى مـــن ناحية ، ويجعله على استعداد كامل للميل نحو فعل الخير بوجه عـــام

---

(١) د• عبد الرحمن بدوى ، الاخلاق النظرية، مرجع سابق ، ص١٩٩ ومابعدها•

(٢) د•ابراهيم النعنانى، حقوق الانسان فى الشريعة الاسلامية، مرجع سابق ص ٢٥•

وبصفة مستمرة لشعوب الدول الأُخرى من الناحية الثانية.(١)

وديباجة ميثاق الامم المتحدة تؤكد ذلك حيث تقرر فيها من أجل تنفيذ الغايات المنشودة من انشاء منظمة الأُمم المتحدة(ان تعتزم الشعوب فى اتخاذ طريق التسامح ، وأن تعيش معا فى سلام وحسن جوار)ـ كما اشارت الفقرة الثانية من المادة السادسة والعشرين من الاعلان العالمى لحقوق الانسان ما يفيد ذلك(٢) أيضا حيث نصت بانه(يجب أن تهدف التربية الى انماء شخصية الانسان، والى تقرير احترام حقوق الانسان والحريات الاساسية ، وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية ،والى زيادة مجهود الامم المتحدة لحفظ السلام).

ولذلك فالمحبة والاحسان يمكنان الشعوب من قتل الحقد والكراهية ويرسمان طريق النور الذى يسير على هداه السلام ليتحقق لهم الترابط الأُخوى والتعاون ، والوفاق العظيم فى الحياة الدولية.(٣)

٤ ـ الصدق والامانة:

وهذان المعنيان يعبر عنهما فى الفرنسية بكلمة واحدة هى Sincerite وتعنى الاستعداد لاقرار الحق ،والصدق فى الاخبار، والأُخلاص فى العمل ، وهى تضاد النفاق والرياء ، وكل الوان الكذب وعدم الامانة فى القول أو الفعل.(٤)

---

(١) اما نويل كانت ، تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق، ص٢٦

(٢) د. أحمد سويلم العربى، اصول العلاقات السياسية الدولية ، مرجع سابق ص ١٢٩٠.

(٣) د.هنرى توماس ، أعلام الفلاسفة ، مرجع سابق ص ٤٢٢.

(٤) د. عبد الرحمن بدوى ، الاخلاق النظرية، مرجع سابق ص ١٨٧ ومابعدها .

ويعتبر الصدق والامانة من أعظم المبادئ الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بهما كل انسان، وكل مجتمع في هذا العالم . حيث انهما صفة انسانية تعني العديد من الصفات الأخلاقية أهمها الشجاعة بأن يكون الانسان أمينا مع نفسه ومع الآخرين ولايخشى مغبة سلوكه ، وأن يكون صادقا مع نفسه ، ومع الاخرين ليتجنب قبائح الذنوب وفواحش العيوب — قال تعالى : (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) (١) — وقال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم .. (كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت به كاذب) ، فالصدق فضيلة والكذب مضاد له ويعد خيانة للأخوة في الدين وفي الوطن وفي الانسانية لكل الشعوب. (٢)

وقد عرف الامام محيي الدين بن عربي الامانة بأنها (التعفف عما يتصرف الانسان فيه من مال وغيره ، وما يوثق به وعليه من الأعراض، والحرم مع القدرة عليه ، ورد ما يستودع الى مودعه) كما عرف الصدق بأنه (الأخبار عن الشئ على ما هوعليه ليتحقق الخير) — ومعنى هذا أن الصدق والامانة من الفضائل المستحسنة عند جميع البشر حيث يحقق لهم الخير ويبعث فيهم سلامة النية ويجنبهم الخبث والغيبة والمكروالخديعة. (٣)

ويعتبر الصدق والأمانة من العوامل الهامة لحسن سير العلاقات الدولية — حيث أدى الأخلال بهما الى حدوث توتر ومنازعات وحروب بين الشعوب — وتاريخ العلاقات الدولية خير شاهد على ذلك وخاصة خلال القرن التاسع عشر الذى ماجت فيه دبلو ماسية الخداع والاحلاف السرية التي ابتدعها زعماء السياسة في أوروبا مثل مترنيخ النمساوي وبسمارك الالماني ،والتي نتج عنها توتر في العلاقات واشعال الحروب التي استمرت حتى الحقت بكل

---

(١) سورة النساء ، الاية ٥٨.

(٢) د. ابو بكر محمد ذكرى ، تيسير فلسفة الاخلاق ، مرجع سابق، ص ١٥٨.

(٣) محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي ،تهذيب الاخلاق، مرجع سابق ص ٢٨، ٢٩.

شعوب العالم في القرن الحالي بالخراب والدمار من أثر الحربين العالميتين الاولى والثانية. (١)

وكان من أهم العوامل التى نادى بها دعاة السلام بعد هده المنازعات والحروب لترميم ما تصدع من العلاقات الدولية ــ هو أن يسود الصدق والامانة كافة علاقات الشعوب ــ من أجل حسن التفاهم ، وتحقيق الامن والسلام الدوليين ، ولذلك نص ميثاق عصبة الامم فى المادة ١٨ بما يفيد بطلان كل الاتفاقات والاحلاف السرية لما تتضمنه من مكر وخداع ونفاق ــ كما نصت المادة١٠٢ من ميثاق الامم المتحدة بالاتى (كل معاهدة وكل اتفاق دولى يعقده أى عضو من أعضاء الامم المتحدة بعد العمل بهذا الميثاق ــ يجب أن يسجل فى أمانة الهيئة، وان تقوم بنشره باسرع ما يمكن) . وذلك من أجل تجنب عقد أى معاهدات أو أحلاف سرية تؤدى الى تعكير العلاقات الدولية، والاخلال بالامن والسلام الدوليين مثل ما حدث من قبل . (٢)

٥ ــ العفــه :

وهى فضيلة أساسية تعنى الاعتدال ، ويشترط توافرها فى كل فضيلة ــ لانه لولاها لصارت الحكمة مكرا ودهاء، والشجاعة تجاوز الهدف، والعدالة قد تجور الى الظلم ــ وذلك لانها ، تعدل الذات وتنظم الشهوات . وتخضعها لحكم العقل ، وتهدف الى الاعتدال فى كل الامور ، والاحتشام مع الناس .

وقد عرفها الامام محى الدين بن العربى : بأنها (ضبط النفس عن الشهوات وقسرها على الاكتفاء بما يقيم أود الجسد ، ويحفظ صحته ، واجتناب

---

(١) د.احمد سويلم العربى : تطور العلاقات السياسية الدولية ، مرجع سابق ، ص ٢٩٣ ومابعدها.

د. عبدالعزيز سرحان ، القانون الدولى العام ١٩٧٣، القاهرة، دا، النهضة العربية . ص ١٣٤.

السرف ، والتقصير فى جميع اللذات ،وقصد الاعتدال ، وان يكون مايقتصر عليه من الشهوات على الوجه المستحب ، المتفق على ارتضائه ، وفى أوقات الحاجة التى لاغنى عنها ، وعلى القدر الذى لا يحتاج الى أكثر منه،ولايحبس النفس والقوة أقل منه) ، والمعنى العام الذى تضمنه هذا التعريف انالعفة تهدف الى الاعتدال بضبط النفس ، وتنظيم السلوك الظاهر لتحقق الخير ، والابتعاد عن ارتكاب الشر (١) .

والعفة تختلف عن التقشف حيث ان بينها تميزا واضحا لانالعفة تعنى الاعتدال ، اما التقشف فهو حرمان (٢) .

وتعد العفة من المبادىء الاخلاقية لحسن سير العلاقات الدولية — لانها تعمل على كمال الفضائل لكل الامور الارادية الصادرة من كافة الشعوب والتى تتعلق بها قوة الفكر والتمييز من أجل الوصول الى غاية تحقيق السلام والاخوة الانسانية وتجنب المنازعات و الحروب — كما يعتبر الارتكاز عليها من أهم الوسائل التى تؤدى الى النهوض بمستوى دول العالم الثالث ، التى تعانى من الفقر والمشاكل العديدة فى التعليم والادارة والاقتصاد والتصنيع، وتخلف الحياة الاجتماعية — وذلك عن طريق قيام الدول الغنية برفع نسبة المساعدات المادية والفنية التى تؤديها لتلك الدول لكى تتغلب على مشاكلها وتنهض بمستوى معيشة شعبها، بدلا من أن يدب فيهم اليأس أو التشاؤم بالنسبة للمستقبل الامر الذى يهدد الامن والسلام الدوليين (٣) .

وتعتبر مساعدات الدول الغنية لدول العالم الثالث من قبيل فضيلة العفة على أساس أن شعوب الدول الغنية تنعم بالرخاء والتقدم ،

---

(١) محىالدين بن عربى الحاتمى الطائى ، تهذيب الاخلاق، مرجع سابق ص ٢٤ .

(٢) د. عبدالرحمن بدوى ،الاخلاق النظرية، مرجع سابق، ص١٨٢

(٣) ك .أ. بانيكار ، مشاكل الدول الاسيوية والافريقية، تقديم وترجمة عبدالسلام شحاته، الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ١٩٥٩، ص ٩ ومابعدها.

وشعوب دول العالم الثانى تعانى من الفقر والتخلف ،وان الترابط الأخوى لشعوب العالم يتطلب ان يساعد الغنى الفقير، وهذه المساعدة لايمكن أن تتم الا اذا اقتنعت الدول الغنية بضرورة الاعتدال فى رخاءشعبها، ومساعدة الشعوب الفقيرة حتى لاتزداد الفجوة بينهم ، وترتفع حدة الحقد والكراهية ويكون المصير الخراب والدمار للجميع.

٦ ــ الحكمة Sagesse

يعرف الفيلسوف جون ديوى الحكمة بأنها (حاضنة ومرضعة كل الفضائل وتتولى تسيير دفة شئون الحياة الانسانية) ، فحيث ان لكل انسان كماله الطبيعى الذى يخصه فانه يجب عليه باعتباره أشرف الموجودات التى خلقها الله سبحانه وتعالى فى عالم الطبيعة ان يقدر هذه الحكمة بان ينظر ويعامل كل انسان كما يعامل نفسه من منطلق ما يتحلى به من عقل وبصيرة[(١)] ــ فلا يظلم ولا يكذب أويرتكب أى عمل من أعمال الشر ضد الآخرين، وان يتخذ الاحتياط الكامل فى كل تصرفاته من تفكير وروية لتحقيق الحسن أو الخير من كل أعماله.[(٢)]

وقد تسمى فضيلة الحكمة باسم الفطنة Prudence وهى بذات المعنى ــ وقد عبر ارسطو عن الحكمة بأنها تعنى(المعرفة النظرية والمعرفة العطية معا)[(٣)] ــ وضمن القديس توما الاكوينى الحكمة فضائل جزئية وهى(الحنكة بالتجارب ، الاستعداد للافادة من التعاليم والنصائح ، البصر بالعواقب ، التفكر، التبصر، الاحتياط، الاعتبار)ــ كما حددها من الفلاسفة المعاصرين لويس لافل L. Lavelle بالقول بأنها (نوع من المعرفة فيها تختفى التفرقة بين النظرية والعمل : انها علم

---

(١) رالف ب . وين ، قاموس جون ديوى للتربية .
مرجع سابق ، ص ٩٥.

(٢) محمد الغزالى ، عقيدة المسلم ، مرجع سابق ص ٨٦

(٣) شارل فرنر ، الفلسفة اليونانية، مرجع سابق ، ص ١٤٦.

الحياة الروحية، أعنى علم الروح الفعالة،وهو علم أعمق من كل العلوم، وأشد استسرارا ،والعلم الوحيد الذى فيه وحدة ضرورية بين المعرفة و العمل)ـ ثم قام ديكارت بتحديد ثلاثة قواعد للحكمة ٠ الاولى : أن يعمل الانسان دائما على أن يستخدم عقله على أحسن وجه بأن يعرف ما يجب أن يفعله أو يمتنع عنه فى كل ظروف الحياة٠ والثانية : ان يكون ذا عزم راسخ على انجاز ما ينصحه به العقل ، دون أن ينساق وراء شهواته ، والثالثة :أن يعتبر اثناء سلوكه وفقا للعقل ، ان كل الخيرات التى لايملكها هى كلها خارج سلطانه٠ (١)

ومراعاة الحكمة من جانب مجتمع كل دولة فى علاقاته مع الدول الأخرى يؤدى الى ازالة كل ما يعكر صفو العلاقات الدولية ويزيد من الترابط الأخوى بين كل الشعوب حيث ان الحكمة فضيلة عظيمة تساعد كل الدول على تفهم معنى الحياة الدولية، ووضع الحلول لكل المشكلات ، وتنفيذ ارادة الخير والصلاح فى هذا العالم٠ (٢)

٧ ـ التواضع :

وهو الخضوع للحق والانقياد له وتقبله بنفس راضية من الاخرين والزيادة فى الاكرام ،والابتعاد عن الانانية والغرور والكبرياء والاحتقار ـ والتواضع فضيلة أخلاقية عقلية ترتبط بفضائل اخرى ـ مثل الصدق والعدل والشجاعة والامانةوالمحبة ، ليتغلب الانسان على شهواته، ونزعاته ويكون محبا للغير ولايجنح لحب ذاته (٣) ـ كما أنها تساعد الانسان على طلب العلم والمعرفة لان التعالى والكبرياء يجعل الانسان يدعى العامه بكل أمور العلم

---

(١) د٠ عبدالرحمن بدوى ، الاخلاق النظرية، مرجع سابق ، ص ١٦٢ ومابعدها٠

(٢) نور الدين اشراقية، معركة الحياة، مرجع سابق ، ص ٣١٥٠

(٣) محىالدين بن عربى الحاتمى الطائى ، تهذيب الاخلاق، مرجع سابق ص ٢٧٠

والمعرفة فى حين أنه يكون فى غاية الجهل الذى قد يدمر ذاته ويبعدهـــا عن فعل الخير (١) .

يشجع التواضع شعوب الأسرة الدولية على التعاون المتبادل بينهـــم ويزيل كل عوامل الحقد والكراهية - لان التواضع يجنب شعب كل دولـــة الغرور والانانية والكبرياء ،ويجعله يعترف بالوحدة الانسانية (٢) ، وبـــان أى تفوق يلحق به ويميزه بالتقدم والرخاء يرجع الى حد ما الى أفضال شعـــوب الدول الأخرى وحضارتها التى يرتبط معها بوحدة المصير فى الحياة الانسانية (٣)

٨ - السخـــاء

وهو الجود بما لدى الانسان على الناس ، أو بما لدى شعب دولة على شعوب الدول الأخرى - ويرى ديكارت أن (الاسخياء مدفوعون بطبعهـم الى القيام بجلائل الاعمال ، وهم دائما مهذبون لطفاء فى غاية الادب مـــع الآخرين ، ومسيطرون تماما على انفعالاتهم وخصوصا على الشهوات والغيــــرة والحسد ، ويضبطون كراهيتهم للناس لانهم يقدرون الناس جميعا ، ويضبطـــون الخوف نظرا الى ان ثقتهم بفضائلهم تبث فى نفوسهم الأمان ، ويضبطـــون الغضب لانهم لايقيمون كبير وزن للامور التى يتوقف تحصيلها على الغير ، ولذا لايقيمون لاعدائهم من الأهمية والامتياز الذى يجعلهم يستشعرون بالاهانة مـن ناحيتهم) . (٤)

وقد نصت كل الشرائع السماوية على السخاء كفضيلة من مكـــارم الاخلاق - وجاءت نصوص عديدة فى الشريعة الاسلامية تؤكد على أهميـــة

---

(١) ابو بكر محمد ذكرى ، تيسير فلسفة الاخلاق ، مرجع سابق ، ص١٣٠ ومابعدها .

(٢) عبد الجواد رجب ، مع الله (نظرات فى الكون) مرجع سابـــق ، ص ٨٠ ومابعدها .

(3) James E. Bougherty, Contending Theories of International Relations, op. cit., p. 17.

(٤) د.عبدالرحمن بدوى ، الأخلاق النظرية ، مرجع سابق ، ص ٢٢٢ .

السخاء فى بث المحبة فى النفوس ، والابتعاد عن الشر ـ مثل تحريم اكتناز المال [١] .. فقال تعالى(والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم ، فتكوى بها جباههم ، وجنوبهم، وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون) . [٢]

والسخاء كفضيلة يعمل على نمو الاحساس بالانسانية ،ويدعم تقارب الشعوب نحوالاخوة والمحبة ـ كما أنه أيضا من المبادىء الأخلاقية الهامة التى تساعد على تضييق الفجوة بين الدول المتقدمة والدول النامية، لانه من خلال هذه الفضيلة سوف تقوم الدول القادرة بزيادة دعم الدول المحتاجة، بكل الوسائل المادية والفنية ، حتى تساعدها على النهوض ـ من أجل أن يسود السلام الدائم والمحبة بين كل الشعوب ، وتتجنب الأسرة الدولية ما قد يحدث بين اعضائها من حقد وكراهية قد يؤدى الى تولد المنازعات واشعال الحروب. [٣]

٩ ـ التعاون :

وهو منأسمى الفضائل الأخلاقية لتحصيل الخير لكل الشعوب ـ لان مقتضيات الطبيعة البشرية ، والفطرة الانسانية تتطلب أنتتعاون كل الشعوب من أجل تحقيق خيراتهم ،والصمود فى مواجهة أعباء الحياة ـ فكما لايمكن لانسان أن ينفرد بنفسه فى تحقيق الخيرات بمعزل عن الناس [٤] .

---

(١) محيالدين بن عربى الحاتمى الطائى، تهذيب الاخلاق ، مرجع سابق ، ص ٢٩ .

(٢) سورة التوبة الاية ٣٤، ٣٥ .

(٣) (3) Herb Addo, Transforming the World Economy. Nine Critical,Essays on the New International Order. Hodded and Stoughton, London, Sydney, Auckland in Association with the United Nations University, 1983, pp. 1-3.

(٤) محى الدين بن عربى الحاتمى الطائى، تهذيب الاخلاق ، مرجعسابق ص ٤٧ .

فأيضا لا يستطيع مجتمع أى دولة أن يحقق الخيرات لافراده بعيدا عـــن شعوب الدول الأخرى ـ وذلك لان التعاون سمة مرتبطة بالوجود الانساني ، فلا سلام ولا محبة بين الشعوب بدون رابطة التعاون التى تجعلهم يتآخـون ويسعون نحو هدف جماعى هو تحقيق الخير وتجنب الشر.[١]

ويعتبر التعاون الدولى من أقوى الضمانات لتحقيق السلام العالمى، ومن أهم العوامل التى تساعد على تضييق التفاوت بين مستويات الشعوب[٢] ، ولذلك تجاهد الدول من خلال الأمم المتحدة،و المنظمات الدولية المختلفة، من أجل اتخاذ كافة الوسائل الايجابية لتحقيقه بين كل شعوب العالم لزيـادة الروابط الإنسانية[٣] ، وتجنب الصدام الذى يمكن أن يحدث بين الشعـوب المتقدمة والمتخلفة ، ويهدد السلام العالمى.[٤]

وجميع الاديان السماوية تجعل من تعاون الشعوب أساسا عـادلا ومنهجا سديدا لاستمرار الحياة الانسانية ـ لان الله سبحانه وتعالى قد وزع المواهب والامكانيات على الشعوب بقدر وحكمة ـ فما يوجد عند البعـض قد لايوجد عند الآخرين ، ولذلك لابد من التعاون بينهم حتى يتحقق لهـم جميعا كفاية مايحتاجون ، فالشريعة الاسلامية تعتبر التعاون من أهـم المبادئ الإنسانية التى تتحقق من خلالها الخيرات لكل الشعوب ، تصديقـا لقولهتعالى(وتعاونوا على البر والتقوى)[٥] أى ان التعاون عمل يجلـب الخير ويدفع الشر لانه بر ، وتقوى اذا توافرت له النية الصالحة، وفى ذلـك

---

(١) ماكس بيلوف ، ابعاد جديدة فى السياسة الخارجية، مرجع سابق ، ص ١٩٦.

(٢) رالف ب . وين، فلسفة جون ديوى للتربية ، مرجع سابـق ص ٤١

(3) James E. Dougherty, Robert L. Pfaltzgraff, Contending Theories of International Relations, op. cit., p. 172.

(٤) د. حسين عمر ، المنظمات الدولية والتطورات الاقتصادية الجديـدة مرجع سابق ، ص ٦٠

(٥) سورة المائدة ، آية ٢.

يقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم (يد الله على الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه ، فاذا خان أحدهما صاحبه رفعها عنهما) ويد الله كناية عن التوفيق والمعونة والبركة. (١)

وبذلك فالاخلاق الدولية مجموعة من القيم والمبادىء العامة التي تتفق عليها وتعتنقها كافة شعوب العالم، وهي تأسست منذ بداية الحياة الانسانية من السلوك العام المتحد للأخلاق الاجتماعية التي طبقت في كل المجتمعات البشرية بعد ان تكون اطارها من مضمون السلوك العام للأخلاق الشخصية المتعلقة بكل فرد اندمج بحكم المصير داخل مجتمع ، وترابط بحتمية الوجود الانساني مع افراده .

واذا كانت الاخلاق الدولية تتضمن قيما ومبادىء تمثل أسس الوجود للحياة الانسانية التي تشترك فيها كافة الشعوب — فان هذه القيم والمبادىء نابعة من الضمير الانساني لتوجه السلوك الفردي والجماعي والدولي نحو الواجب والفضيلة من أجل تحقيق الخير واليسر والمصلحة، والابتعاد عن الشر والضرر والمفسدة سواء للفرد أو لجماعة معينة أو لجميع الشعوب ، وذلك تحقيقا لمصلحة البشرية جميعها في كل زمان ومكان. (٢)

ولهذا فمفهوم الأخلاق الدولية عميق حيث يبدأ أساسه من ضمير الانسان الذي طبعت فطرته على الخير ، وتكون بناؤه من السلوك العام الذي يحركه هذا الضمير نحو الترابط والتآخي والمحبة لتحقيق الغايات المنشودة من وجود الحياة الانسانية واستمرارها ،واجتناب الشر الذي يعكر صفاءها. (٣)

---

(١) د. يوسف القرضاوي ، الحلال والحرام في الاسلام، مرجع سابق ، ص ٢٢٦.

(٢) محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي، تهذيب الاخلاق، مرجع سابق ، ص ٥٤ ومابعدها.

(٣) رالف ب . وين ، قاموس جون ديوي للتربية . مرجع سابق ص ٤٢.

الباب الثانى

مصدر الأخلاق

المصدر الوحيد لكل القيم والمبادئ الأخلاقية هو الله سبحانه وتعالى — فما حسنه الله فهو الحسن ، وما قبحه الله فهو القبيح — لانه سبحانه وتعالى لايأمر الا بالخير ولايدعو الا الى ما يصلح أحوال الناس. جميعا فى هذه الدنيا — والله عز وجل نظم هذا الكون ، وخلق الانسان بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وسخر له ما فى السموات والارض ، واحاطه بالتكريم والعناية ، وفضله على كثير من خلقه ، وجعله مخلوقه المفضل وحمله أمانة التكاليف الشرعية التى عجزت عنها المخلوقات الاخرى — ولم يتركه دون هاد يهديه ، ومرشد يرشده الى حسن مراده — ومن أجل ذلك اقتضت رحمته وعدله ان يرسل الرسل ليكونوا قنوات اتصال لنقل تعاليمه من القيم والمبادئ الى كل الناس للهداية وحسن الصواب. (١)

وكل الرسالات السماوية التى أرسلها الله سبحانه وتعالى الى البشر اتفقت فى أصلها على أسس تستهدف توحيد الخالق الاعظم وعبادته، وتحقيق الخير فى الدنيا والآخرة للناس — وعن هذه الرسالات يرد اليها كل قاعدة أخلاقية تتفق الفطر السليمة على حسنها لان كل رسالة من رسالاته عز وجل عامة لصلاح كل البشر، لانه جل شأنه فى ذاته خير، والخير ليس له من مصدر سواه .

سنبين فى هذا الفصل مدى الصلة والارتباط بين الدين والأخلاق منذ بداية ظهور البشرية — من حيث ان دائرة الدين أوسع وأشمل من دائرة الأخلاق التى تنبع منها ، وان العقائد الدينية مهما تعددت تتفق على مبادئ عامة للأخلاق الفاضلة ،وقواعد للتميز بين الخير والشر من جانب علاقة الانسان بغيره ، وان كان يوجد اختلاف بين هذه العقائد من حيث تحديد الالوهية، وأمور العبادة والشعائر الدينية — لان الله سبحانه وتعالى رسالاته عامة لكل البشر ولم يترك شعبا ولا أمة دون أن يبعث فيهم من

---

(١) محيالدين بن عربى الحاتمى الطائى ، تهذيب الاخلاق، مرجع سابق ، ص ٩٠

يهديهم ويرشدهم الىالحق وحسن الصواب ـ فمن الناس من هداه تفكيره ووجدانه الى الاعتراف بقدرة الله سبحانه وتعالى واتجه الى الحق والتوحيد، ومنهم من ضل وأشرك ، أو انحرف فى تحديده، وصوره تصويرا مثولوجيا ـ ومن هنا تعددت العقائد الدينية لدى شعوب العالم ، واختلفت فى جانبى علاقة الانسان مع ربه وعلاقته مع نفسه ، واتفقت جميعا فى الجانب الثالث من حيث المبادىء العامة لعلاقة الانسان مع غيره ـ وهى المبادىء التى يؤسس عليها قيم الأخلاق الفاضلة، والقواعد العامة التى تميز الخير عن الشر ـ وجميعها من عند الله سبحانه وتعالى حيث لم يرسل لعباده الا كل خير وعدل .

نعرض ذلك من خلال ثلاثة فصول على النحو التالى :

الفصل الاول : التاريخ الانسانى للعلاقة بين الدين والاخلاق .

الفصل الثانى : الرابطة الموضوعية بين العقيدة الدينية والاخلاق .

الفصل الثالث : الرسل والانبياء .

الفصل الأول

التاريخ الإنساني لعلاقة الدين بالأخلاق

دأب الانسان منذ القدم على التأمل فى الكون المحيط به، والتفكير فى ملكوت السموات والارض ــ وكان هذا التأمل والتفكير يصبان فى قوالب مختلفة من التصورات والادراكات ، تعكس صورة هذا الوجود فى نفس الانسان، وترسم معالمه فى عقله ــ مما أدى الى ارتباط ثقافته الانسانية بالناحية المعنوية والروحيةالتى تغيرت طبقا لمستواه الحضارى على مختلف العصور (١) ــ حيث ان الانسان لم يكن فى امكانه أن يضبط احكامه فى القضايا العقلية والمسائل الغيبية بنفس القدر الذى استطاع به أن يضبطها فى القضايا الحسية والمسائل التجريبية(المادية) الملموسة ــ وبذلك كان من الضرورى أن يظهر صراع وخلاف فى التفكير فى كل ماهو غيبى ، فظهرت بالتالى المشكلات الفكرية للعقيدة الدينية حول الالوهية فى مختلف أطوار الانسان منذ فجر تاريخ الانسانية. (٢)

والعقيدة الدينية قديمة قدم الانسان ــ فقد لازم الدين الانسانية منذ نشأتها الاولى، ولم يوجد مجتمع من المجتمعات القديمة الا وقام هيكله على أساس دينى مما أدى الى جعل سلطة الدين بالثواب والعقاب ظاهرة تعم البشرية جميعا منذ بدء الخليقة ــ وفى ذلك يقول عالم الاجتماع الالمانى جورج زيمل (لايمكن أن يكون مجتمع قديم قد عاش بدون الدين ــ فبدون الطاعة والورع والثقة والاخلاص يصبح المجتمع مستحيلا) . (٣)

فقد بدأ الانسان منذ الازل يتطلع بالخوف والدهشة من أحداث ليس بمقدوره أن يفهمها او يعرف علتها ــ فأدهشته حركة دوران الشمس عندما

---

(١) د. مصطفى الخشاب ،دراسة المجتمع ١٩٢٨، مكتبة الانجلوالمصرية القاهرة ص ٩٤، ٩٥.

(٢) د. محمد بيصار، العقيدة والاخلاق ،مرجع سابق ،ص ٩.

(٣) د.. محمودالسقا، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية ، مرجع سابق، ص ٨٤.

تشرق وتضيء النهار ثم تلف حتى تغرب ويختفى شعاعها ، ويظهر القمر والنجوم عندما يسدل الليل ظلامه ، وتسبح فى سماء الكون بصورة منتظمة التوقيت — كما ازدادت دهشته عندما شاهد السحب والامطار والرعد وسرعة الرياح ، وأحس بالبرودة والحرارة وكافة العوامل الجوية — فاعتقد أنه يوجد عالم من الارواح يجهل طبيعتها وغايتها تدبر هذا الكون ، وتحرك محتوياته — فأخذ يعمل على استرضائها وهو ملئ بالخوف والرهبة من بطشها عليه بطرق متعددة من العبادة بعد اقتناعه بأن كل ماهو موجود حوله من صنع روح خفية أو اله خفى له الحكمة والعظمة . — وبالتالى ظهرت العقائد الدينية فى صورتها الاولى ، وهى تتمثل فى عبادة الروح ، وتعددت بتعدد محتويات هذا الكون (١) — فمن الناس من عبدوا الشمس لما لها من قوة سحرية بنورها وتدفئتها — والبعض الاخر عبدوا القمر والنجوم بعد أن أدهشتهم حركتها ، واعتبروها كمنظم للزمان ومقياس للاحوال الجوية التى اثرت فى أمور معيشتهم — وآخرون عبدوا الارض والنار والنباتات ... الخ — ولذلك تعددت الالهة بتعدد تلك المعتقدات ، وأخذ الناس يتطلعون اليها ويأملون معوناتها ، وهم يتقدمون لها بالشكر من أجل استجلاب الخيرات لهم ، ودفع الشر عنهم ، واتبعوا فى ذلك طرقا مختلفة لاسترضائها ، بالشعائر الدينية ، وتقديم القرابين — بعد أن تولد لديهم الاعتقاد بأن غضب الالهة عليهم سيؤدى الى المرض او الجنون أو الموت (٢) .

ومع مرور الزمان تطورت المعتقدات الدينية وعبادة الناس لهذه الالهة بعد أن شكلت المجتمعات البشرية الاولى حيث تحولت العبادة القائمة على الخوف والرهبة فقط الى عبادة مقدسة متحلية بالورع والتقوى — وأصبح لكل عقيدة دينية رجال دين أطلق عليهم اسم الكهنة تزعموا اقامة الشعائر والطقوس

---

(١) د. صوفى حسن أبو طالب ، مبادئ تاريخ القانون ، مرجع سابق ، ص ٨٤.

(٢) د. أحمد الخشاب ، دراسات فى النظم الاجتماعية ، ١٩٥٨ ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ص ٣٦٤.

الدينية وغرس مبادىء العقيدة فى نفوس الناس ــ وبالرغم من أنهم قد أضروا بالناس قديما، حيث احتكروا ضروب المعرفة ، وأبقوا على الخرافات ، كما ازدادت طموحاتهم فى السيطرة و التطلع الى الحكم لتكون فى يدهم السلطتين الدينية والدنيوية (التى تسببت فى نشوب العديد من المنازعات التى أريقت فيها دماء الكثير من الابرياء) ، الا أنه يرجع اليهم الفضل فى تضييق نطاق الخرافة وتلقين الناس بداية التعليم والتهذيب ، كما كانوا موئلا للتراث الثقافى المتزايد، وعزاء للضعيف أمام القوى ،والعامل الفعال الذى أعان الدين على تدعيم بناء الاخلاق الشخصية للانسان، ثم تكوين أخلاق المجتمع عن طريق ضبط سلوك الافراد على القيم والمبادئ المستمدة من الواجب والفضيلة.(١)

ومن هذا المنطلق أصبح الدين يمشى جنبا الى جنب مع فلسفة المجتمع وأخلاقه، واختلط الجزء الدينى بالجزء الاخلاقى، وأصبح كل منهما معبرا عن الاخر ــ حيث عبرت الاخلاق عن العقيدة الدينية ومبادئها التى لقنت للافراد داخل المجتمع القديم، و عبرت العقيدة الدينية عن القيم والمبادىء الأخلاقية التى يجب أن يتحلى بها الانسان والجماعات القديمة(٢) عن طريق تحريم بعض الأفعال ، و توليد الشعور بالحياء والاحساس بالخطيئة فى حالة ارتكاب عمل من المحرمات التى نهى الدين عن لمسها.(٣)

ونتيجة لذلك أصبح الدين ضرورة إجتماعية ،وقاعدة لتوحيد رموز الاخلاص والولاء والثقة والقيم المقدسة Sacred Values وأساسا للتوافق الأخلاقى للافراد(٤) ــ وقد ذهب فريق من العلماء الى القول

---

(١) د. محمود السقا، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، مرجع سابق، ص٤٤

(٢) الشيخ محمد ابوزهرة، اصول الفقه ١٩٧٣، الطبعة الاولى، القاهرة، دار الفكر العربى ،ص ٢٦ومابعدها.

(٣) د. أحمد الخشاب، دراسات فى النظم الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٣٦٥

(٤) د.ابراهيم ابو الغار، علم الاجتماع القانونى، مرجع سابق، ص١٩١.

بأن نشأة الدولة فى العصور القديمة يرجع الى أصل دينى، واستندوا عليها فى تبرير سلطة الملوك بفكرة الحق الالهى التى شاعت فى العصور الوسطى — على أساس أن كل الدول القديمة (اليهودية — المصرية — بابل — آشور) كانت خير دليل للدولة الدينية — حيث كان الملك يجمع فى يده كل السلطات الدينية والدنيوية — أى كان يمثل الحاكم والكاهن فى ذلك الوقت ، ويذعن فى الناس الخوف من بطش الالهة (١) .

وبهذا التقت القيم والمبادىء الاخلاقية بالعقيدة الدينية ، وأصبحت الصلة وثيقة بينهما — حيث قامت على أسس نفسية، وعوامل بعضها وجدانى والاخر عقلى — وأكد بعض الكتاب بأن قواعد السلوك كانت لاتقوى على البقاء فى المجتمعات القديمة بدون تأييد من الدين وبما يتضمنه من أوامر ونواه — وبأن الدين ولد الشعور لدى الافراد بضرورة الاحترام والوقار (٢) .

والعقيدة الدينية التى أسست التوافق الاخلاقى Morale consensus هى ثمرة عمل عقلى منظم مسبوق بالارادة الحرة والاختيار المطلق — وعندما يعترف بها الانسان ويصل به الامر الى الاذعان واليقين — تستقرفى نفسه وترسخ فى قلبه — ولذلك فهى لاتلقى فى القلوب تلقائيا بدون اختيار مبنى على العقل والارادة الحرة، وهى تعتمد على سند فوق الطبيعة وتعتبر قوة مطلوبة لايستغنى عنها الانسان ولايطيق الفراغ منها، ولايرفضها من اعتصم بها واستقر فيها على قرار (٣) — وهذا مايفسر استجابة البعض لدعوات مبشرة لنوع من العقائد ورفضه الاستجابة لبعضها الاخر، ولذلك قيل ان نزعة التدين فى حقيقتها ليست الا امتدادا لقوى النفس الثلاث الفكر، والوجدان ،والارادة. (٤)

---

(١) د. صوفى حسن أبوطالب ، مبادىء تاريخ القانون، مرجع سابق ، ص ٩٦.

(٢) ماكيفر ، المجتمع ، ترجمة أحمد عيسى ، الطبعة الاولى ١٩٧٣، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر، ص ٣٣٣.

(٣) عباس محمود العقاد، عقائد المفكرين فى القرن العشرين، مرجع سابق ص ٢٢.

(٤) د. محمد بيصار، العقيدة والاخلاق، مرجع سابق ، ص ١٦.

أولا : الفكــــــر :

يكون التطلع الى المبادىء والعلل الاولى والغايات البعيدة،وهو نابع من العقل الذى يعد الدعامة الاولى لانسانية الانسان ، والملاذ الذى يلــــوذ به لكى يعتصم ويستغنى ويهتدى ، ويفرق بالروءية والبيان بين الخير والشر ــ وبالتالى فان معرفة الله سبحانه وتعالى بالحق واجبة بالعقل ، واذا زال العقل عن الانسان فلن يبقى على انسانيته.(١)

ثانيا : الوجــدان :

وهو الذى يمد العواطف النبيلة بحاجاتها من الوقود الدافع، المحرك الى خير الاعمال وجميلها.

ثالثا : الارادة :

وهى التى تكون البواعث على العمل والدافع اليه(٢).

وفى رأى فضيلة الشيخ محمد ابو زهرة أن حرية الاعتقاد تقوم علــى ثلاثة عناصر : الأول : تفكير حر غير مأسور بتعصب ، الثاني: الايكــون واقعا تحت تأثير الاغراء أو الاكراه، والثالث : العمل على مقتضى العقيدة.(٣)

وحيث التقت العقيدة الدينية بالاخلاق منذ الحياة الأولى للانسان ــ فقد ثارت بين العلماء والباحثين فى تاريخ الاديان نفس المشكلة التى ثـــارت بين العلماء وفلاسفة الأخلاق من حيث الفطرة الأولى لكافة شعوب العالم ــ وانقسموا نتيجة ما وصلوا اليه من نتائج الى مذهبين ، وانحاز الى كل مذهب لفيف من العلماء والباحثين نحو تأييده والايمان به وذلك على النحو التالى:

---

(١) عبد الجواد رجب ، مع الله ، نظرات فى الكون ، مرجع سابــق ، ص ٢٧.

(٢) د. يوسف القرضاوى ، الحلال والحرام فى الاسلام، مرجع سابق ، ص ٨ ومابعدها.

(٣) د. ابراهيم العنانى، حقوق الانسان فى الشريعة الاسلامية، مرجع سابق ص ٢٩.

المذهب الاول :

يقول أنصاره بأن الصورة الأولى للتدين فى حياة الانسان الأول بدأت على شكل خرافات ، وفى إطار من الوثنية ــ ثم تطور الانسان بتفكيره وارتقى بعقله نتيجة زيادة تجاربه ومعارفه على مر الاجيال ــ حتى وصل به الامر الى عقيدة التوحيد، والى الكمال فى تدينه (١) .

ومن المؤسسين لهذا المذهب سبنسر Spancer وتبلور Tplar وفريزر Frazer الذين تأثروا بنظرية (دارون) فى التطور وكيفية النشوء والارتقاء الى الكمال ــ وقاموا بتطبيقها على الافكار والعقائد الدينية والأخلاق ــ حيث أجمعوا على أن عقيدة التوحيد حديثة جدا ، وانها تمثل الدور الراقى فى تفكير الانسان بعد أن أوغل فى فساد العقائد الدينية السابقة التى اعتنقها ، وقاسى من الخرافات وأفحش الوثنيات (٢)

المذهب الثاني:

يقرر أنصار هذا المذهب بأن التوحيد والاعتقاد فى الخالق الأعظم هى الصورة الأولى للتدين فى حياة الانسان الأول ــ وان الاديان الوثنية ، والعقائد الخرافية والمعتقدات الفاسدة ما هى الا علل طارئة وأمراض متطفلة على التدين البشرى الحقيقى ، وعلى الفطرة التى فطر الله الناس عليها ــ وأن الانسان انزلق نحوها نتيجة تعرضه تحت تأثير دوافع ومؤثرات خارجية فى ادوار من التخلف (٣) .

يؤيد هذا المذهب جميع علماء الاديان فى الشرائع السماوية الصحيحة كما يؤيده كل من الفيلسوف لانج Lang الذى اثبت وجود عقيدة الاله الاعلى عند القبائل الهمجية فى استراليا وافريقيا وامريكا ، والفيلسوف شريدر Schraeder الذى أثبت أيضا وجود التوحيد عند بعض الأجناس الارية القديمة وغيرها . (٤)

---

(١) محمد الغزالى، عقيدة المسلم، مرجع سابق ،ص ٢٣ .

(٢) د. سعد محمد الشناوى ، مدى الحاجة للاخذ بنظرية المصالح المرسلة ، مرجع سابق ص ٤٠١ .

(٣) د. مصطفى محمود ، الماركسية والاسلام، مرجع سابق ،ص ١٨ .

(٤) د. محمد بيصار، العقيدة والاخلاق ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

وفى الحقيقة ان المذهب الثانى هو الصحيح والمقبول عقلا — حيث يتفق مع مبادئ الاديان السماوية الصحيحة، ويتسق مع طبيعة الانسان نفسه منذ أن خلق آدم عليه السلام أبو البشر (كافة شعوب العالم) — لان الله سبحانه وتعالى قد خلق الانسان فى أحسن تقويم وجعله خليفته فى الارض — بمقتضى تزويده فى اللحظة الاولى من حياته بالعقيدة الحقة (عقيدة التوحيد)[١] — فقال تعالى ٠٠ (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها)[٢] ٠ مما يدل بان عقيدة التوحيد مركزة فى طبائع الناس ، ومودعة فى فطرتهم منذ خلقهم — كما يؤيد ذلك السنة المطهرة فى قول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ٠٠ (كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أويمجسانه) — أما المذهب الاول فقد أخطأ فى تفسير الصورة الاولى للتدين ، لانه فسرها تفسيرا مثولوجيا ساذجا ، وأشار بأن سير الانسان فى حياته الدينية الاولى كان فاسدا ثم تدرج فى سلم الرقى الفكرى والكمال الوجدانى من النقص الى الكمال ومن الخطأ الى الصواب دون أن يقدم أنصاره الاسانيد الموضوعية التى تدل وتؤكد ذلك بالحجج والبراهين — حيث ان العصور البدائية الضاربة فى القدم قد اعتبرها جميع المؤرخين فى غيب المجهول — واعترف العلماء والمهتمون بتاريخ الاديان بهذه النتيجة بعد أن عجزوا تماما عن الوصول الى أى أدلة مادية تكون تحت يدهم لكى يقدموا تقريرا عنها أو يحكموا عليها ، واتفقوا جميعا بعد أن أقروا صراحة بأن هذا خارج عن حدود سلطانهم ومن رجم الغيب على عدم الاستناد الى أية آراء تشير الى حالة التدين فى تلك العصور لاستحالة وجود ادلة مقنعة تقبل الصدق واليقين ٠[٣]

---

(١) فضيلة الشيخ محمود شلتوت ، الاسلام والعلاقات الدولية (فى السلم والحرب) ١٩٥١ ، القاهرة ، مطبعة الازهر ، ص ١٦ ٠

(٢) سورة الروم ، الاية ٣٠ ٠

(٣) اندريه ايمارد ، جانين أوبوايه ، تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديم ، مرجع سابق ، ص ٢٣ ٠

ولهذا فان كل الادلة التى استند عليها أنصار هذا المذهب جـاءت من خلال دراستهم على الانسان فى العصور التى تلت تلك الفترة الطويلة من الزمان والمطوية فى عالم الغيب ، وهى العصور التى تعرض فيها الانسـان لعوامل خارجية أثرت على طبيعة فطرته ،وبالتالى يكون حكم هذا المذهـب خاطئا لانه استند على حالة الانسان الذى عاش بعد عصور سابقة، وتجاهـل الانسان الذى عاش فى حياته الأولى ، كما أن هذا المذهب يخالف العقـل والمنطق وما اتفقت عليه الشرائع السماوية الصحيحة لانه فى تلك العصور كـان يوجد انبياء يدعون جهرا الى الحق والهداية (١) ــ كما أعلن عن التوحيد فـى العصور التى تلتها العديد من الفلاسفة والعلماء مثل الفيلسوف الرومانـى ديوكرسيوم(الذى كان خطيبا لامعا فى عصره واطلق عليه ذو الفم الذهبى) حيث قال(اننا اذا كنا لا ندرك حقيقة الله كاملة ، الا أننا ندرك بفطرتنـا انه موجود ــ و ان هناك صوتا من داخلنا ينادى بوجوده بكلمة الله المستكنة فى قلب كل انسان) (٢)

وبذلك فالانسان قد خلق على فطرة التوحيد كما خلق وفطرتـه مطبوعة على الخير ــ وان العوامل الخارجية هى التى أثرت على بعض النـاس وجعلتهم ينحرفون الى الوثنية والعقائد الفاسدة مثل التى أثرت على طبيعتهم الخيرة، وجعلتهم يرتكبون بعض أعمال الشر كما سبق أن أوضحنا.

واذا كان الفيلسوف العربى المسلم أبو الوليد بن رشد يؤمن بـأن الكون لا يخلو من انسان وان الانسانية لا تخلو من فيلسوف ــ فان هذا يمدنا بحقيقة منطقية أخرى ناتجة منها و متممة لها، وتكمل للانسـان انسانيته وتحقق طبيعته باعتبار أن الله عز وجل هو خالق هذا الكون ــ وهى ان الانسان لايخلو من عقيدة دينية ، والدين لا بد منه للانسـان حيث تسمو فيه معانيه الانسانية ،وتجعله يتميز عن المخلوقات الاخـرى ــ

---

(١) د. محميد بيصار،العقيدة والاخلاق، مرجع سابق ، ص ١٧.

(٢) ول ديورانت ، قصة الحضارة ــ قيصر والمسيح، الجزء الثالث من المجلد الثالث (الحضارة الرومانية) ــ ترجمة محمد بدران ــ اختارتـه وانفقت على ترجمته الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية طبعـة ١٩٦١ ، القاهرة ، ص ١٤٥.

وقد أكد ذلك كل العلماء والفلاسفة فى القرن العشرين بأن العقيدة الدينية طبيعة فى الانسان، وان خلو الانسان من الاعتقاد هو أمر غريب قد لايمكن حدوثه[(١)] – لان الدين لصيق بالانسان وخاصة من خواصه الانسانية[(٢)] – وفى ذلك يقرر الفيلسوف الفرنسى مونتسكيو فى الكتابين الرابع والعشرين والخامس والعشرين من مؤلفه روح القوانين بأن (الانسان الذى لادين له كالحيوان مخيف لايشعر بحريته الا عندما يمزق ويلتهم – فالديانات حتى الخاطئ منها هى أكبر ضمان يمكن ان يكون لدى الانسان للامانة والنزاهة – وان التدين باى دين خير الف مرة من عدم التدين ، لان الدين ضرورة لمساندة الاخلاق والقوانين فى المجتمع ، والحائل الوحيد بين من لا يخشون القوانين، وبين أتيانهم الجرائم) .[(٣)]

ومن خلال هذه الحقيقة-بان كل انسان لايخلو من عقيدة – حدث خلاف آخر بين العلماء من حيث تطور العقيدة الدينية ذاتها وانقسموا الى اتجاهين، وكل اتجاه يؤيده مجموعة من هؤلاء العلماء بادلة وبراهين معينة على النحو الاتى .

الاتجاه الاول :

يمثله أنصار المذهب الأول القائم على التطور الارتقائى فى العقيدة الدينية من السذاجة والخرافات الى كمال الاعتقاد – حيث قرروا بان الانسان فى بداية حياته تخبط فى متاهات الضلال لقصر ادراكه ، وانه أخذ يتطور بعقله وادراكه الى أن وصل الى الصواب فى التدين نحو دين الحق والتوحيد ، وان هذا التطور مصاحب لتطور الضمير الانسانى.[(٤)]

---

(١) عباس محمودالعقاد، عقائد المفكرين فى القرن العشرين، مرجع سابق ص ١٥٤.

(٢) د.ابراهيم العنانى،حقوق الانسان فىالشريعة الاسلامية، مرجع سابق ص ٢٨.

(٣) د. حسن شحاته سعفان، مونتسكيو ، مرجع سابق ،ص ١٥٩.

(٤) د. أبو بكر محمد ذكرى، تيسير فلسفة الاخلاق، مرجع سابق ، ص ٦٨.

الاتجاه الثانى

يمثله انصار المذهب الثانى الذين يقولون بان الانسان فى صورتـــه البدائية الاولى تحلى بالعقيدة الحقة التى فطر عليها كما فطر على الخير ـ وان العقيدة الحقة (التوحيد) قد بدأت كاملة لايشوبها نقص ، وصحيحـــة لايعتورها خطأ ، وراشدة ليس بها قصور، وبذلك يسدون الطريق على مـن يقولون انها تطورت من النقص الى الكمال. (١)

واذا كانت عقيدة التوحيد طبيعة فطرية لدى كل إنسان الأأنه مـــع التأمل نجد أن ترقية الوجود الدينى لدى الانسان أمر لابد منه، وهى مـن حكمة الله سبحانه وتعالى ـ لان تاريخ البشرية يرشدنا الى أن الانســـان فى حياته الاولى وعلى صورته الفطرية كان محدود التجارب ، وقليل المعرفـة وساذج التصور، وسعة أفقه بسيطة ـ الامر الذى أدى الى عدم توافر قدرتـه الادراكية الكاملة التى تعينه على استيعاب كل ما يلقن له من معـــــارف أو مايتعلق بالكون المحيط به من حقائق وأسرار وظواهر ـ ولذلك قضـت الحكمة الالهية والعناية الربانية رحمة به، ورفعا للحرج والمشقة عنه ـ أن ينزل له من التعاليم السماوية مايتناسب مع ادراكه، وما يتفق مع تجاربه ـ فجاءت الديانات السماوية على لسان الرسل الذين بعث بهم الله سبحانـــه وتعالى ليبلغوا رسالاته المناسبة لكل عصر، وطبقا لما تجتازه الجماعـــات من المعرفة وقوة الادراك . (٢)

ولهذا جاء كل رسول على فترة من رسل قبله ليجدد فى نفوس الناس ما بعث اليهم من دين سابق ويضيف اليه ماهو متناسب مع نمو ادراكهـــم، وارتقاء تصورهم ،واتساع تجاربهم (٣) ـ ولذلك فتاريخ الاديان الثلاثـــة اليهودية والمسيحية، والاسلام ليس تـطورا من النقص الى الكمال ، وانمـــا

---

(١) د. محمد بيصار، العقيدة والاخلاق ، مرجع سابق ،ص ٢٣.

(٢) د. محمد بيصار، العقيدة والاخلاق ، المرجع السابق ، ص ٢٥

(٣) د. زكى الدين شعبان ،اصول الفقه الاسلامى، الطبعة الاولـى، ١٩٦٦، دار النهضة العربية، ص ٢٠.

كان كل دين صوابا بالنسبة للمجتمع الذى نزل فيه ومتكافئا فى الكمال مع مستوى ادراك وتجارب افراده ، وبالتالى نظمت احوال الناس فى عصور مختلفة وفق ما كانت تقتضيه حياتهم المحدودة — وعلى فترات التاريخ المتلاحقة (١) ، وبهذا لا يوجد بين الاديان الثلاثة • تناقض واستحالة تكذيب كل منهما للاخرى بل على العكس كانت كل ديانة مؤيدة للديانة التى سبقتها حتى جاءت الدعوة الاسلامية خاتمة الشرائع السماوية شاملة حيث لا تقتصر فى شئ ولا يغيب عنها شئ (٢) تصديقا لقوله تعالى(ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا• والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما) • (٣)

والله سبحانه وتعالى بعث رسله الى البشر ليبينوا لهم العقيدة الحقة ويجنبوهم الشرك والضلال ، ويلقنوهم مكارم الاخلاق ، ويحثوهم على التحلى بها — وكان كل رسول مصدقا للرسل الذين جاءوا من قبله (٤) • وفى ذلك يقول الله سبحانه (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه) (٥) • وقال تعالى ايضا : (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) • (٦)

---

(١) أ• س • رابوبرت ، مبادىء الفلسفة ، مرجع سابق ، ص ١٦٦ ومابعدها •

(٢) د•مصطفى عبدالواحد، الاسرة فى الاسلام، ١٩٧٢ ، مكتبة المتنبى بالقاهرة ص ٥•

(٣) سورة النساء ، الايات ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ •

(٤) د• محمد الحسينى حنفى ، المدخل لدراسة الفقه الاسلامى ، الطبعة الاولى ١٩٦٩ ، دار النهضة العربية، القاهرة ص ٦•

(٥) سورة الشورى الاية ١٣•

( ) سورة النساء الاية ١٦٣•

. وبذلك فالشرائع السماوية تدرجت طبقا لاحتياجات البشرية فى كل عصر لتناسب انطباعاتهم ومحصول تجاربهم وما بلغوه من ادراك — وليست كل شريعة متطورة عن الأخرى وانما مكملة لها حتى جاءت الشريعة الاسلامية خاتمة الشرائع محكمة البناء تصلح لكل زمان ومكان فى قيادة الانسانية وتوجيه الحياة الى الصلاح (١) — والايمان بها هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله. لان رسالة الاسلام تصديق واقرار. (٢)

خصائص العقيدة الدينية :

وأهم مايميز العقيدة الدينية أنها لاتخضع للحس ولا تقع فى دائرة المشاهدات فى نظر المتدين — بل هى شئ غيبى لاسبيل الى ادراكه الا بأحد أمرين العقل أو الوجدان كما أنها قوة مؤثرة عاقلة تربط بين المعتقد والمعتقد فيه، وهى طبيعة فى الانسان — (٣) وأهم خصائصها كالاتى:

١ — أن موضوعها يمثل حقيقة خارجة مستقلة قائمة بذاتها يضفى عليها المتدين لونا من القدسية ، والصلة بينها وبين المتدين تقوم على أساس الصلة بين الذات (المتدين) وذات أخرى هى (الشئ المقدس) موضوع الاعتقاد — والشئ المقدس يعلو هذا الذات(المتدين) (٤)

٢— أنها تختص بالايمان بالغيب أى بعالم الميتافيزيقا(ما وراء الطبيعة) — لان التقديس الدينى(تألية) وعبادة، وموضوعه(اله) ومعبود — وبالتالى ليس لها وجود مادى ملموس لانها ذات غيبية وراء الطبيعة ، وفوق الطبيعة — تجعل المتدين يعتقد أنه لا يقع شئ من دقيق الحوادث وجليلها الاولللاله فيه قضاء وتدبير. (٥)

---

(١) د. مصطفى عبدالواحد، الاسرة والاسلام، مرجع سابق، ص ٧٠

(٢) د. محمد عبدالمنعم القيعى ، عقيدة المسلمين ، مرجع سابق، ص٧٦

(٣) أ.س . رابوبرت ، مبادئ الفلسفة ، مرجع سابق، ص ١٦٤.

(٤) د. محمد بيصار، العقيدة والاخلاق، مرجع سابق ، ص ٦٦

(٥) د. أحمد الخشاب ، دراسات فى النظم الاجتماعية، المرجع السابق، ص ٣٦٦.

٣ ـ أنها تنبثق عن عمل عقلى اختيارى ـ وقد تلتقى مع المعرفة فى بعض الجوانب نظرا لقوله تعالى : (قل انظروا ماذا فى السموات والارض) (١) بمعنى أن يحض الانسان على التفكير والنظر بامعان العقل الذى يتفق مع طابعه الانسانى ـ الا أن العقيدة الدينية تتميز عن المعرفة فى جوانب عديدة هى :

أ) العقيدة مفضية الى العمل ومرتبطة به ارتباطا وثيقا وتجعل من سلوك الانسان فى واقع حياته صورة منعكسة عن عقيدته (٢) ، وصلة الايمان بالعمل كصلة الخلق بالسلوك ـ فاذا آمن الانسان بالله العظيم وأيقن باليوم الاخر وصدق بما جاء به المرسلون ، دفعة ذلك لا محاله الى العمل لاسترضاء ربه والاستعداد للقائه والاستقامة على صراطه (٣) ـ قال تعالى: (ان الله لايصلح عمل المفسدين) (٤) . وليس الشأن كذلك بالنسبة الى المعرفة.

ب) العقيدة تفرض قواعد للسلوك وبهذه الكيفية تتحد مع قواعد الأخلاق التى لاتخرج عن كونها قواعد سلوك (٥) وليس هذا بالنسبة الى المعرفة .

جـ) العقيدة الدينية مهما انحرف بها أصحابها ـ الا أنها لابد أن تتضمن الايمان بقوة غيبية قاهرة وراء كل العالم المحسوس ـ وان ما قامت

---

(١) سورة يونس ، الاية ١٠١.

(٢) الشيخ محمد أبوزهرة، العلاقات الدولية فى الاسلام، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، عدد يوليو ١٩٦٤، ص ٣٢٦.

(٣) محمد الغزالى ، عقيدة المسلم ، المرجع السابق ، ص ١٣٥

(٤) سورة يونس ، الاية ٨١.

(٥) ماكيفر، المجتمع ، المرجع السابق ، ص ٣٣٤، ٣٣٥.

به بعض الامم البدائية من عبادة لبعض المخلوقات الحسية ليس الا اعتقادا بأن شيئا غير محسوس وغير مرئى قد حل فى هذه المحسوسات ـ وهذا بخلاف المعرفة. (١)

نستخلص من ذلك ان العقيدة الدينية هى الشمول الذى يحيط بارادة الانسان وبشعوره الظاهر والباطن ـ ولايسمح لجانب من النفس أن يخلو منها حيث تمثل مصير الانسان ومعنى وجوده، وكل علاقاته الانسانية أو علاقاته الاجتماعية ـ لانها مصدر الوجود وقبله كل موجود (٢) ـ ودائرتها تشتمل على ثلاثة جوانب هى كالاتى:

١ ـ علاقة الانسان مع ربه .
٢ ـ علاقة الانسان مع نفسه.
٣ ـ علاقة الانسان مع الاخرين.

وعلى الرغم من ارتباط العقيدة الدينية بالاخلاق منذ بداية تاريخ الانسانية ـ الا أن دائرتها أوسع وأشمل من دائرة الاخلاق على أساس الاتى:

١ـ ان دائرة الاخلاق تتضمن جانبين فقط من الجوانب الثلاثة لدائرة العقيدة الدينية وهما علاقة الانسان مع نفسه (الاخلاق الشخصية) ، وعلاقة الانسان مع الاخرين (الاخلاق الاجتماعية، الاخلاق الدولية) .

٢ ـ دائرة العقيدة الدينية هى التى أنشأت دائرة الاخلاق وغذتها بالقيم والمبادىء الاخلاقية لاصلاح أمورالحياة الانسانية ، منذ بداية ظهور البشرية حتى ظهورالاسلام .

٣ـ فى العصورالاولى لتاريخ البشرية ،كانت دائرة العقيدة الدينية تطوى بداخلها دائرة الاخلاق منأجل أن تقوى بناءها، وتصقل مفهومها ـ ثم مكنتها بعد ذلك من تكوين اطارها المستقل مع ارتباطها بها.

---

(١) أ.س .رابوبرت ، مبادىء الفلسفة ،مرجع سابق ، ص ١٦٧

(٢) عباس محمودالعقاد، عقائد المفكرين فىالقرن العشرين، مرجع سابق ص ١٥٣.

الفصل الثاني

الرابطة الموضوعية بين العقيدة الدينية والأخلاق

منذ قديم الازل نزلت الاديان السماوية لتهذيب مافى النفوس من غرائز تنطوى على الجشع والطمع وحب الذات ، وتدعو الى التسامح والمحبة والتعاون بين البشر — وعرف على مر الزمان بان ما أنزله الله سبحانه وتعالى الى عباده يتضمن أسس قواعد الاخلاق الحميدة — مثل قوله تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) (١) ، (ورحمتى وسعت كل شئ فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) (٢) — وقال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم (حب لاخيك ما تحب لنفسك) ، (لايدخل الجنة من بات وفى داره فضلة طعام وجاره جائع) (٣) .

والله جل شأنه قد أوجد البشر تفضلا فى أحسن تقويم ، وسخر لهم كل السبل على ظهر هذا الكوكب ليعيشوا حياة كريمة — وانه سبحانه وتعالى لن يمنح الخلود فى جواره الكريم الا للصالحين ذوى الفضيلة الحسنة، ولن يقبل الى جواره الاوغاد والجهلة الذين انحرفوا عن فطرتهم الحسنة الى الشر والرذيلة ، قال تعالى : (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء) (٤) — لان الله طيب لايقبل الا طيبا ، ونظيف يحب النظافة، ومنه واليه سبحانه وتعالى كل الخير — فما حسنه فهو الحسن ، وما قبحه فهو القبيح. (٥)

---

(١) سورة الانبياء آية ١٠٧.

(٢) سورة الاعراف ،آية ١٥٦.

(٣) تنوير الحوالك (شرح على موطأ مالك) تأليف الامام جلال الدين عبدالرحمن السيوطى الشافعى، الجزء الثالث (غير محدد سنة الطبع) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ص ٩٤.

(٤) سورة الاعراف آية ٤٠

(٥) محمد الغزالى ، عقيدة المسلم ، مرجع سابق ،ص ٢٢٦.

ان علاقات حسن الخلق هى علاقات الايمان وعلاقات سوء الخلق هى علاقات الكفر والنفاق - لان الانسان اذا وصل بعقيدته الدينية الى درجة التصديق الجازم والايمان الراسخ - فانه من المستحيل ان يخالف أمر هذا الدين فى سلوكه وأعماله (١) - كما أن عقيدته التى يقتنع بها ستكون القوة الدافعة التى تحثه على السير قدما فى طريقها، وتحضه على ممارسة الشعائر الدينية ، وعلى التحلى بحسن الخلق، واتيان فضائل الأعمال ، واجتناب كل عوامل الشر - حيث تزوده بطاقات خلاقة من الثقة بالنفس والاعتماد عليها والاتجاه الى حب كل البشر، والتعاون معهم جميعا من منطلق الأخوة والاخلاص (٢) .

وبهذا فالعقيدة الدينية تدعم الأخلاقيات ، وأكبر ضمان لسلامة أخلاق البشر، وانها فى كل العصور اعتبرت أساسا للأخلاق الصالحة واعتمد عليها لبيان الاخلاق الغير صالحة، وهى الشر والرذيلة للابتعاد عنها (٣) .

واذا كانت العقيدة الدينية تتكون من الوجدان والعقل والارادة - فان شقها الثالث وهوعلاقة الانسان بغيره (السلوك) هو المعبر عنها تعبيرا صادقا - لان سلوك الإنسان فى واقع حياته هو الصورة الواضحة الحقيقية التى تعكس ما يكنه فى نفسه من تدين، والسلوك فى الواقع ايضا هو مصداق لما يكنه الانسان فى داخله من أخلاق - ومن هنا التلاقى لكل من العقيدة الدينية والاخلاق والذى به يجعل قاعدة السلوك الخلقى لاتقوى ولا تستمر بدون تأييد وسند من العقيدة الدينية (٤) - ونتيجة لذلك شاع بين مؤرخى الفكر الانسانى عامة ومؤرخى الجانب الفلسفى منه خاصة مبدأ منهجى يصور لنا

---

(١) على على منصور، الشريعة الاسلامية والقانون الدولى ١٩٦٢، دار القلم ، القاهرة، ص ٧٧، ٧٨.

(٢) عبدالجواد رجب ، مع الله (نظرات فى الكون والحياة) مرجع سابق ص ١٥ ومابعدها.

(٣) د. رؤوف عبيد، مبادىء علم الاجرام، المرجع السابق ،ص٢١.

(٤) ماكيفر ، المجتمع ، المرجع السابق ،ص ٣٣٤.

الرابطة الوثيقة بين العقيدة الدينية والأخلاق، ويجعل من الاولى أصلا وقاعدة للثانية ــ كما يجعل من الثانية أثرا وانطباعا عن الأولى ــ فحسن الأخلاق نابع من التمسك بالدين، وتدهور الأخلاق قائم على غياب المبدأ الديني [١] ــ وقال الله سبحانه وتعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم مثنيا عليه ٠ ومظهرا نعمته لديه(وانك لعلى خلق عظيم) [٢]، وسئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن٠ [٣]

ويقول كل من ــ الفيلسوف الفرنسي مونتسكيو(ان الأخلاق التى وردت فى الانجيل هى أجمل هدية اهداها الله لعباده) [٤] والفيلسوف الفرنسي بارودى بانه(من المستحيل ومن غير الممكن تكوين علم الأخلاق مكتف بذاته،وبعيد عن كل وحى دينى أوميتافيزيقى) [٥] ٠ والفيلسوف العربي المسلم ابو الوليد بن رشد بان (كل انسان لا يخلو من عقيدة دينية وأن الدين ظاهرة تعم البشر، والمعتقدات الدينية قديمة قدم الانسان، ووجودها دائم) ــ وهذا دليل قاطع على أن جميع شعوب العالم لديها عقائد دينية وانهم لايعبرون عن إنسانيتهم فى واقع الحياة الا من خلال سلوكهم الذى لايقوى على البقاء والاستمرار الامن خلال عقائدهم الدينية ــ لان الدين ضرورة للانسان ولايمكن ان يستبدل به أى مثل أخرى تكون أساسا للسلوك [٦] ــ كما أنه يؤكد بان الدين مصدر لاخلاق جميع شعوب العالم، لان الانسان وان كانت فطرته قد طبعت على الخير، الا أن الخير والشر

---

(١) د٠ مصطفى محمود، الماركسية والاسلام، المرجع السابق ، ص ١١

(٢) سورة القلم ، الاية ٤٠

(٣) د٠ ابو بكر محمد ذكرى ، تيسير فلسفة الاخلاق، المرجع السابق، ص ٩٧٠

(٤) د٠ حسن شحاته سعفان، مونتسكيو ، مرجع سابق، ص ٦٧٠

(٥) د٠ بارودى ، المشكلة الاخلاقية والفكر المعاصر، مرجع سابق، ص ١١٠

(٦) د٠ محمد عبد المنعم القيعى ، عقيدة المسلمين، مرجع سابق، ص ٨٥٠

اختلط بأفعاله المادية ، وذاب الخير والشر فى فكرة واحدة، الأمر الـــذى أدى الى قيام الدين بتوضيح الخير عن الشر أوالحق عن الباطل.(١)

واذا كنا قد وضحنا فى الفصل السابق ، بانه توجد قيم ومبـــادىء عامة أخلاقية تـعتنقها وتتفق عليها جميع شعوب العالم - الا أننا لانقـرر بأن لديهم عقيدة دينية واحدة على اعتبار أن الدين مصدر للقيم والمبـــادىء الاخلاقية، بل لديهم عقائد دينية مختلفة، ولكن جميع هذه العقائد تتفـق فقط فى الأسس والمبادىء العامة من حيث علاقة الانسان مع غيره، وان اختلفت فى تصوير الالوهية وأمور العبادات الخاصة بكل عقيدة ، وأن هـذه الأسس والمبادىء العامة المتفق عليها فى جميع الاديان هى مصدر الاخـــلاق الدولية من حيث الواجب والفضيلة.(٢)

ويؤكد ذلك بالاسانيد الاتية :

أولا : أن الله سبحانه وتعالى لم يترك شعبا من شعوب هـــذا العالم دون أن ينبعث فيهم من ينذرهم ويهديهم ، ويظهر لهم الحق ويوضـــح لهم الخير من الشر- حتى لايكون لهم حجة تعفيهم من جهلهم يوم الحساب - كما أن الله سبحانه وتعالى لم يذكر لنا كل الرسل الذين أرسلهم لكـــى نجزم بالقول بأن هناك شعبا لم يرسل لهم الله جل شأنه رسولا يبشرهـم وينذرهم - ودليلنا فى قوله تعالى (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نــوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا، رسلا قد قصصناهـم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما، رســـــلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان اللـــه عزيزا حكيما)(٣) - وعلى ذلك فان جميع شعوب العالم قد ارسل لهم اللـه

---

(١) د. محمود السقا ، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، مرجع سابق ص ٧٦.

(٢) أ.س . رابوبرت ، مبادىء الفلسفة ، مرجع سابق ، ص ١٦٦وما بعدها.

(٣) سورة النساء ، الايات ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥.

القادر الوهاب كل القيم والمبادئ الانسانية عن طريق رسله المختارين من بين البشر، ليتجهوا الى التوحيد والحق، ويفرقوا بالبيان الواضح بين الخير والشر.

ثانيا: واذا كان الله سبحانه وتعالى لم يترك أمة دون أن يبعث فيهم من ينذرهم ويهديهم الى الحق والصواب ، وبانه لايوجد إنسان يخلو من عقيدة دينية ، الا أنه لا تلازم بين التدين وبين الاعتقاد بفكرة الالوهية – لانه توجد بعض الجماعات تدين بعقيدة دينية ما كضرورة لابد منها لحياتهم الاجتماعية ولكنها لا تؤمن بالحق وبالتوحيد، وحتى اذا آمنت بالله سبحانه وتعالى ربما أخطأت فى تكييفه وتحديد ماهيته وصورته تصويرا مثولوجيا خاطئا – ونجد ذلك فى كثير من الامم وعند كثير من الجماعات البشرية الأولى ، بل والموجوده حاليا فى المجتمع الدولى (١) ولكن يلاحظ ان جميع العقائد الدينية تتشابه فى بعض الأسس والمبادئ العامة من حيث علاقة الانسان مع غيره، والتى تعتبر مصدرا للقيم والمبادئ الأخلاقية العامة من حيث الواجب والفضيلة – ويرجع ذلك الى أن الله قد أرسل لجميع شعوب العالم كل القيم والمبادئ التى تصلح حياتهم ومعاشهم ، ودعاهم الى الحق والتوحيد – الا أن بعضهم قد اهتدى بعقله الى الحق وتحديد الله سبحانه وتعالى ، والبعض الآخر قد ضل أو انحرف فى التحديد الصحيح لله العزيز الجبار – بالرغم انهم ينعمون من فضله فى كل أمور حياتهم (٢) وذلك للأسباب الآتية:

أ) أن العقيدة الدينية تتكون من عقل ووجدان وارادة – وان الله سبحانه وتعالى قد خلق الانسان وزوده بنعمة من فضله وهى العقل – لكى يفكر ويمعن ويتأمل ليختار الطريق الذى يهتدى اليه بتفكيره – اما الى الصواب والحق أو الى الخطأ والانحراف – وهذه حكمة الله سبحانه وتعالى التى لم يرد بها ان يكون الناس مؤمنين عن طريق القهر والاجبار

---

(١) د. محمد بيصار، العقيدة والاخلاق ، مرجع سابق ، ص ٧٦

(٢) عبد الجواد رجب ،مع الله(نظرات فى الكون والحياة)مرجع سابق ص ٢١ ومابعدها.

بل عن طريق النظر والفكر والتدبر، ويرشدنا الى ذلك انه لو أراد اللــــه القادر الجبار ان يكون كل الناس موءمنين بالتوحيد والحق لتحقق ذلـــك ، وانما جعلهم يهتدون للحق عن طريق عقولهم.. قال تعالى : (ولو شـــاء ربك لامن من فى الارض كلهم جميعا) [١] ــ وكما قال سبحانه وتعالــــى : (أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) [٢]

ب) واذا كان الله سبحانه وتعالى قد وهب الانسان العقل لكـــى يفكر ويتأمل وينظر بامعان ــ فقد كرمه أيضا بحرية كاملة فى التفكير لكـــى ينظر ويمعن ويبرز مكانته [٣] ــ ومن هنا جاءت حكمة الله سبحانه وتعالـــى فى حرية الاعتقاد والتدين بدون ضغط أو اكراه ، والتى تعتبر حاليا من أهم مبادىء حقوق الانسان ــ وأكد ذلك القرآن الكريم ، فى قوله تعالى .(لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) [٤] ــ كما قال سبحانه وتعالى: (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليوءمن ومن شاء فليكفر) [٥] وبهذا فاللـــه جل شأنه لم يشأ أن يقهر النـاس على الايمان به بل جعلها حرية واستنكـر الاكراه أو القهر فى التدين أو الاعتقاد [٦] .

ويرشدنا الى ذلك ايضا بأن الله سبحانه وتعالى لو أراد من النـــاس الايمان بدون حرية واختيار لطبعهم عليه، وجعلهم كالملائكة لا يعصـــــون أمره ويفعلون ما يوءمرون به عن طبع وتكوين ، ولا يملكون الخروج عليـــه

---

(١) سورة يونس الاية ٩٩.

(٢) سورة الحج، الاية ٤٦.

(٣) عبد الجواد رجب ، مع الله (نظرات فى الكون والحياة) مرجع سابق ص ٢٦ ومابعدها.

(٤) سورة البقرة ، الاية٢٥٦.

(٥) سورة الكهف ، الاية ٢٩.

(٦) د.عبد الحكيم العيلى، حقوق الانسان فى الشريعة الاسلامية، مجلة السياسة الدولية، الصادرة فى يناير١٩٧٥، القاهرة ، ص ٢٦.

ولا التخلص منه، ولكنه لم يشأ – بل ترك الناس وما يختارون لانفسهم بحرية كاملة من ايمان وهداية ، أو كفر وضلال ، واكتفى بأن أخذ عليهم مواثيق الفطرة واشهدهم بها على أنفسهم. (١)

جـ) طبيعة التدين لا تتحقق مع تقيد أو استبعاد الارادة، بل لابد أيضا أن تكون الارادة حرة، ومصاحبة للتفكير وحرية التمعن، والنظر فى الاعتقاد –لان الايمان أو التدين الذى يجنى عن طريق الاكراه وشل حرية الارادة لاقيمة له – ولهذا يؤكد الله سبحانه وتعالى لفرعون حين أدركه الغرق – بقوله تعالى (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين ، الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) (٢) – (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ، فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ، سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون) (٣).

د – اذا كان الله سبحانه وتعالى لم يترك شعبا دون أن يبعث فيهم من يهديهم الى الحق وحسن الصواب – فقد جعل مهمة الرسل لاتتجاوز التبليغ ، والانذار، والتبشير– وأكد ذلك بقوله تعالى(فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ، الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر، ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم) (٤)؛ (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ، وان تطيعوه تهتدوا ، وما على الرسول الا البلاغ المبين) (٥) ، وهذه حكمة من الله سبحانه وتعالى أيضا فى التركيز على حرية الاعتقاد والتدين لكل البشر حتى تنقطع حججهم بأنهم لايعلمون أو انهم كانوا مقيدى العقل

---

(١) الشيخ محمود شلتوت ، الاسلام والعلاقات الدولية (فى السلم والحرب) طبعة ١٩٥١ ، القاهرة ، مطبعة الازهر، ص ١٨.

(٢) سورة يونس ، الايتين ٩٠، ٩١.

(٣) سورة غافر، الايتين ٨٤، ٨٥

(٤) سورة الغاشية، ٢١–٢٦

(٥) سورة النور ، الاية٥٤.

أو الارادة في التدين بالحق – ودل على ذلك قوله تعالى(ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا: ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى)[١].

ثالثا: واذا كان كل البشر قدخلقهم الله القادر الوهاب على فطرة التوحيد استنادا لقوله تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها)[٢] وان بعضهم قد تحول الى عبادات وعقائد أخرى أخطأوا فيها فيتحديد ماهية الالوهية والصورة الحقة لله سبحانه وتعالى – فان ردنا فى ذلك يكون بالقول بان كل انسان وان كان ولد على فطرة التوحيد وقلبه ملئ بالايمان الا أنه فى مراحل نموه وادراكه داخل الاسرة ثم المجتمع – يتأثر بكافة العوامل الخاصة بالتربية والتهذيب[٣] التى قد تؤدى الى تأثره بديانة معينة أو عقيدة دينية تأثرت بها اسرته من قبل واعتنقتها – فيكتسبها بعد أن يقتنع بها بعقله ووجدانه – وما ينطبق على الأسرة ينطبق على المجتمع على اعتبار أن الاسرة ماهى الامجتمع صغير وهى الصورة الاولى للمجتمعات البشرية[٤] – ويؤكد الله ذلك فى قوله تعالى: (وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا)[٥] – اى أن جميع البشر قد خلقوا وهم على فطرة التوحيد والحق ، الأن بعضهم نتيجة عوامل أخرى أثرت على تفكيرهم الحر جعلتهم يعتنقون عقائد دينية مختلفة – كما أكد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله(كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أويمجسانه) – بمعنى أن كل طفل يولد على فطرة التوحيد والحق ، ولكن أبواه (أسرته) يؤثران فيه حتى يكتسب عقيدتهم التى يعتنقونها – و التأثير هنا لايعنى الضغط أو الاكراه، وانما

---

(١) سورة طه ، الاية ١٣٤.

(٢) سورة الروم ، الاية ٣٠.

(٣) الشيخ محمد الغزالى ، عقيدة المسلم ، مرجع سابق ،ص ١٤

(4) J.C. Flugel, Man- Morals and Society, op. cit., p. 210.

(٥) سورة يونس ، الاية ١٩.

يقصد به عوامل التهذيب والتربية – لانه وان كان الانسان مفطورا على التوحيد والحق ،الاأن العقيدة الدينية يتم اعتناقها عن طريق التهذيب والتربية عندما يدرك الانسان ويقتنع بها بوجدانه وقلبه وعقله لتصبح ركنا اساسيا فى كيانه وذاته ٠

وهذه أيضا حكمة من الله سبحانه وتعالى فى خلقه للانسان فى أحسن تقويم، وله قلب واحساس وشعور ووجدان وعقل مفكر، وارادة حرة ليختار الصواب ، ويقارن عندما يبلغ ادراكه بين قدرة الله وعظمته ، وبين ما يتلى عليه من تعليم وتهذيب(١) – قال تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولايزالون مختلفين، الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) (٢)

رابعا : واذا كانت العقائد الدينية التى تعتنقها كل شعوب العالم متعددة طبقا للاسانيد السابقة ، وان هذا قد أدى الى حدوث اختلاف فيما بينهم من حيث تحديد ماهية الالوهية، وفى أمور العبادات حتى فى الشرائع السماوية الثلاث – الا أن هناك بعض الاسس والمبادىء العامة التى تتضمن علاقة الانسان مع غيره متفقا عليها فى جميع العقائد الدينية وتعد المصدر الاساسى للقيم والمبادىء العامة للأخلاق الدولية التى تعتنقها كل شعوب الأسرة الدولية – وان كنا قد اثبتنا ذلك فى الاسانيد السابق الاشارة اليها، بأن هذه الاسس والمبادىء العامة المتفق عليها فى جميع العقائد الدينية من حيث علاقة الأنسان مع غيره هى من عند الله سبحانه وتعالى ، وان لم يعترف بذلك بعض الشعوب التى تعتنق ديانات انحرفت فى تحديد قدرة الله سبحانه وتعالى – فان لدينا أيضا أدلة تثبت ذلك من خلال المشاهدة والتجربة لطابع الحياة الإنسانية لجميع شعوب العالم نلخصها على النحو التالى :

أ) من الملاحظ أن دول العالم تنتشر فيها عقائد دينية مختلفة أهمها ظهورا وانتشارا بين الشعوب هو الاسلام ويرتكز فى كل الدول العربية بمنطقة الشرق الاوسط ، وفى بعض الدول الافريقية والاسيوية

---

(١) د٠ابوبكر محمد نكرى، تيسير فلسفة الاخلاق، مرجع سابق، ص١٢٥

(٢) سورة هود . الايتين ١١٨، ١١٩٠

مثل افغانستان والباكستان وبنجلاديش ، بالاضافة الى بعض الجماعات والاسر فى معظم الدول الأخرى على اعتبار أن الاسلام يعد خاتمة الشرائع السماوية — والمسيحية وترتكز فى دول القارة الاوروبية ، ودول الامريكتين، وبعض الدول الافريقية والاسيوية، بالاضافة أيضا الى جماعات وأسر فى الدول الأخرى— واليهودية وترتكز فى منطقة فلسطين (اسرائيل) مع وجود جماعات وأسر تدين بها فى معظم دول العالم،وخاصة الاوروبية والامريكية — والبونية وترتكز فى دول الشرق الاقصى مثل الهند وتايلاند واليابان — والكونفوشيوسية وتنتشر فى معظم ولايات الصين — ولكن بالرغم من ذلك نجد أن العلاقات الدولية السلمية تتم بين شعوب تلك الدول فى نواح عديدة على أسس من التعاون والتضامن دون ان يقف حائل بينهما يرجع مصدره الاساسى الى اختلافهما فى العقيدة الدينية. (١)

ب) المهاجرون والمقيمون فى دول غير دولهم استطاعوا أن يندمجوا ويتعايشوا بحياة هادئة بها أمن وأمان فى تلك الدول بالرغم أن معظمهم مختلفون فى العقائد الدينية السائدة بها. (٢)

جـ) من يطوف العالم ويجوب فى كل أرجائه يتضح له — بأنه لا توجد عقيدة دينية يعتنقها شعب دول أوجماعة من البشر تجعل من السرقة أو الكذب أو النفاق أو القتل أو الحقد والكراهية أو الاعتداء على الاشخاص أو على حقوقهم أو غير ذلك أمورا مباحة — بل كل العقائد الدينية تتفق على بعض الأسس و المبادىء العامة فى التفريق بين الخير والشر، وان اختلفت فى تطبيق الجزاء والعقاب حيث أن ذلك يرجع الى عوامل أخرى ترتكز على اختلاف بعض العادات والتقاليد كماسبق أن أشرنا فى المبحث الثالث بالفصل الأول. (٣)

---

(١) رالف ب وين، قاموس جون ديوى للتربية، مرجع سابق ص٤٣، ١٤٩

(2) Willam H. McNeill and Ruth S. Adams, Human Migration, op. cit., p. 17.

(3) James E. Dougherty, Robert L. Pfaltzgraff, Contending Theories of International Relation, op. cit., p. 47.

د) جميع شعوب العالم لديها العلم والدراية من خلال ما تعتنقه من ديانات ببعض قواعد التحريم ــ مثل زواج الابن من الام، وزواج الاب من ابنته ،وزواج الاخ من أخته ، والعم من بنت أخيه ، والخال من بنت أخته ـ كما لديهم قواعد تأمرهم بالطاعة والاحترام ، وتجعل من مخالفتها شقاء فى الدنيا وعذابا فى الآخرة ــ مثل طاعة الوالدين ومساعدتهما باحترام وتقدير، وخاصة عند بلوغهما سن الكبر،٠٠ وهذا دليل على أن كل العقائد الدينية توجد بها بعض قواعد تحريم كما توجد بها بعض قواعد تجعل من بعض الافعال مباحة كالزواج والبيع والشراء والتملك(١) ــ وهذا دليل آخر على ان هذه القواعد المتفق عليها فى جميع هذه العقائد هى من عند الله سبحانه وتعالى ، وان اختلفت بعض العقائد الدينية فى تحديده لان هذه الأمور كلها تفوق طاقات وقدرات كل البشر ــ كما أنه من المستحيل ان يكونوا قد اتفقوا عبر التاريخ الانسانى عليها لان بعض المجتمعات القديمة كانت تجعل بعض الأمور مباحة مثل زواج الأخ من أخته الى ان حرمه الله سبحانه وتعالى فضلا منه للحفاظ على حياة البشرية من الانزلاق الى الرذيلة ، وتدهور الأخلاق، وقطع صلة الرحمة والمحبة ــ فالله سبحانه وتعالى فى ذاته خير، والخير ليس له من مصدر سواه(٢) ــ وانه جل شأنه لم يفعل الا كل خير وعدل لجميع البشر ، دون النظر الى ضرورة التزامهم بقدرته ــ وقد اكد ذلك فى قوله تعالى (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا)(٣).

وقد كشف عن هذه المبادىء منذ القدم وعبر عنها العديد من العلماء والفلاسفة فى أكثر من موضع ــ منها ما أورده الفيلسوف الاغريقى سقراط وهو فى حوار مع صديقه هيبياس Hippais حيث قال (هل تعرف ياهيبياس ان هنالك قوانين وقواعد غير مكتوبة ؟ بدون شك ، وهى القوانين التى تسود بلاد العالم ــ هل تستطيع القول بأن الناس هم الذين وضعوها ؟

---

(١) أ٠س٠رابوبرت ، مبادىء الفلسفة، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٢) جمهورية أفلاطون، مرجع سابق ، ص ٦٩.

(٣) سورة الانسان ،آية ٣.

كيف اجرؤ على مثل ذلك القول ، اذ من المستحيل أن يكونوا قد اجتمعوا كلهم فى مكان واحد — كما أنه من المستحيل أن يتعلموا لغة واحدة — اذن فمن الذى وضعها فى رأيك ؟ انها التى املتها على البشر ، وأول هذه القوانين تقضى بتبجيل الاله — أليس هناك مبدأ عام يقضى باحترام الاباء؟ — بدون شك — أليس من المحرم على الأمهات أن يتزوجن أبناءهن وعلى البنات أن يتزوجن آباءهن — بدون شك — أليس هناك مبدأ عام يقضى بمكافأة فاعلى الخير التزاما بحسن صنيعهم ؟ بدون شك) (١)

كما كشف عن ذلك أيضا الشاعر الاغريقى صوفوكليس فى مسرحيته (انتيجونا) بأنه (يجب على المشرع للقوانين ان يراعى ما أمر الله به ، ولايتجاوز قوانين الاله التى لاتقهر ، وهى قوانين عادلة خيرة ازلية من يغفلها يلق العقاب العظيم من الالهة) (٢) .. واذا كان كل من سقراط وهيبياس والشاعر صوفوكليس لايدركون قدرة الله الأحد، والتوحيد الحق الا أنهم تأملوا بفلسفتهم بأن هناك مبادىء وقواعد وقيما تحقق الخير والعدالة واصلاح أحوال الناس ، متفقا عليها بين كل الشعوب ، وانها ليست من صنع البشر — وانما من صنع القوة العليا التى تفوق كل قدرات البشر وفوق الطبيعة ذاتها ،وصوروها فى الاله. (٣)

هـ) ان بعض العلوم والمعرفة التى علمت بها كل الشعوب هى من عند الله سبحانه — ويقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى بان الله العزيز القادر قد حدد لنا فى القرآن الكريم طريقة تعليم البشرية كلها ، وأرشدنا بأن العلم يبدأ بالاسماء أولا — قال تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ،

---

(١) د. محمد يوسف موسى ، تاريخ الاخلاق، الطبعة الثانية ١٩٦٤، القاهرة ، ص ٨٢.

(٢) د. صوفى أبوطالب ، مبادىء تاريخ القانون، مرجع سابق، ص٣٣٣

(٣) أ.س . رابوبرت ، مبادىء الفلسفة ، مرجع سابق ، ص ٧٣.

قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم، قال يا آدم انبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال الم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)[١] فمنذ بدء الخلق وضع اللـــه لادم اسماء كل شئ ،ومع الزمن تكشف اسماء جديدة، وكل هذا مما علمـه الله لادم وورثته ذريته حتى تعرف البشرية أسماء كل ما هو مسخر لخدمتها فى هذا الكون.[٢]

واذا كان آدم قد أنبأ الملائكة بالاسماء ـ فانه لابد أن يكون قـد انبأهم بها بلغة يفهمونها ـ فمن أين عرف آدم اللغة التى يتحدث بهـا ـ واللغة هى وليدة البيئة لا تورث ، ولاتكون فى الإنسان بالطبيعة ـ كما أن الذى يتكلم لابد أن يسمع أولا قبل أن ينطق ، وآدم قد نطق بأسماء كل المخلوقات ـ وبالتالى لابد أن يكون قد سمع قبل أن ينطق بهـا ـ فمن الذى علم آدم الكلام ؟ ... انه الله سبحانه وتعالى الذى خلقـه وعلمه الكلام واستمع اليه آدم ـ وهذا يدل على أن الله هو الذى علـم الانسان الكلام، وبذلك فالله علم آدم الاسماء، وكانت هذه بداية علـم الانسان ، ومازالت تلك هى البداية فلايمكن أن يتعلم الانسان شيئا الا اذا تعلم الاسماء أولا كما أن اللغة التى نتحدثها هى معجزة من معجزات الله سبحانه وتعالى علمها الله حين قال: ساعة الخلق وأمام الملائكة يـا آدم انبئهم بأسمائهم.[٣]

و) على الرغم من تعدد العقائد الدينية لشعوب العالم، ومـن وجود اختلاف بينهم فى تحديد الالوهية وفى أمور العبادات ـ الا أنـه يوجد بينهم جميعا مبدأ عام من الورع والتقوى فى كل ديانه ـ وهذا ما عبر

---

(١) سورة البقرة الايات ٣١، ٣٢، ٣٣

(٢) حديث لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى، كتبه الاستاذ احمد زين ونشر بجريدة الاخبار المصرية بتاريخ٢٢/٩/١٩٨٦ـ العدد ١٠٦٩١ ـ السنة الخامسة والثلاثون تحت عنوان (وبدأ العلم) ص ١٦.

(٣) عبدالجواد رجب ، مع الله (نظرات فى الكون والحياة) مرجع سابق، ص ٧٠، ٧١.

عنه مونتسكيو بعد جولته التى زار فيها دولا عديدة حيث وقف مندهشا أمام الأديان المختلفة، من يهودية ومسيحية واسلامية وكونفوشيوسيه، وبرهمانية، وذاردشتيه، وبوذية ، وما يوجد بينها من اختلافات محيرة — وتساءل بالقول اذا كان الانسان يريد حقا ارضاء الله فأى دين يسلك ؟ ثم نادى الله على لسان شخص حائر قائلا (مولاى اننى أريد أن أعبدك وفق الطريقة التى ترتضيها ، ولكن كل فرد أسأله عن الطريق القويم يريدنى أن أعبدك على الطريقة التى يتبعها هو — واذا اردت أن أصلى لك فاننى لاأعرف بأية لغة أصلي ، ولا أعرف كذلك أى وضع على ان اتخذه فى عبادتك: فأحد الناس يقول على أن أعبدك واقفا، والآخر يدعى ان العبادة تكون والإنسان جالس ، وثالث يقول ان العبادة ركوع ، مولاى — كل هذه الاشياء تجعلنى فى حيرة لاتتصور، اننى لا استطيع حراك رأسى الا وأكون مهددا باغضابك — ومع ذلك فانى اريد مخلصا ان أعمل عملا ترضاه وان أكرس فى سبيل هذا العمل كل حياتى التى وهبتنى اياها، اننى لا اعرف ما اذا كنت على حق ، ولكننى أعتقد أن أسلم وسيلة لارضائك هو أن يعيش الفرد كمواطن صالح فى الجماعة التى جعلته يا مولاى ينشأ فيها، وكأب بار صالح فى الاسرة التى وهبتها له) (١) — ومن هذا نجد ان مونتسكيو كان مؤمنا بالله ، ناظرا للاديان كمجرد وسيلة للوصول اليه — ولم يفرق بين دين وآخر ، ولكنه لايدرى أيها يسلك (٢) — وهذا يمكن أن يقارن مع الفارق ببعض المتصوفين الاسلاميين ، وغير الاسلاميين الذين يريدون الوصول الى الله ويقفون حيارى أمام السبل المرسومة للوصول ، ويشكل عليهم الأمر وتصبح قلوبهم ساحة لمعارك نفسية رهيبة قبل ان تستقر على طريق معين يسلكونه ، وهذا مانلمحه فى حالة القديس أوغسطينوس فى (اعترافاته) ، والغزالى فى كتابه (المنقذ من الضلال) وغيرهما (٣) — ولذلك يوجد لدى جميع الشعوب مبدأ عام يسود فى كل عقائدهم الدينية ، وهو الورع والتقوى

---

(١) د. حسن شحاته سعفان، مونتسكيو ، مرجع سابق، ص ٨٥

(٢) محمد الغزالى ، عقيدة المسلم ، مرجع سابق ، ص ٩٤.

(٣) د. حسن شحاته سعفان، مونتسكيو ، مرجع سابق ،ص ٨٦.

الذى يعد من العوامل الاساسية فى التهذيب والتربية للوصول الى نمـــو الادراك ودفع الأخلاق الى الكمال ·

ومن خلال ذلك نصل الى مايؤكد بأن هناك بعض الأسس والمبادىء العامة التى تتضمن علاقة الانسان مع غيره متفق عليها فى جميع العقائـــد الدينية المنتشرة بين شعوب العالم ـ وانها من صنع الله سبحانه وتعالـى وتعد المصدر الأساسى للقيم والمبادىء العامة الأخلاقية المتفق عليها لـــدى جميع الشعوب ،والتى سبق أن وضحناها فى الفصل الثالث من البـابـ الأول والتى تتضمن واجبات وفضائل ·

واذا كان هذا هو مضمون الاطار الفلسفى ، وخاصة عند قدمـــاء العلماء وفلاسفة الأخلاق الذى يجعل من العقيدة الدينية أصلا تبنـــى عليه الأخلاق ، الا أن احد فلاسفة القرن الثامن عشر ـ وهو الفيلســوف الالمانى امانويل كانت ـ قد عكس الوضع وجعل من الأخلاق اصلا للعقيــدة الدينية وذلك عندما وضع المبادىء الأخلاقية المغروسة فى طباعنا اصـــلا ومصدرا للايمان بالحقائق الميتافيزيقية الدينية مثل خلود الروح، ووجـــود الله(١) ـ وهذا الاتجاه خاطىء من حيث المضمون والشكل لان الأخـلاق ما هى الا قيم ومبادىء يتحلى بها الانسان، ولم تأت الا من خـــلال العقيدة الدينية ، أى من عند الله سبحانه وتعالى وتعاليم رسالاتـه(٢) والتى اقتنع بها الانسان، وصارت بالتالى مصدرا لأخلاقه وسلوكــه(٣) ـ كما أن الدين يسمو بكل المعانى الإنسانية ، وعبر عنه دور كهيم (بانــــه شىء ابدى وسرمدى وهو أصل كل الافكار الأساسية لاطار التفكيــــــر الانسانى)(٤) هذا بالاضافة الى أن الأخلاق مهما كانت مبادئها فانهـــــا

---

(١) د· حسن شحاته سعفان، مونتسكيو، مرجع سابق، ص ٨٦

(٢) د· محمد بيصار، العقيدة والاخلاق، مرجع سابق ، ص ٥٣·

(٣) د ·ابوبكر محمد ذكرى ، تيسير فلسفة الاخلاق، مرجع سابق ص٥٣

(٤) ماكيفر، المجتمع ، مرجع سابق ، ص ٣٣٧·

لا تصل الى قوة العقيدة الدينية التى قوامها الوحدة الثقافية والقيم الإنسانية العليا ، والتى قد تجعل الانسان يضحى بحياته على ان يضحى بعقيدته الدينية، وهناك شواهد تاريخية لاشخاص تحملوا فى سبيل عقيدتهم الدينية العذاب حتى الموت ، وتحملوا الحرمان من الحرية أو من الحياة دون التنازل عن عقيدتهم الدينية ·

وبالاضافة الى ذلك فان دليلنا الاكبر والذى لايقبل الشك ولا التأويل فى هدم ما ذهب اليه كانت Kant هو ما جاء بالشرائع السماوية، وعلى الأخص الشريعة الاسلامية من جعل الدين والتمسك به أساسا ومصدرا للأخلاق، حيث قال رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام" انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق " ·(١)

وان كان (كانت) خاطئا فى جعل الأخلاق مصدرا للعقيدة الدينية الا أنه أكد من جانب آخر، وجود الصلة الوثيقة بين العقيدة الدينية والأخلاق — على نحو يجعل انفصال العقيدة الدينية فى مفهومها العام ومعناها المطلق عن الأخلاق واستقلالها بذاتها أمرا مستحيلا أو عسيرا أو على الاقل مشكوكا فيه(٢) — لان جانبا من العلماء مثل الفيلسوف هنرى بيرجسون H. Bergson قد قرروا بأنه يمكن وجود أخلاق بغير دين فى بعض المجتمعات ،وأنه لايشترط وجود رابطة بين الأخلاق والدين ، وأن الدين ليس هوالمصدر أوالاساس الوحيد للقيم الاخلاقية — بل هناك عوامل أخرى من البيئة، والوراثة والتربية يمكن أن يؤسس عليها مصادر للقيم الأخلاقية(٣) — واستندوا فى تأييد رأيهم الى بعض النظريات الفكرية والعلمية التى اعتقدوا فيها وهى تنكر وجود الدين مثل النظرية الماركسية، ونظرية

---

(١) د· زكى الدين شعبان ، أصول الفقه الاسلامى ، الطبعة الاولى، ١٩٦٦ ، القاهرة ، دار النهضة العربية، ص ٣٠١·

(٢) اما نويل كانت ، تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق، مرجع سابق، ص ٤٥ ومابعدها·

(3) H. Bergson, Les deux sources de la morale et de la religion, 1962, Paris, Tokoy, U.N. University, p. 100.

داروين فى النشوء والارتقاء ونظريات القوانين الطبيعية وجميع النظريات المادية التى ظهرت فى العصور الحديثة فى القارة الأوروبية... وان كنا نعارض هذا الاتجاه حيث يخالف الحقيقة والواقع لطابع الإنسانية ـ كما سبق أن تبينا ـ الا أننا سنبين أيضا خطأ ما ذهب اليه هؤلاء العلماء وفساد ما استندوا عليه ، وذلك على النحو التالى :

أولا : النظرية الماركسية :

وهى نظرية كارل ماركس ، والتى تعتبر فكرتها ليست وليدة عصره ، انما سبق أن صورها الفيلسوف الاغريقى أفلاطون فى نظام شيوعى وضعه على شكل حوار من اثنى عشر جزءا فى كتابه (الجمهورية) كنظام مثالى للدولة على اساس شيوعية الأموال والنساء فى طبقات المجتمع العليا ، ثم عدل عن هذا النظام فى كتابه (القوانين) . الذى كتبه فى أواخر حياته فى شكل حوار أيضا من اثنى عشر جزءا (١) .

واذا كانت النظرية الشيوعية قد عرفت فى العالم القديم ، الا أن كارل ماركس وأنصاره بلوروا فكرتها فى العصور الحديثة من خلال الارتكاز على الفلسفة الجدلية والمادية وتطبيقها على العقيدة الدينية وكافة الظواهر الاجتماعية ـ حيث فسروا كل ما فى الحياة عن طريق المادة واعتبروها تسبق كل شئ بما فى ذلك الروح الانسانية ، وبان وعى الأفراد وأفكارهم وسلوكهم يرجع الى المادة التى تحكم تطور التاريخ البشرى فى جميع مظاهره (٢) ـ وتأكيدا لذلك قال كل من انجلز (ان الفكر لم يخلق المادة وانما المادة هى التى أنتجت الفكر) ، وماركس (عقل الإنسان ليس هو الذى يخلق له طراز معيشته وانما طراز معيشته هو الذى يخلق عقله وفكره) .

---

(١) د. أحمد جامع ، المذاهب الاشتراكية ١٩٦٧ ، المطبعة العالمية بالقاهرة ، ص ٢٤ .

(٢) د. حمدى عبدالرحمن ، فكرة القانون ، مرجع سابق ، ص ٧٣ .

أما لينين فقد قال (اننا لا نوءمن بالله ، ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والاقطاعيين والبورجوازيين لايخاطبوننا باسم الله الا استغلالا) وعلى هذا النحو عبر المنانفستو الشيوعى بان (الدستور، والأخلاق والدين خدعة بورجوازية تتستر منورائها البورجوازية من أجل مطامعها) (١) .

وان كنا نوءيد ماوجه الى الفكر الماركسى من نقد على أساس أنه قام على مفاهيم خاطئة مثل فكر النظريات المادية الاخرى ـ فيما يتعلق بالدين والأخلاق وكافة الظواهر الاجتماعية ـ الا أن هناك أسبابا قد دفعت الماركسية الى اعتناق هذه المفاهيم وهى ترجع الى الاتى :

١ ـ ان الماركسية نشأت فى ظل أوضاع سيئة اجتماعية فى أوربا بالنسبة للطبقة العاملة ـ حيث أنه فى المراحل الأولى لتطور النظام الرأسمالى الفردى تدهورت أحوال العمال ،وتعرضوا للظلم،ولم تقف معهم أى جهة فى الدولة التىيقيمون فيها لاصلاح أحوالهم وخاصة رجال الدين. (٢)

٢ ـ يقول الفيلسوف الفرنسى جارودى الذى كان منأحد أنصار الماركسية ثم عدل عنها عقب اسلامه بأنه(لم يكن الجانب الفلسفى للماركسية الذى كان يعنيه ماركس وانصاره فىالمقام الاول هو الهجوم على الدين ـ بل أنها قضية عابرة ـلان الكنيسة المسيحية لعبت دورا تاريخيا بغيضا فى الهاء الشعوب عن قضايا تحررها ، وأنه لذلك قال ماركس قولته الشهيرة (ان الدينافيون الشعوب) حيث كان الدينفى عصره وفى مجتمعه قولا وفعلا افيونا للشعوب الاوروبية ، وبهذا فانكار النظرية الماركسية للدين يرجع للظروف التاريخية التى نشأت فيها ،وان ما أضافه ماركس عند سرد نظريته نابع من الظروف الاجتماعية التى كانت تعيش فيها أوربا حيث كانت الكنيسة

---

(١) د. مصطفى محمود، الماركسية والاسلام ، مرجع سابق ،ص ٣٦

(٢) د. حمدى عبد الرحمن، فكرة القانون، مرجع سابق ، ص ١٢٦.

ورجال الدين لهم دور بغيض فى جمود الافكار التحررية والنهوض بكرامة الانسان وتحقيق العدالة ورفع الظلم) [١] . أى أن فساد الكنيسة ورجال الدين قد دفع الماركسية الى هذا النهج .

٣ ـ من الملاحظ أن الافكار التى نادت بها الماركسية من الناحية الموضوعية ـ وهى ثورة الطبقات الكادحة ، وتحرير الانسان من العبودية، والقضاء على الاستغلال ، وتحقيق المساواة بين البشر ، واقامة مجتمع عادل وتقرير ملكية الشعب ، والقضاء على الظلم الاجتماعى بكافة صوره ـ ماهى الا مبادىء عامة مستلهمة من روح الشرائع السماوية ونادى بها كل الرسل ، وكافة فلاسفة الاخلاق ـ الا أن الماركسية فى صياغتها لهذه المبادىء تأثرت بطابع البيئة الاجتماعية والظلم الاجتماعى الذى كان سائدا فى غفلة من رجال الدين ، وفساد الكنيسة، وبعدها تماما عن القيام بأى اصلاح أو ارشاد لتحرير الشعوب من ظلمها . [٢]

٤ ـ جميع العبارات التى ردد ها كل من ماركس وانجلز ولينين والمانفستو الشيوعى فى أنكار الدين اتضح من التحليل النهائى لدى غالبية العلماء وبعض الفلاسفة الاشتراكيين المعاصرين ـ بأنها غير علمية، وبأن العقل والارادة لهما دور كبير فى تشكيل ظروف الحياة [٣] ـ كما نجد اليوم الاتحاد السوفيتى وهو الموطن الأساسى للماركسية يحاول بكل جهده محو معارضة النظرية لفكرة الدين حيث يردد الشيوعيون فى جميع دول العالم بانه لا تعارض بين الماركسية والعقيدة الدينية، وبان الماركسية ما هى

---

(١) جارودى ، الدين والمجتمع لدى الماركسية مقال نشر بمجلة المصور المصرية، بالعدد رقم ٣٢٢٧ بتاريخ ١٥ أغسطس ١٩٨٦، وعلق عليه الدكتور محمد نور فرحات ، ص ٢٥ .

(٢) د. ثروت أنيس الاسيوطى ، الاسلام والملكية، ١٩٨٢ ، الطبعة الثانية طرابلس (ليبيا) ص ٢٥ ومابعدها .

(٣) د. مصطفى محمود، الماركسية والاسلام، مرجع سابق ، ص ٣٧ وما بعدها .

الا نظرية حجر الزاوية فيها يقوم على الجانب الاقتصادى والاجتماعى بغـــرض تحقيق العدل عن طريق ازالة الاستغلال الطبقى ، بالاضافة الى أن الشعب السوفيتى ذاته معظمه يعتنق الديانات السماوية الثلاث ، المسيحيـــــــة واليهودية والاسلام ـ كما أن المسلمين منهم يتباهون باسلامهم ويقوم بعضهـم بأداء فريضة الحج كل عام ـ كدليل لتحطيم فكرة معارضة الماركسية للدين ٠

ثانيا : قوانين الظواهر الطبيعية :

لم يكن ماركس هو أول من أنكر دور العقيدة الدينية فى الحيـــاة الانسانية ـ بل سلك مسلكه مفكرون وعلماء آخرون فى المجتمع الاوروبـــــى بأسره ـ كما اصبحت السمة الغالبة بعد ظهور قوانين الظواهر الطبيعية التى حولت الكثيرمن المفكرين الاوروبيين منذ القرن السابع عشر الى الشك فـــى الدين (١) ، ومن أمثلة ذلك :ـ

أ) عندماوجه نابليون بونابرت سوءالا الى عالم الفلك فى زمانـــــه (لابلاس) عن عمل القدرة الالهية فى تنظيم الافلاك السماوية (وذلك بعـد أن قام بنشر كتابه عن علم الحركة العلوية، وشرح فيه حركة الفلك وعللهـــا بالقوانين الاليـة) ـ فكان رد لابلاس على سوءال نابليون له(اننى لـــم أجد فى نظام السماء ضرورة للقول بتدبير اله) ٠

ب) كتب أيضا العالم السير جيمس فتزجيمس ستيفن فى عـام ١٩٨٤ مثالالاراء العلمية قال فيه ٠(اذا كانت الحياة الانسانية فى نشأتها قـــد استوفى العلم وصفها فلست أرى بعد ذلك مادة باقية للدين اذ ما هى فائدتـه وما هى الحاجة اليه؟ اننا نستطيع أن نسلك سبيلنا بغيره٠٠ واذا طرحنـا العقيدة الدينية جانبا فلا أخال ان الحياة تخسر قيمتها، وأن الاخـــلاق تتقطع وتزول ، لاننا كما أسلفت قادرون على أن نعيش عيشة حسنة بغيـــر الديانة) ٠ (٢)

---

(١) د٠محمد بيصار،الفلسفة اليونانية" مرجع سابق ص ٢٤

(٢) عباس محمود العقاد ، عقائد المفكرين فى القرن العشرين، مرجـــع سابق ، ص ٢٣٠

واذا كانت هذه بعض نماذج من آراء المفكرين والعلماء فى بعض الدول الاوروبية ـ الا أن آراءهم كانت وليدة لاسباب ادت الى اضعاف الروح نحو العقيدة الدينية منذ القرن السادس عشر وهى :

١ ـ تزعزع سلطةرجال الدين نتيجة للفساد الذى حل برجال الكنيسة وجعل الناس تفقد الثقة فيهم.

٢ ـ بعد أن اكتشف العالم كوبرنيكس مركز الكرة الارضية من الشمس والأجرام السماوية، وقام بنشر كتاب عام ١٥٤٢م وضح فيه ذلك الاكتشاف العلمى ، غضب رجال الدين فى الكنيسة وسخطوا ونقموا عليه ـ حيث اعتبروا اكتشافه مخالفا للدين ـ ثم قاموا بمصادرة كتابه وحرق جميع النسخ التى تم توزيعها بعد أن أجمعوا على تحريمه ومنع تعليمه ـ الا أن هذا الامر قد جعل نفوس بعض المفكرين والعلماء فى أوروبا تهتز نحو هذا الكشف الكونى، وجعلهم يفكرون على نحو آخرـ بعد أن فشل رجال الدين فى الكنيسة فىوضع أى تفسيرعلمى يعبر عن قدرة الخالق الاعظم لهذا الكون نتيجة لجهلهم وعدم تعمقهم فى أمور الدين. (١)

٣ ـ ظهور علم المقارنة بين الاديان وما تبين منه من وجود تشابه فى المبادىء العامة لمعظم العقائد الدينية وخاصة الديانات السماوية، مع ما تبين اثناء الكشوف الجغرافية التى قام بها الاسبان فى أمريكا الوسطى من وجود جماعات من الناس تعتنق عقيدة دينية بها من التفكير والخلاص ومناسك الايمان شىء من الشبه بما هو موجود فى الديانة المسيحية التى لايعلمون عنها شيئا ـ ولم يقم رجال الدين فى الكنيسة بتفسير ذلك بأنه من فضل الله ورحمته على جميع الشعوب ـ بل التزموا الصمت بجهلهم وفسادهم ـ مما جعل بعض المفكرين يتخذون من هذه التشابهات دليلا منحرفا على أن الاديان كلها من وضع البشر. (٢)

---

(١) عبد الجواد رجب ، مع الله(نظرات فى الكون والحياة) مرجع سابق ص ٤٥ ومابعدها.

(٢) عباس محمود العقاد، عقائد المفكرين فى القرن العشرين ، مرجع سابق ص ٦٠.

هذه هى بعض الاسباب التى أدت الى اضعاف العقيدة الدينية فى أوربا ، ولكن فى الحقيقة أن الحضارة الغربية بدأت بالشك فى السلطة الدينية ، لا فى الدين نفسه — لان الدين الذى شكت فيه أو أنكرته كان هو الدين الذى تشبث به الجاحدون والمتحجرون والفاسدون من رجال الكنيسة فى مطلع العصور الحديثة — لانه مع التمعن فى هذه الاسباب نجد أنه لو كان رجال الدين فى أوربا لديهم العلم والايمان الصادق بقدرة الله — لكان فى امكانهم هدم كل هذه الاسباب وتفسيرها على نحو من العلم يزيد من الايمان بدلا من التصدى لها بالجهل (١) — فلو أصلحت الكنيسة من رجالها ، أو قام رجال الدين بتفسير نظرية كوبر الكونية لمركز الارض ، وتفسير علم مقارنة الاديان ، وتصدوا لكل النظريات المادية بالعلم القائم على الايمان وبقدرة الخالق الاعظم لاستطاعوا القضاء على كل بلبلة الافكار التى جعلت بعض العلماء والمفكرين يتخذون هذا الموقف من العقيدة الدينية . (٢)

بالاضافة الى ذلك أن بعض العلماء والمفكرين والفلاسفة الذين أنكروا العقيدة الدينية قد تراجعوا عن ذلك بعد أن تعمقوا بفكرهم فى قدرة الله سبحانه وتعالى — ومن بين هؤلاء عالم الفلك العظيم لابلاس ، حيث عدل عن جوابه الذى قرره لنابليون بعد أن تعمق فى دليل الحركة الكونية واعترف بقدرة الخالق الاعظم ، وقال (اما القدرة الفاطرة فقد عينت جسامة الأجرام الموجودة فى المجموعة الشمسية وكثافتها ، وثبتت أقطار مداراتها ، ونظمت حركاتها بقوانين بسيطة ، ولكنها حكيمة ، وعينت مدة دوران السيارات حول الشمس ، والتوابع حول السيارات بأدق حساب ، بحيث أن هذا النظام المستمر الى ماشاء الله لايعتوره خلل ..) ، كما قال الفيلسوف سبنسر . (اننا مضطرون الى الاعتراف بأن الحادثات مظاهر قدرة مطلقة متعالية عن الادراك — وان الاديان كانت أول من قال هذه الحقيقة العلوية ولقنها) . وسبنسر هذا مشكوك فى تدينه من جانب العديد

---

(١) د. محمد بيصار ، الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص ٢٥ .

(٢) عباس محمود العقاد ، عقائد المفكرين فى القرن العشرين ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

من العلماء والفلاسفة.(١)

ثالثا : نظرية النشوء والارتقاء (مذهب التطور) :

وظهرت فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر باسم عالمين هما الفرد رسل والاس ، وشارل داروين- الا أن شهرة داروين ذاعت بالنظرية فنسبت اليه - وقد هوجمت هذه النظرية هجوما شديدا باسم الدين ، وجعلت مرادفه للالحاد والمادية - دون التصدى لها عن علم وايمان من جانب رجال الكنيسة - مما أدى أيضا الى بلبلة الأفكار لدى بعض الفلاسفة وعلماء الاجتماع الذين استندوا اليها فى تفسير بعض النظريات والعلوم الاجتماعية - ومنها العقيدة الدينية والأخلاق ،مثل هربرت سبنسر الذى أسس عليها مذهبه فى الكمال الاخلاقى.(٢)

وقد ثبت علميا فشل هذه النظرية عند تطبيقها على بعض الظواهر الطبيعية - كما ثبت فشل كل النظريات الاجتماعية التى تأسست عليها - هذا بالاضافة الى أن كلا من والاس ،وداروين مؤسسى هذه النظرية لم يكونا ملحدين - فقد كان والاس شديد الايمان بالله ، خامرته الشكوك فى الديانة التقليدية ، ولم تخامره فى الايمان بالله وبحكمته - اما داروين فلم يزعم قط أن ثبوت التطور ينفى وجود الله، ولم يقل ان التطور يفسر خلق الحياة، وغاية ما ذهب اليه أن التطور يفسر تعدد الانواع الحيوانية والنباتية ، وفى ختام كتابه عنأصل الأنواع قال ان (الأنواع كلها ترجع فى أصولها الى بضعة أنواع تفرعت على جرثومة الحياة التى أنشأها الخلاق)(٣)

واذا كان قد ثبت باليقين فشل كل النظريات والمذاهب والاتجاهات التى تنكر وجود العقيدة الدينية ، وبان الدين هو المصدر الاساسى للأخلاق

---

(١) الشيخ محمد الغزالى ، عقيدة المسلم ، مرجع سابق ، ص ٢٢، ٢٣

(٢) برتراندرسل ، حكمة الغرب ، مرجع سابق ، ص ٢٠٤.

(٣) عباس محمود العقاد، عقائد المفكرين فى القرن العشرين، مرجع سابق ، ص ٥٤.

فانه قد هدمت أيضا كل الاراء التى ادعت بذلك ــ مثل ما قرره الدكتور ميتشينكوف (بأنه اذا كان هناك مثل قادر على لم الشمل البشرى فانه لايمكن الا أن يكون مؤسسا على مبادئ علمية) ــ حيث وجه لها نقدا شديدا على أساس أن العقل والعلم لا يصلحان لكل هذه الأمور وذلك على النحو الاتى :

١ــ العقل قد يكون مصدرا للاضطرابات والانحرافات ، وأكد ذلك كل علماء النفس ومعظم الفلاسفة مثل بسكال الذى قال (أن أتبع العقل وحده لا عدل فى ذاته) [١] .

٢ــ العلم وحده لايكون قادرا على أن يقاوم الانعطافات الأخلاقية ــ كما أنه مهما أوتى العلماء من علم فان علم الله واسع وعظيم ــ قال تعالى : ((أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون ، أم خلقوا السموات والارض ، بل لا يوقنون)) [٢] . ((أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت ، والى الارض كيف سطحت)) [٣] والعالم لم يخلق صدفة فنشوء حياتنا ودوامها يقومان على جملة ضخمة من القوانين الدقيقة يحكم العقل باستحالة وجودها ــ مثل موضع الأرض أمام الشمس على مسافة معينة، فلو نقصت وازداد قرب الأرض من الشمس لاحترقت كل أنواع الاحياء من نبات وانسان وحيوان، ولو بعدت المسافة لعم الجليد وهلكت كذلك كل أنواع الحياة وفى ذلك يقول شيلى [٤] وهو يخاطب الله : (انك الروح التى توجد فى كل مكان وبها يحيى كل موجود) [٥] .

---

(١) د. بارودى ، المشكلة الاخلاقية والفكر المعاصر، مرجع سابق ، ص ٤٥.

(٢) سورة الطور، الايتين ٣٥، ٣٦ .

(٣) سورة الغاشية الايات ١٧ ــ ٢٠.

(٤) شيلى Shelly فيلسوف وشاعر انجليزى ولد عام ١٧٩٢ وتوفى عام ١٨٢٢م ، وكان شعره مملوء بعواطف الحب للانسانية.

(٥) أ.س . رابوبرت ، مبادئ الفلسفة ، مرجع سابق ، ص ١٦٩.

كما أن الارض فى مكانها لم يأت عشوائيا ، وانما من صنع اللـــــه تصديقا لقوله تعالى(والشمس تجرى لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لهـا أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار، وكل فى فلك يسبحون) [(١)].

وأيضا اننا على سطح الأرض نستنشق الأوكسجين لنحيا به، ونطرد الكربون الناشئ من أحتراق الطعام فى أجسامنا ، وكان ينبغى بذلـــك أن يستنفد كل الاوكسجين الموجود فى الهواء ويموت كل انسان وحيوان – ولكن قدرة الله وعظمته جعلت النبات الاخضر يأخذ هذا الكربون ويعطى بـــدلا منه الاوكسجين لتستمر الحياة بأمرالله وجلالته – قال تعالى ((ان اللـــه يمسك السموات والارض أن تزولا ، ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد مـــن بعده ، انه كان حليما غفورا)) [(٢)].

– فهذا التوافق لحركة الكون واستمرار الحياة لم يحدث من تلقـــاء نفسه، ولم يستطع العلماء مهما كانت قوة علمهم ان يفعلوا مثل ما فعلـــه الله العزيزالجبار فى هذا الكون الذى صنعه وخلق كل مافيه [(٣)]، لانهــم حتى اليوم لم يتوصلوا بعلمهم الى اكتشاف سر الحياة ، وان كانوا يجاهدون فى سبيل ذلك ، الا أنهم لم يتوصلوا الى أى نتائج تشير الى هذا الســر الالهى [(٤)] – وفى ذلك يقول انشتين العظيم(ان جوهر الشعور الدينـــى فى صميمه هو أن نعلم بأن ذلك الذى لاسبيل لمعرفة كنه ذاته موجـــود حقا – ويتجلى بأسمى آيات الحكمة وأبهى أنوار الجمال) – وهذا دليل علـى التلاقى بين عقول العظماء ، وبين حكمة الله وقدرته فى خلق هـــذا الكون [(٥)] فقال تعالى : ((وما أوتيتم من العلم الا قليلا)) [(٦)] ((والله واسع عليم)) [(٧)]

---

(١) سورة يس الايات ٣٨– ٤٠.

(٢) سورة فاطر الاية ٤١.

(٣) الشيخ محمد الغزالى ، عقيدة المسلم، مرجع سابق ،ص ١٩.

(٤) الامام نورالدين اشرافية، معركة الحياة، مرجع سابق ،ص ١١٧

(٥) الشيخ محمد الغزالى، عقيدة المسلم،مرجع سابق ، ص ٢٤

(٦) سورة الاسراء ، الاية ٨٥

(٧) سورة البقرة وتكررت فى الايات ٢٤٧،٢٦١،٢٦٨، كما جاءت فـــى سورة آل عمران الاية٧٣،وسورة المائدة الاية٥٤ وسورةالنور الاية ٣٢

ويقول عيسى بن مريم عليه السلام للذين يعتبرون العلم هو كل شئ وينكرون الحق (ان اشد الناس فتنة زلة العالم — فان العالم اذا ذل يذل بذلته عالم كثير) كما قال (يا علماء السوء جعلتم الدنيا على روءوسكم والاخرة تحت أقدامكم . قولكم شفاء وعملكم داء، مثلكم مثل شجرة الدقلى تعجب من يراها وتقتل من اكلها) وقال أيضا (يا علماء السوء جلستم على أبواب الجنة فلا تدخلونهاولا تدعون المساكين يدخلونها .ان شر الناس عند الله عالم يطلب الدنيا بعلمه) (١)

هذا دليل واضح على وجود الله ، والعقل يشهد — فالله سبحانه وتعالى هو الموجود الازلى ، وهو الوجود الحق ، فالحق هوالله والباطل هو ماعداه — فالعالم وما فيه من سكون وحركة أثر لقدرة الله سبحانه وتعالى، وبدراسة هذا الكون تنفذ قدرته الى صميم الفكر الحر باشعة من الهدى، والايمان وتجعل الانسان يتطلع ملء الفوءاد بعواطف الرهبة والرغبة الى هذا الخالق الاعظم — قال تعالى((انا كل شئ خلقناه بقدر)) (٢) .

وبذلك فلا يوجد انسان بلا عقيدة ،ولاشعب ولا أمة بغير ديانة، ولا مصدر للأخلاق سوى دين الحق والتوحيد المرسل من عند الله سبحانه وتعالى الى عبادة لاصلاح أحوالهم ومعاشهم فى الدنيا والآخرة (٣) — مصداقا لقوله تعالى((سبح اسم ربك الاعلى ، الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى ، والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى ، سنقرئك فلا تنسى ، الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى ، ونيسرك لليسرى ، فذكر ان نفعت الذكرى ، سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى ، الذى يصلى النار الكبرى ، ثم لايموت فيها ولا يحيى ، قد أفلح منتزكى ، وذكر اسم ربه فصلى ، بل توءثرون الحياة الدنيا، والآخرة خير وأبقى ، ان هذا لفى الصحف الأولى ، صحف ابراهيم وموسى) . (٤)

---

(١) الامام أبو الفداء اسماعيل بن كثير، قصص الانبياء، مرجع سابق، ص ٦١٤.

(٢) سورة القمر ، الاية ٤٩.

(٣) أ.س. رابوبرت ، مبادىء الفلسفة، مرجع سابق، ص٢٦ ومابعدها.

(٤) سورة الاعلى ، الايات من ١ — ١٩.

الفصل الثالث

الرسل والأنبياء

كل الانبياء والمرسلين عباد الله سبحانه وتعالى ، مخلوقون كسائر الناس مولودون من ذكر وأنثى ، الا سيدنا آدم وعيسى عليهما السلام ــ حيث خلق الله آدم من تراب بيده لامن ذكر ولا من أنثى [١] ، وخلق عيسى فى بطن أمه من غير ذكر ــ وعليه فكل المرسلين والانبياء بشر ، ولكن ميزهم الله بايحائه اليهم [١] ، قال الله تعالى ((ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده)) [٢] .

لقد اختار الله سبحانه وتعالى الرسل والانبياء هبة من عنده ، لان حكمته وعلمه قاضيان بأن تمنح للمستعد لها والقادر على حملها ((الله أعلم حيث يجعل رسالته)) لتكون شمس الهداية للبشر أجمعين ٠

وعظمة الرسل والانبياء فى التبليغ واداء أمانة الوحى قضية فرغ العلماء منها ــ حيث ليس لهم فضل الاختيار فى التبليغ ، واداء الامانة ــ انما الله سبحانه وتعالى قد طبعهم عليها واختارهم لها ــ غير أن الوحى لايلازمهم فى كل عمل يصدر عنهم ، وفى كل قول يبدر منهم ــ فهم عرضة للخطأ فى غير التشريع ، ولكن يمتازون عن سائر البشر بأن الله لايقرهم على الخطأ بعد صدوره ، ويعاتبهم عليه أحيانا ٠ [٣]

ولقد جرت سنة الله تعالى فى خلقه منذ أن عمرت بهم الارض أن يشرع لهم الشرائع ، ويبعث فيهم رسلا من أنفسهم يبشرونهم بالفلاح فى الدارين

---

(١) د٠عبدالوهاب النجار ، قصص الانبياء ، طبعة١٩٨٤ ، دارالفكر ببيروت (لبنان) ص ٢ ومابعدها٠

(٢) د٠ محمد عبدالمنعم القيعى ، عقيدة المسلمين ، الطبعة الثانية١٩٨٦ القاهرة ــ وزارة الاوقاف المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ص٢١٠

(٣) سورة ابراهيم آية١١٠

(٤) د٠محمد حسين هيكل ، حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) الطبعة الثالثة ١٩٣٥ ، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ، المقدمة بقلم فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغى ، ص ٢ــ ٥٠

ان اطاعوا ، وينذرونهم بالخسران وسوء المغبة ان خالفوا وأفسدوا — لانه جل شأنه قد خلق كل البشر ولم يتركهم ضالين ، وانما شملهم جميعا برحمته ولم يترك منهم شعبا ولا أمة دون أن يبعث فيه نبيا أو رسولا من أجل أن يدعوهم للحق ويزرع الخير فى نفوسهم ، ويلقنهم الفكر القويم نحو الصلاح والعدل والابتعاد عن الضلال والفساد والظلم (١) — لان كل البشر وان كانوا قد خلقوا وطبيعتهم مفطورة على التوحيد والخير ، الا أنهم لضعف ادراكهم وقلة تجاربهم — قد أخطأوا وأشركوا بالله ، وارتكبوا لجهلهم بعض أعمال الشر (٢) — وفى ذلك قال الله تعالى ((هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو الواحد)) (٣) ، ((فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك)) (٤) :

وجميع الرسل والانبياء الذين ظهروا منذ بداية الحياة الإنسانية الى أن جاء نور الاسلام قد اختارهم الله العزيز القادر من بين البشر لحسن خلقهم ، وصفاء قلبهم — ليحملوا الامانة الى جميع البشر للحق والهداية — ولذلك سوف نشير الى بعضهم بموجز نبين من خلاله نسبهم الذى يمتد الى سيدنا آدم عليه السلام ابى البشر أجمعين ، وحسن صفاتهم الإنسانية — تأكيدا وتصديقا لقول الله تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن الكريم ، ومقياسا لاختياره لكل الرسل والانبياء ((وانك لعلى خلق عظيم)) (٥)

---

(١) د. زكى الدين شعبان ، اصول الفقه الاسلامى ، مرجع سابق ، ص ١٩.

(٢) عبد الجواد رجب ، مع الله (نظرات فى الكون والحياة) مرجع سابق ، ص ٣٤.

(٣) سورة ابراهيم ، آية ٥٢.

(٤) سرة محمد ، آية ١٩.

(٥) سورة القلم ، آية ٤.

المبحث الاول

نوح عليه السلام

سيدنا نوح عليه السلام هو ابن (لامك بن متوشلخ بن خنوخ (وهوادريس) — بن يرد بن مهلاييل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام) — وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال (كان بين مولد آدم ونوح عشرة قرون) ، وعند أهل الكتاب ذكر بان بين مولد نوح وموت آدم عشرة قرون ومائة وست وأربعون سنة.(١)

وكان نوح عليه السلام ذا صفاء النفس والقلب الطاهر والخلق الطيب تصدى بتيارات روحية لكل عوامل الشر، وجاهد لنشر مبادئ الخير في نفس الانسانية افرادا وجماعات — وقد اختاره الله سبحانه كاول رسول يبعث الى أهل الارض بعد الطوفان عندما عبد الناس الاصنام والطواغيت ، وشرعوا في الكفر والضلالة ،وأعمال الشر — من أجل أن يهديهم الى الحق والخير ، وينذرهم بمغبة الاستمرار في العصيان، ويبشرهم برحمة الله الواسعة لعباده(٢) ، تصديقا لقوله تعالى ((ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ، ان لا تعبدوا الا الله ، انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم))(٣) — ولذلك كان نوح عليه السلام أول من وقف في تاريخ الإنسانية ليصفع الباطل الذي تمرد وانحرف عن الايمان والفضيلة، ويحقق الاهداف التي بعث من أجلها — فأخذ يدعو أمته بقوة واصرار على ضرورة اتباع حكم الله، والاهتداء الى الحق والعدالة والتحلي بالخلق الحسن، وسلوك طريق الخير والفضيلة — بدلا من حكم الغاب وعبادة الاصنام وارتكاب أعمال الشر والرذيلة.(٤)

---

(١) الامام أبو الفداء أسماعيل بن كثير، قصص الإنبياء، مرجع سابق، ص ٦٢.

(٢) د. عبدالوهاب النجار، قصص الانبياء، مرجع سابق ، ص ٣٣.

(٣) سورة هود ، الايتين ٢٥،٢٦.

(٤) الامام نور الدين اشراقية ، معركة الحياة، مرجع سابق، ص٢٠٤.

لم ييأس نوح عليه السلام من اصلاح قومه وفلاحهم ـ بالرغم أنهم توصلوا الى اذيته ومخالفته وتكذيبه بكل الطرق فعلا وقولا ـ حيث كان صامدا نحو تحقيق المبدأ ويدعو الله أن ينصره عليهم ـ قال تعالى: ((فدعا ربه انى مغلوب فانتصر)) (١) ، ((قال رب انصرنى بما كذبون)) (٢) .

واذا كان عليه السلام مصداقا للحق فى نشر دعوة الايمان والفضيلة، كان أيضا يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله ـ وقد ورد ذكره عليه السلام فى مواضع عديدة بالقرآن الكريم مدحه فيها الله سبحانه وتعالى وأثنى عليه لسمو خلقه وقوة ارادته نحو الحق والعدل والفضيلة ـ مثل قوله تعالى: ((انه كان عبدا شكورا)) (٣) والشكور هوالذى يعمل بجميع الطاعات القلبية والقولية والعملية ـ وقال أهل الحديث أن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (صام نوح الدهر الا يوم عيد الفطر ويوم عيد الاضحى) (٤) وبالتالى فان كان نوح أول رسول فى تاريخ الانسانية بعثه الله رحمة بعباده ـ فانه أيضا صابر صامد خير، وأفضل انسان فى قومه ميزه الله ونصره على كل من خالفه ـ تصديقا لقوله تعالى((لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، قال الملأ من قومه انا لنراك فى ضلال مبين ، قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين، ابلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون، أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم سينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون ، فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ، انهم كانوا قوما عمين)) (٤) .

---

(١) سورة القمر آية ١٠ .

(٢) سورة المؤمنون آية ٢٦ ، ٣٩ .

(٣) سورة الاسراء ، الاية ٣ .

(٤) الامام أبو الفداء اسماعيل بن كثير، قصص الانبياء، المرجع السابق، ص ٩١ .

(٥) سورة الاعراف ، الايات من ٥٩ ـ ٦٤ .

يزعم أهل الكتاب أن نوحا عليه السلام قد عاش ألفا وسبعمائة وثمانين سنة – كما روى من مصادر عديدة أنه قبل أن يتوفى ويدفن في المسجد الحرام ترك لابنه وصية قال له فيها . (انى قاص عليك وصية ، آمرك باثنتين ، وانهاك عن اثنتين : آمرك بلا اله الا الله ، فان السموات السبع والارضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا اله الا الله في كفة رجحت بهن لا اله الا الله – ولو أن السموات السبع والارضين السبع كن حلقة مبهمة ضمتهن لا اله الا الله ، وبسبحان الله وبحمده ، فان بها صلات كل شئ ، وبها يرزق الخلق ، وانهاك عن الشر والكبر) – ويقول أهل الحديث ان عبد الله بن عمرو قد سمع رسول الله محمدا عليه الصلاة والسلام يقول لاصحابه اثناء الحديث معهم هذه الوصية التى ذكرها نوح عليه السلام لابنه (عندماحضرته الوفاة) – وأن الصحابة قد سألوه عن الكبر ، وقال لهم (سفه الحق وغمط الناس) أى التمرد والانحراف نحو الشر ، وارتكاب الظلم والاضرار بالناس. (١)

المبحث الثانى

ابراهيم عليه السلام

سيدنا ابراهيم عليه السلام هو (أبن تارخ بن ناحور بن ساروغ ابن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام) – ولد بأرض الكلدانيين ، وهى أرض بابل بالعراق واختاره الله سبحانه وتعالى ليزيل به الشرور ويبطل به الضلال بعد أن انحرف الناس عن الحق وارتكبوا الشر ، وعبدوا الكواكب والاصنام – فأتاه رشده فى صغره وابتعثه رسولا واتخذه خليلا فى كبره (٢) – تصديقا لقوله تعالى ((ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين)) (٣) .

---

(١) الامام أبوالفداء أسماعيل بن كثير ، قصص الانبياء ، مرجع سابق ، ص ٩٢ ، ٩٣ .

(٢) الامام ، أبو الفداء أسماعيل بن كثير ، قصص الانبياء ، المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

(٣) سورة الانبياء ، الاية ٥١ .

قام عليه السلام يدعو الناس بما أمره الله به نحو الهداية واتباع الحق ، ونبذ عبادة الكواكب والاصنام، والابتعاد عن ارتكاب الشر – وبأن الله غفور رحيم يقبل توبة من يهتدى الى الايمان ويسلك طريق الخير (١) – وعندما عارضوه لم ييأس وانما ناقشهم فكريا بفلسفة الايمان من أجل أن يصل بهم الى الحق وحسن الصواب – فتظاهر امامهم بعبادة القمر ، ولما أفل – قال لهم ان ما ينتهى ويزول لايستحق العبادة – ثم تظاهر مرة أخرى بعبادة الشمس ، ولما أفلت فى الغروب أخبرهم بأنه قد تبرأ من كل هذه المخلوقات – لانها لا تستحق العبادة – حيث أن انقضاءها وزوالها وتغيرها يدل على أن موجدا قد أوجدها ، ويحركها – وأنه هو الذى يستحق العبادة ، وهوالله سبحانه وتعالى ولا أحد سواه. (٢)

ثم قام بعد ذلك بمنتهى الشدة والعزم ، وحطم الأصنام التى كان بعض الناس يعبدونها الا كبيرها ، حيث تركه وعلق فى رقبته الفأس – وعندما قبضوا عليه بسبب ما فعله حاورهم فكريا وادعى بأن الذى قام بكسر الاصنام هو كبيرهم وعليهم أن يسألوه – وعندما أجابوا عليه بأنه من المستحيل سؤاله لانه لاينطق -قال لهم كيف تعبدون اذن ما لاينطق وكيف تعبدون ما تنحتونه من هذه الحجارة ، والله خلقكم وخلق هذه الاشياء جميعا ، وهو المستحق للعبادة لانه الاول دون ابتداء والاخر دون انتهاء ،وهو الموجود الحق والموجودات كلها تستمدمنه وجودها وبقاءها. (٣)

وأول دعوة وجهها سيدنا ابراهيم عليه السلام للايمان كانت لابيه تارخ الذى كان يعبد الأصنام لانه اعتبره أحق الناس باخلاص النصيحة له – فدعاه للحق فى لطف ولين عن طريق الحجة والبرهان ، وعن طريق الوجدان والعاطفة ليبين له بطلان ما هو عليه من عبادة الاوثان التى لا تسمع دعاء عابدها ، ولا تبصر مكانه – الا أنه لم يقبل منه الدعوة بل

---

(١) اندريه ايمارد، جانين اوبوايه، تاريخ الحضارات العام، الشرق واليونان القديم ، مرجع سابق ، ص ١٤٨، ١٦٦.

(٢) د. عبد الوهاب النجار ،قصص الانبياء ، مرجع سابق ،ص ٨٠.

(٣) الامام نورالدين اشراقية، معركة الحياة، مرجعسابق ص ٢٠٨.

هدده وتوعده ــ فقال له ابراهيم سابتعد عنك ولم يصلك منى مكروه ولاينالك منى أذى بل أنت سالم من ناحيتى ولكن حسابك سيكون عسيرا لانك عدو الله[١] .. قال تعالى ((واذكر فى الكتاب ابراهيم ، انه كان صديقا نبيا ، اذ قال لابيه يا أبت لم تعبد ما لايسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ، ياأبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى ، اهدك صراطا سويا ، ياأبت لا تعبد الشيطان ، ان الشيطان كان للرحمن عصيا ، يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا . قال أراغب انت عن الهتى يا ابراهيم ، لئن لم تنته لارجمنك ، واهجرنى مليا . قال سلام عليك سأستغفر لك ربى ، انه كان بى حفيا ، وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا)) [٢]

لقد كان ابراهيم عليه السلام قوى الارادة والعزيمة ، عزيز النفس حسن الخلق ، قام بجميع ما أمر الله به باخلاص وخشوع ، وكان قوى الطهارة ،ولم يشغله القيام بالدعوة والجهاد فى سبيل الله والعبادة العظيمة عن مراعاة نظافة جسده وشعره وأظافره وأسنانه [٣] ، وهذا جملة ما قاله الله سبحانه وتعالى فى مدحه العظيم لسيدنا ابراهيم عليه السلام . (وابراهيم الذى وفى) [٤]

كما كان عليه السلام حكيم التصرف حسن اللسان ، ويقول المفسرون وغيرهم من العلماء عن ذلك ــ بأنه عندما دعا ملك بابل النمرود بن كنعان ، وكان طاغيا وباغيا ــ الى الحق والايمان وعبادة الله وحده لاشريك له ــ وقال له ربى الذى يحيى ويميت ورد عليه الملك انا احيى وأميت(حيث كان يعتقد بجهله أنه عندما يأتى برجلين قد تحتم قتلهما فاذا أمر بقتل أحدهما

---

(١) الشيخ محمود شلتوت ، الاسلام والعلاقات الدولية، مرجع سابق ، ص ١٩ .

(٢) سورة مريم ، الايات ٤١ ــ ٤٨ .

(٣) الامام ابو الفداء أسماعيل بن كثير، قصص الانبياء، مرجع سابق، ص ١٧٩ .

(٤) سورة النجم الاية ٣٧ .

وعفى عن الأخر، فكانه قد أحيا هذا وأمات الاخر (دليل على ضلاله)) نكر له دليلا آخر أعجزه حيث قال له بان الشمس مسخرة كل يوم بمطلع من المشرق كما سخرها خالقهاوهو الذى لا اله الا هو خالق كل شئ، وطلب منه أن يأتى بهذه الشمس من المغرب وان لم يفعل فانه يكون أعجز وأقل من أن يخلق بعوضه ، ولم يجد الملك الطاغى كلاما يقوله ويجيب به على سيدنا ابراهيم بل انقطع وسكت[1] ـ وفى ذلك يقول الله تعالى : ((ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت ، قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر، والله لا يهدى القوم الظالمين)) [2].

وقد عزم الملك الطاغى وقومه الكافرون على أن ينتقموا من سيدنا ابراهيم بعد أن كشف ضلالهم وفسادهم ـ فحكموا عليه بالاعدام حرقا ـ فقيدوه واشعلوا النار من حوله الا أن ارادة الله جعلت النار بردا وسلاما عليه ـ قال تعالى ((قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم)) [3] لان الله سبحانه وتعالى قادر على ان يخلص نبيه من الكيد والتآمر ، ثم بعد ذلك ترك سيدنا ابراهيم قومه ، بأمر الله وذهب الى مكة لبناء الكعبة ثم عاد واستقر فى فلسطين ، وظل طوال حياته بها ينشر الدعوة التى كلفه بها الله سبحانه وتعالى نحو الحق والايمان ، وغرس مبادئ الخير والفضيلة فى نفوس الناس[4].

يقول أهل الكتاب ان سيدنا ابراهيم عليه السلام قد مات وهو يبلغ من العمر ما بين ١٩٠ ـ ٢٠٠ عاما ـ وانه دفن فى المغارة التى دفنت

---

(١) د٠عبد الوهاب النجار، قصص الانبياء، مرجع سابق ، ص ٩٦٠

(٢) سورة البقرة الاية ٢٨٥٠

(٣) سورة الانبياء الاية ٦٩٠

(٤) الامام نور الدين اشراقية ، معركة الحياة ، مرجع سابق ص٢٠٨

فيها زوجته سارة بقرية حبرون بفلسطين — وان الذى دفنه وصلى عليه ابناه (١)
اسماعيل واسحاق (×) .

المبحث الثالث

موسى عليه السـلام

سيدنا موسى عليه السلام هو (أبن عمران بن قاهث بن عـازر ابن لاوى بن يعقوب (اسرائيل) بن اسحاق بن ابراهيم عليه السـلام — ولد فى أرض مصر التى كانت فى تلك الفترة تعم بالالحاد وينتشر فيها الشـر والفساد — حيث كان يحكمها الملك الطاغى فرعون الذى أعرض عن طاعة اللـه وجعل أهل مصر شيعا .

وقد تلقى موسى عليه السلام أمر الله سبحانه وتعالى بأنه اصطفـاه لحسن خلقه ، وصفاء نفسه ، ليقوم بتبليغ رسالته الى جميع البشر — مـن أجل أن يهتدوا الى الحق والايمان ويسلكوا طريق الخير وحسن الصـواب ويبتعدوا عن الالحاد والضلال وارتكاب الشر. (٢)

وكان أول تكليف من الله الى موسى هو أن يبلغ رسالته الى فرعـون ليدعوه الى الايمان وترك الظلم والفساد — فقام عليه السلام بعد أن دعا ربه ان يعطيه القدرة فى الكلام وقوة البيان — قال تعالى ((قال رب اشـرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى)) (٣) — وكلم فرعـون الذى

---

(١) الامام أبو الفداء أسماعيل بن كثير، قصص الانبياء، مرجعسابق ص١٨٩

(×) اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام هو أبو العرب الذين يسكنون الحجاز والذين جاء منهم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم — ومن اسحاق ابن ابراهيم ولد يعقوب(اسرائيل) وجاء منهم موسى ومريم بنـت عمران أم سيدنا عيسى عليه السلام.

(٢) الامام أبو الفداء أسماعيل بن كثير، قصص الانبياء، مرجع سابق ص ٢٩٦

(٣) سورة طه ، الايات ٢٥— ٢٧.

اندهش واستغرب لجرأته ، وكذبه عندما رأى العصا التى كان بها الدليل والبرهان ،واتهمه بالسحر وجمع له كل سحار عليم ليكشف أمره ـ الا أن موسى اندفع بشجاعة الايمان وقوة مجابهة الحق للباطل والقى عصاه وأبطل ما فعله السحرة الذين علموا عندئذ أن ماجاء به موسى ليس سحرا وانما بقدرة الله العزيز الجبار [١] ـ فالقوا بأنفسهم سجدا طالبين من الله العزيز القادر المغفرة على ما كانوا عليه من كفر والحاد وما ارتكبوه من شر وفساد، وقالوا امنا برب هارون وموسى ـ فغضب فرعون وقام بصلبهم وعذبهم عذابا شديدا حتى هلك معظمهم ، وماتوا شهداء [٢] ـ قال الله تعالى ((وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك ، فاذا هى تلقف ما يأفكون . فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ، وألقى السحرة ساجدين ، قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) [٣] كما قال تعالى((فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى ، قال آمنتم له قبل أن آذن لكم ، انه لكبيركم الذى علمكم السحر، فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى ، قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البيناتوالذى فطرنا، فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا، انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر، والله خير وأبقى ، انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا، ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها، وذلك جزاء من تزكى) [٤] .

وبعد أن خسر فرعون جولته مع سيدنا موسى لم يتعظ وانما تجبر وعتا وطغى وبغى ، وأصر بكفره على أن يقتل موسى وكل من آمن بدعواه

---

(١) الامام نور الدين اشراقية، معركة الحياة، مرجع سابق ،ص ٢١٤.

(٢) د. عبدالوهاب النجار، قصص الانبياء، مرجع سابق ، ص١٨٨ وما بعدها.

(٣) سورة الاعراف الايات من ١١٧ ـ ١٢٢.

(٤) سورة طه الايات من ٧٠ ـ ٧٦.

التى كلف بها من رب العالمين ـ الا أن موسى عليه السلام انطلق بأمر ربه ومعه المؤمنين ـ وعندما حاول فرعون متابعته للانتقام منه هلك غرقا مع كل من معه ، قال تعالى :((وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ، ثم أغرقنا الاخرين ، ان فى ذلك لاية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وان ربك لهو العزيز الرحيم)) (١)

ان قصة سيدنا موسى عليه السلام تعطينا المثل لدعاة الخير بأن يكافحوا ويخاطروا ولا يخافوا بأس العدو لان الله معهم ـ وقد ذكر الله تعالى موسى عليه السلام فى القرآن كثيرا واثنى عليه وأورد قصة كفاحة فى نشر الايمان والخير والفضيلة مرارا وتكرارا ـ كما أثنى الله على التوراة ـ قال تعالى: ((انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ، فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)) (٢)

فقد قام موسى عليه السلام بنشر دين التوحيد والقيم الأخلاقية الفاضلة بين شعبه والشعوب الاخرى التى قام بزيارتها فكانت دعوته فى تبليغ رسالة الله سبحانه وتعالى دعوة عالمية نحو الانسانية والاخوة والمحبة ـ وأضاء الحركة الفكرية فى بلاد اليهود على أسس وقيم نابعة من الايمان ـ فكان رسولا يدعو للحق ويبشر بالخير وينذر من مغبة الشر والضلال ـ بعثه الله العزيز القدير رحمة لعباده عندما ضلوا طريق الحق وحسن الصواب. (٣)

---

(١) سورة الشعراء الايات من ٦٥ ـ ٦٨.

(٢) سورة المائدة ، الاية ٤٤.

(٣) اندريه ايمارد، جانين أوبوابه ، تاريخ الحضارات العام، الشرق واليونان القديمة ، مرجع سابق ص ٢٧٤، ٢٧٥.

وقد ورد عن سمو خلقه ، وحسن تعاليمه للاخلاق والفضيلة أحاديث عديدة ذكرها رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم منها ما رواه أهل الحديث عن عتبة بن المندر الذى قال - كنا عند رسول الله صلى لله عليه وسلم وهو يقرأ سورة طسم وانه عندما بلغ قصة موسى قال "(ان موسى عليه السلام اجر نفسه ثمانى سنين - أوعشر سنين - على عفة فرجه وطعام بطنه) (١) .

المبحث الرابع

عيسى عليه السلام

سيدنا عيسى عليه السلام هو ابن مريم التى اصطفاها الله سبحانه وتعالى على نساء العالمين وهى بنت (عمران بن باشم بن أمون بن ميشا ابن حزقيا بن أحريق بن موثم بن عزازيا بن امصيا بن ياوش بن احريهو بن يازم بن يهفاشاط بن أيشا بن أيان بن رحبعام بن داوود (عليه السلام) بن أيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عويناداب ابن آرم بن حصرون بن فرص بن يهوذا بن يعقوب(اسرائيل) بن اسحاق ابن ابراهيم الخليل عبد الله ونبيه وخليفته فى أرض بيت المقدس) - وكان أبوها عمران صاحب صلاة بنى اسرائيل فى زمانه ، وكانت أمها حنة بنت فاقود بن قبيل من العابدات ، وكان زكريا عليه السلام نبى ذلك الزمان زوج أخت مريم وكانت تدعى(أشياع) فى قول الجمهور، وقيل أيضا أنه كان زوج خالتها (أشياع) وليس اختها - قال تعالى ((واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك ، واصطفاك على نساء العالمين - يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين)) (٢)

---

(١) الامام أبو الفداء أسماعيل بن كثير، قصص الانبياء، مرجع سابق ، ص ٣٠٨ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٥٥٨ .

(٣) سورة ال عمران ، الايتين ٤٢، ٤٣ .

وقد تقدمت مريم تخدم بيت المقدس وكفلها (زوج اختها أو خالتها) زكريا عليه السلام ـ واتخذ لها محرابا وهو مكان شريف فى المسجد حتى لايدخل عليها أحد سواه، وانها لما بلغت اجتهدت فى العبادة اجتهادا عظيما ليس له نظير فى فنون العبادات فى ذلك الزمان (١) ـ وقد خاطبتها الملائكة بالبشرى بأن الله اصطفاها على نساء العالمين وسيهب لها ولدا زكيا يكون نبيا كريما طاهرا مكرما بالمعجزات ـ فقالت كيف يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ـ فقالت لها الملائكة هذا وعد الله ـ قال تعالى : ((اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والاخرة ومن المقربين، ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين، قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر، قال كذلك الله يخلق ما يشاء ، اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ، ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل)) (٢)

وعندما ولدت عيسى عليه السلام تكلم وهو فى المهد صبيا ـ وقيل انه عندما بلغ سبع سنوات من عمره سلمته أمه مريم عليها السلام الى المدرسة ـ وكان معلم هذه المدرسة شخص يدعى ابو جاد سأله عيسى عن معنى أبو جاد . فقال المعلم لاأدرى . فقال له عيسى عليه السلام كيف تعلمنى ما لا تدرى فقال المعلم له اذن فعلمنى . فقال له عيسى قم من مجلسك فقام المعلم وجلس عيسى فى مجلسه وقال . أبو جاد هو الالف آلاء الله ـ والباء بهاء الله والجيم بهجة اللهو جماله ، فعجبه المعلم من ذلك لان عيسى أول من قام بهذا التفسير (٣) ـ وكانت شخصية مريم عليها السلام مثل شخصية عيسى فى القدرة والروعة والتأثير فى الحديث حيث كانت تمتلك العلم والايمان والدراية الكاملة عن قدرة الله سبحانه وتعالى . فربت عيسى عليه السلام أفضل تربية وفرحت به فرحا عظيما. (٤)

---

(١) د. عبدالوهاب النجار، قصص الانبياء ، مرجع سابق، ص ٢٧٥ وما بعدها.

(٢) سورة آل عمران، الايات من٤٥ ـ ٤٨.

(٣) الامام أبو الفداء اسماعيل بن كثير، قصص الانبياء، مرجع سابق، ص ٥٩١.

(٤) ول ديورانت ، قصة الحضارة، قيصر والمسيح ، مرجع سابق، ص٢١٢

وقد ظهر عيسى عليه السلام وذاع ايمانه فى الفترة التى كان فيها هيرودس ملكا على بلاد اليهود فى فلسطين ، وكان الشعب اليهودى آنذاك قد دبت فيه الفوضى والاضطراب والشقاق فى جو كله ضباب وغيوم وظلم وفساد طبقا لما يشتهى اليه حكام الرومان ــ حيث كانت بلاد اليهود ضمن نطاق الامبراطورية الرومانية ، وكان أغسطس هو امبراطور الرومان فى تلك الفترة(١) ــ فقام المسيح عيسى بن مريم عليه السلام يدعو الناس الى البر والخير والايمان برب العالمين ، والابتعاد عن الشر والظلم واتباع دين الحق والهداية، فكان عليه السلام رسولا ومعلما بارعا للقيم والفضيلة مما أدى الى جذب تلاميذ الحواريين حوله كما ظهرت عبادته قوية ومؤثرة حين دعا الناس جميعا أن يعفو بعضهم عن بعض ، والا يعبدوا الا الله الذى خلقهم جميعا من نفس واحدة.(٢)

وبذلك كانت رسالة عيسى عليه السلام التى كلف بابلاغها من عند الله سبحانه وتعالى ، سلاما ومحبة وايمانا ، لاصلاح نفوس الناس من الحقد والكراهية ، وانقاذ البشرية من الحروب والبغضاء والانتقام التى كانت من سمات تلك الفترة، والتى جعلت الناس يبتعدون عن الدين الحق، وينحرفون الى الوثنية وارتكاب عوامل الشر.(٣)

وقد خشى رجال الدين المنحرفون أن يلتف الشعب اليهودى حول المسيح فسعوا بكل جهودهم ومكائدهم وتضامنوا مع حكام الرومان الوثنيين من أجل أن يمنعوا انتشار مبادئ الايمان والفضيلة التى ينادى بها عيسى عليه السلام ــ خشية أن تستيقظ قلوب الناس من غفلتها وتكشف جهلهم وضلالهم.

---

(١) د. عبد الوهاب النجار، قصص الانبياء ، مرجع سابق ، ص ٣٨٦.

(٢) اندريه ايمارد، جانين أوبوايه ، تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديمة ، مرجع سابق ، ص ٤٢، ٤٣.

(٣) محمد الغزالى ، عقيدة المسلم ، مرجع سابق ، ص ٥٦.

وعندما تلقت الامبراطورية الرومانية سيدة العالم فى ذلك الزمان دين الهداية والرشد الذى يدعو اليه المسيح قابلته بالسخرية فى أول الامر ، الا أنه بعد أن آمن فريق من أبنائها بهذا الدين الجديد واعتنق مبادئه فى الايمان والهداية فزع حكام الامبراطورية خشية انتشاره فاسرفوا فى البغى وعذبوا واضطهدوا هذه القلة القليلة ممن آمن بدين المسيح.(١)

لكن هذه القلة كافحت وصبرت متوكلة على ربها - فلم يزعزع الشرك والظلم والاضطهاد ايمانها بنصر الله - الامر الذى جعل بعض الناس فى جميع أنحاء الامبراطورية ينظرون ويرون من ثبات المؤمنين أمرا عجيبا فأخذوا يعطفون عليهم ثم يؤمنون مثلهم - وبالتالى انتشر الايمان بالمسيحية بداية من شخصية عيسى عليه السلام، وأخذت قوتها فى العقيدة الدينية التى استقرت فى نفوس بعض الناس الذين صمدوا ضد الاذى والكيد.(٢)

وبعد أن انتشرت المسيحية فى كل انحاء الامبراطورية نشبت معارك طاحنة بين المسيحيين والوثنيين ، و لكن لم تستمر هذه المعارك فترة طويلة حتى تمكنت ديانة التوحيد من طعن الديانة الوثنية، وقضت عليها تماما ، وحلت بالتالى المسيحية محل الوثنية فى أوروبا كلها ويرجع الفضل فى ذلك الانتصار واحلال النور محل الظلام والجهل الى شخصيتين عظيمتين هما بولس الرسول الذى كان ذا مبادىء دينية وأخلاقية قوية وثابتة - حيث ظل ينشر الدعوة طوال حياته بايمان وحق ، والامبراطور قسطنطين الذى يعتبر أول امبراطور رومانى مكن الديانة المسيحية من أن تستقر فى القلوب وتنتشر فى كل مكان بلا خوف ولا فزع.(٣)

وعيسى عليه السلام هوخاتم أنبياء بنى اسرائيل ،أنزل عليه الانجيل من عند الله سبحانه وتعالى هداية وخير لكل الناس فى ثمانية عشر ليلة ،

---

(١) الامام نور الدين اشراقية، معركة الحياة، مرجع سابق ، ص ٢١٥.

(٢) جاك س. ريسلر، الحضارة العربية، ترجمة غنيم عبدون، مراجعة د. أحمد فؤاد الاهوانى ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ،ص ٢٢.

(٣) ول ديورانت ، قصة الحضارة(قيصر والمسيح) ،مرجع سابق ،ص٢٤٩

وأيده العزيز القادر بالمعجزات فكان أول من أحيا الموتى وأبهر عقول بني اسرائيل بقدرة الله سبحانه وتعالى على هذه البينات حتى يؤمن الكافرون والمنافقون بالحق ، ويسلكوا طريق الخير والفضيلة ـ قال تعالى : ((واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم أن هذا الا سحر مبين)) (١)

كما كان عليه السلام يشفي المرضى بالايمان والتقوى وكان مثالا عظيما للخلق الفاضلة والقيم الانسانية العليا (٢) ـ وكانت تعاليمه نحو الايمان والحق ، والاهتداء الى حسن الصواب وفعل الخير تهذب النفوس مثل : ـ

- يا ابن آدم الضعيف • اتق الله حيث ما كنت وكن في الدنيا ضيفا ، واتخذ المساجد بيتا ، وعلم عينك البكاء وجسدك الصبر ، وقلبك التفكر •
- لايستطيع أحدكم أن يتخذ على موج البحر دارا فلا يتخذ الدنيا قرارا •
- اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم •
- ان الله لايصنع بالذهب ولا بالفضة ولا بهذه الاحجار التي تعجبكم ان أحب الله منها القلوب الصالحة وبها يعمر الله الارض وبها يخرب الله الأرض اذا كانت على غير ذلك •
- لا تكثروا الحديث بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم فان القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تظلموا ، ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب ،وانظروا فيها كأنكم عبيد ، فانما الناس رجلان معافى ومبتلى ، فارحموا أهل البلاء ، واحمدوا الله على العافية •
- اجعلوا كنوزكم في السماء فان قلب الرجل حيث كنزه •
- من تعلم وعلم وعمل دعى عظيما في ملكوت السماء •

---

(١) سورة المائدة آية ١١٠ •

(٢) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، قيصر والمسيح ، مرجع سابق ، ص ٢٢١

* لا خير فى علم لايعبر بك الوادى ويعبر بك النادى ٠
* الامور ثلاثة: أمر تبين رشده فاتبعوه ،وأمر تبين غيه فاجتنبوه، وأمر اختلف عليكم فيه فردوا علمه الى الله عز وجل) (١)

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى ثناء عظيما على عيسى عليه السلام فى أكثر من موضع بالقرآن الكريم كما اثنى على الأنجيل ٠ قال تعالى: ((وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ، وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه)) (٢) ٠

المبحث الخامس

محمد عليه الصلاة والسلام.

وهو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم ، ويمتد نسبه الى سيدنا أسماعيل عليه السلام بن ابراهيم الخليل أبى الانبياء حيث أتى مكة بأمر الله لبناء الكعبة وترك بها أسماعيل مع أمه هاجر ليعمر هذه المنطقة الطاهرة ــ ويكون من ذريته العرب ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ــ قال تعالى : (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) (٣) ٠

ولد محمد عليه الصلاة والسلام عام ٥٧٠م فى قريش بالجزيرة العربية وتربى يتيما فى أسرة متواضعة ،ولم يتعلم القراءة ــ الا أنه كان ملما بأمور الحياة واحبه جميع الناس حبا شديدا ــ حيث وجدوا فيه النجابة والذكاء والبر وطيب النفس وجمال الخلق ، وبلاغة اللسان والعدل والصدق ــ كما

---

(١) الامام أبوالفداء اسماعيل بن كثير، قصص الانبياء، مرجع سابق، ص ٦١٢، ٦١٣٠

(٢) سورة المائدة الايتين ٤٧، ٤٨٠

(٣) سورة آل عمران الاية ٣٣٠

كان وسيم الطلعة ،وعلى ملامحه سيما التفكير والتأمل ،وفى نظرته سلطان الأمر، ولم ينقطع عن مخالطة أهل مكة والاخذ والاندماج معهم فى كل أمور الحياة العامة – فتعلقوا بهواعتبروه من أفضل شباب القوم فى الشهامة والمروءة والشجاعة والعدل والفضيلة. (١)

اختاره الله سبحانه وتعالى ليكون خاتم الرسل والانبياء، ليهدى الناس الى الحق والفضيلة – فكان رسولا ونبيا صادقا ، واماما للحكمة والعدل ، وفيلسوفا فىنشر الايمان بدينالاسلام.

أنزل عليه القرآن الكريم الخاتم للشرائع السماوية كلها ، وبه بيان لكل شئ فى الحياة لكى يبلغه بأمر الله سبحانه وتعالى الى جميع الناس – ليرسم لهم حدود العقيدة الصحيحة، ويكمل للانسانية دائرة الاخلاق على أفضل وجه وأدق تنظيم بداية من حياة الفرد والجماعة الى نطاق المجتمع الدولى بأسره – لان الاسلام دعوة انسانية عالمية لكافة البشر، تبغى الوطن العالمى القائم على الايمان بالله،والتمسك بالعدل والفضيلة. (٢)

وقد نادى محمد صلى الله عليه وسلم بالدعوة الاسلامية فى مكة لكى يترك الناس عبادة الاصنام ، وارتكاب الشرور، ويؤمنوا بالله والحق ليكون لهم الخير فى الدنيا والآخرة – الا أنهم تفرقوا عنه ساخرين مستهزئين لجهلهم وضلالهم والغشاوة التى كانت تغطى قلوبهم ولم يؤمنبدعوته الا قلة امسكت على الايمان بقوة وجاهدت معه حتى انتصر على الشرك والفساد وانتشر الاسلام فى جميع انحاء الجزيرة العربية – ثم انطلق الى كل أرجاء العالم ، كدعوة انسانية تقوم على الايمان بالله والحق وتفرض المساواة والعدل والفضيلة فى كل علاقات الشعوب. (٤)

---

(١) د. ثروت أنيس الاسيوطى ، الاسلام والملكية، مرجع سابق ، ص٢٦.

(٢) د. محمد حسين هيكل ، حياة محمد، مرجع سابق ، ص ١١٢ وما بعدها.

(٣) الامام نور الدين اشراقية ، معركة الحياة، مرجع سابق ص ٢٤٨

(٤) جاك س. ريسلر ،الحضارة العربية، مرجع سابق ص ٢٤.

(٥) فضيلة الشيخ محمود شلتوت ،الاسلام والعلاقات الدولية فى السلم والحرب ، مرجعسابق ص ١٥.

وكان محمد صلى الله عليه وسلم ينشر رسالة الاسلام التى كلف بهـا بأمر الله سبحانه وتعالى ـ من أجل أن يزيل كل مفارقات العالم، ويحـل محلها وحدة الاخوة ، والمحبة بين كافة الشعوب ـ على أسس الحـــق والأخلاق الفاضلة التى تعد اساس الدعوة الاسلامية تصديقا لقوله صلى اللـه عليه وسلم (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) ، ولذلك كان خير معلـم فى تهذيب النفوس وغرس المبادىء التى تحض على مكارم الاخلاق وتنهى عـن سفافها ـ فقد وضح الفرق بين أعمال الخير والشر من خلال السلوك الظاهر ـ كما بين مايجيزه الاسلام من حركات النفوس والعواطف والارادات ، ومـا يحرمه منها ـ مثل الحسد والحقد والكبر والغرور والرياء والنفاق ، واعتبرهـا من أكبر المحرمات ،وحذر من شرها ، ووصف بعضها بأنها (داء الامم) وسماها الحالقة لا بمعنى أنها تحلق الشعر ولكن تحلق الدين .

توجد أحاديث مشهورة لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلـم ـ يشير فيها بأن الاسلام قد تضمن كل المبادىء التى توضح الفرق بين الخيـر والشر ـ حتى لايضل الناس عن الحق والسلوك الحسن ـ منها قولـه : ((ان الحلال بين ، والحرام بين ـ وان بينهما مشتبهات من اتقاها فقد استبرأ لدينه وعرضه ـ ومن وقع فيها أوشك أن يواقع الحرام ـ وان لكـل ملك حمى ، وان حمى الله فى أرضه محارمه) ، (ما أحل الله فى كتابـه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه عفو ـ فاقبلوا من اللـه عافيته ، فان الله لم يكن ينسى شيئا) ، (ان الله فرض فرائض فـلا تضيعوها، وحد الحدود فلا تعتدوها ـ وسكت عن أشياء رحمة بكم غيـر نسيان فلا تبحثوا عنها)[1] ـ كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أحاديث شريفة عديدة لا حصر لها ـ تؤكد الى جانب ما جاء بالقـرآن الكريم ان الاسلام قد أكمل دائرة الاخلاق بالقيم والمبادىء الفاضلة ـ منهـا قوله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) د. يوسف القرضاوى ، الحلال والحرام ، مرجع سابق ، ص ١٩ ، ص ٢٨٧.

- ان الله يحب معالى الأخلاق ، ويكره سفافها .
- ان الله لاينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم ـ أنما الاعمال بالنيات ـ وانما لكل امرئ ما نوى .
- أدبنى ربى فأحسن تأديبى ـ الخلق زمام من رحمة الله .
- الخلق الحسن يذهب الخطايا كما يذهب الماء الجليد ، والخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل . (١)
- اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولاتجسسوا .
- انك ان تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم .
- لاتحاسدوا ، ولا تدابروا ، ولاتباغضوا ، وكونوا عباد الله أخوانا .
- اذا افتقر أخوك فاحطه ، ولا تطلب منه ربحا ولا منفعة .
- ابغض عدوك هونا ما ، عسى أن يكون حبيبك يوما ما . (٢)

من خلال ذلك يتضح لنا أن دعوة كل نبى أو رسول نحوالتوحيد والحق والهداية كانت غير مقصورة على شعب أو امة معينة ـ بل كانت عالمية الى جميع البشر لان الله سبحانه وتعالى بعث بهم فضلا وتكريما للانسانية منذ بداية الحياة الانسانية فى هذا الكون ـ وكان كل منهم ينادى بما أمره الله من مبادئ تتناسب مع ظروف كل عصر ، وتتفق مع مفاهيم الناس .

وبذلك فالرسل والانبياء جميعا بالرغم منتباعد ازمانهم واختلاف لغاتهم ـ كانوا متفقين على رأى واحد ومقصد واحد فى نشر دعوتهم للايمان ـ وكان أساس علمهم الوحى من عند الله سبحانه وتعالى ، وهم رجال مصطفون من أبناء آدم عليه السلام تلقفتهم العناية الالهية منذ نشأتهم الاولى لتقيهم أخطار طبيعة الحياة البشرية ، وترقى بهم صعدا فى مدارج الكمال ، وترسخ قلوبهم الكبيرة لاستقبال ما يمليه الملأ الاعلى ـ فكانت الحكمة تسيل من السنتهم والاسوة الحسنة تقتبس من أعمالهم ، والنزاهة

---

(١) محى الدين بن عربى الحاتمى الطائى ، تهذيب الاخلاق ، مرجع سابق ص ٥ ومابعدها .

(٢) جلال الدين عبدالرحمن السيوطى الشافعى ، تنوير الحوالك ، مرجع سابق ، ص ٩٥ .

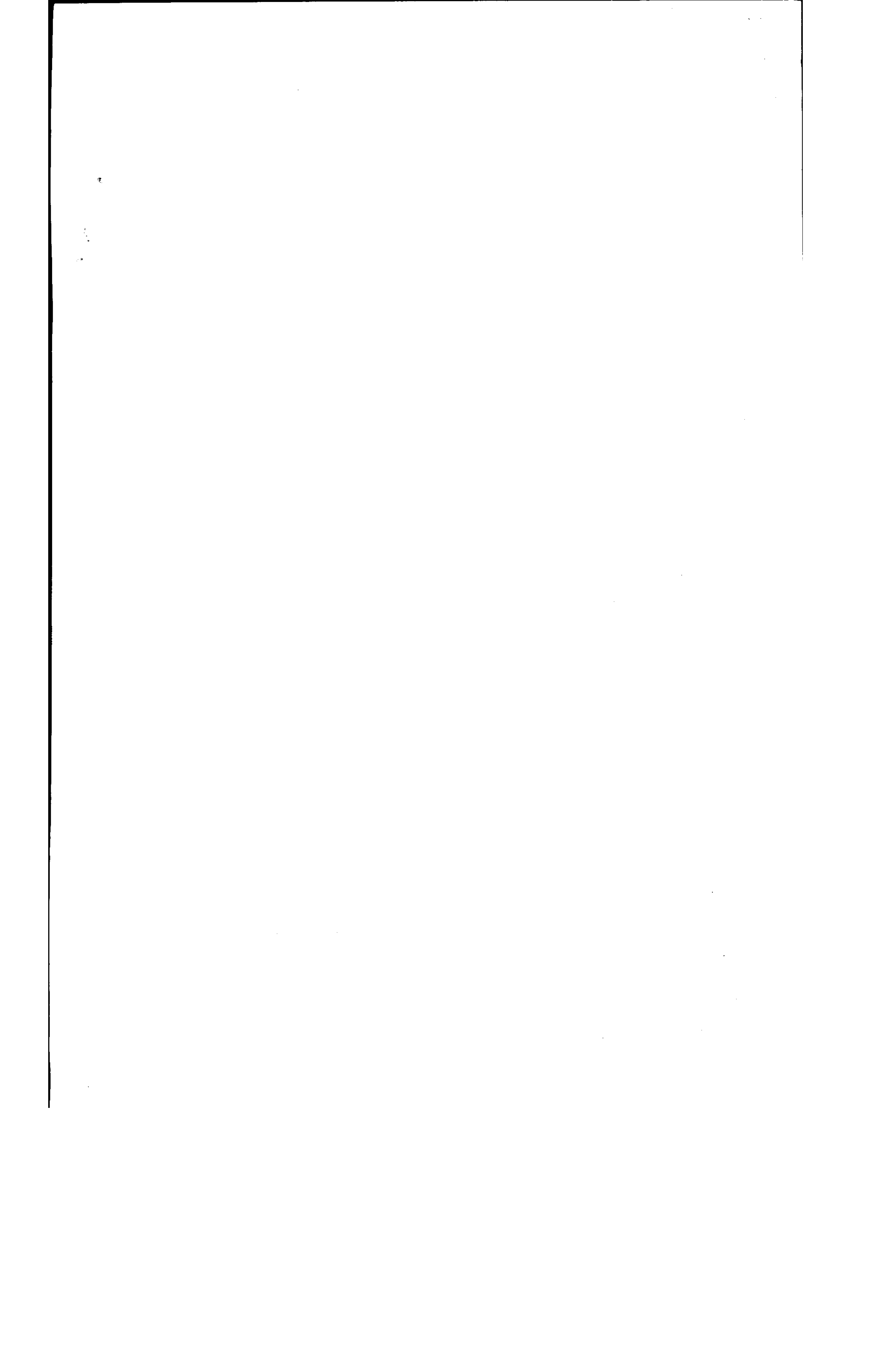
المطلقة تقترن بادوالهم واتجاهاتهم — ووظيفتهم لم تكن للارشاد الى حقائق الحياة فحسب بل كانت قلوبهم يقظة حتى لو نامت أبدانهم — فغرسوا المبادىء الصالحة فى نفوس البشر، وكانوا معلمين ومربين لأصول الحق والفضيلة — فهم خيرة الله من خلقه وكانوا أمناء على الوحى السماوى، وحياتهم ومعيشتهم الخاصة كانت تطابق مناهج دعوتهم حيث كانت تنضح عفافا واستقامة- قال تعالى ((الله اعلم حيث يجعل رسالته)) (١) .

فقد أعطوا رسالة الله العظمى الى خلقه من البشر وبينوا بصدق واخلاص ما يبتغى الله للبشرية من الفضائل المشرفة والمثل العليا — وأن الايمان بهم هو معرفة الله على الوجه الصحيح ، والارتباط بهم ليس تعلقا بأشخاصهم من الناحية البشرية البحتة بل هوارتباط بالوحى الذى شرفوا به ، والأسوة الحسنة التى تؤخذ منهم. (٢)

---

(١) سورة الانعام آية ١٢٤.

(٢) الشيخ محمد الغزالى ، عقيدة المسلم ، مرجع سابق ، ص ١٨٣وما بعدها.



الباب الثالث

فلسفة الأخلاق

الفلسفة معناها حب الحكمة ، أو الرغبة الملحة فى حل الغاز الحياة الاربعة الهامة : من نحن ؟ ومن أين نأتى ؟ والى أين نذهب ؟ وما أحسن سبيل للوصول الى هذا المصير ؟ والغرض الأساسى منها هو الحصول على راحة البال عن طريق التأمل فى عالم الحكمة ــ لنصل بأفضل الطرق الى معرفة أنفسنا ومكاننا الصحيح فى هذا العالم ، وتحويل أسئلة العقل المعقدة الى أجابات بسيطة تزيل الغشاوة التى قد تحيط بالقلب والوجدان.(١)

واذا كانت التعاليم الالهية والشرائع السماوية الثلاث قد وضعت عن طريق الرسل والانبياء أسس وقواعد كل المبادىء والقيم الاخلاقية وميزت المعالم بين الخير والشر ــ فان فلسفة الأخلاق التى نبعت من عقول رجال الفكر العظماء قد اصقلت ووضحت المفاهيم ، ورسمت الطرق المختلفة لكيفية تحلى البشرية بالأخلاق الفاضلة، وأكدت فى مواضع عديدة الرؤية الصحيحة للحياة الانسانية على مر التاريخ منذ بداية ظهور البشرية.

ونتيجة لاعتبار العقيدة الدينية مصدرا واصلا للأخلاق ، وبأنه لايوجد انسان يخلو من العقيدة الدينية أشاع بين مؤرخى الفكر الانسانى والفلسفى مبدأ منهجى يصور ويؤكد هذه الحقيقة وهو " أن المذهب الاخلاقى للفيلسوف صورة حية لمذهبه فيما وراء الطبيعة"(٢) أى أن فلسفة الأخلاق ما هى الا تعبير عن العقيدة الدينية التى يعتنقها كل فيلسوف ، ومن هنا تسير الفلسفة فى نفس الطريق العام المحدد من جانب العقيدة

---

(١) أ.س . رابوبرت ، مبادىء الفلسفة ، مرجع سابق ، ص ١٥ وما بعدها.

(٢) د.محمد بيصار، العقيدة والاخلاق ، مرجع سابق ، ص ٤، ٥٢

الدينية ــ من أجل صقل او معالجة بعض الامور الاخلاقية لصلاحية حياة الشعوب.

سنتبين ذلك من خلال عرض موجز لفلسفة الاخلاق على مدار العصور المختلفة للتاريخ الانسانى فى اطار ما أبرزه بعض عظماء الفكر الفلسفى منذ بداية ظهور المجتمعات البشرية على النحو الاتى :

الفصل أول : فلسفة الاخلاق الشرقية.

الفصل ثان : فلسفة الاخلاق الغربية .

الفصل الأول

فلسفة الأخلاق الشرقية

ان المرحلة الاولى لجهود الفكر الانسانى والفلسفى بزغت من بهاء الشرق - وأن عقول عظماء الشرق فى مصر والهند والصين وفارس هم الذين فجروا الينابيع التى هبط منها الوحى على فلاسفة اليونان والرومان ، ومن جاءوا بعدهم - وأنه من المستحيل فهم حكمة الغرب من غير الوقوف أولا على كل الجوانب الفكرية لحكمة الشرق .

فمن فلسفة الشرق بدأت الانسانية تهتدى الى أول معالم الطريق الحقيقى لفهم الوجود البشرى ،وحكمة الحياة وكشف أسرار الكون بداية من ضباب الفجر - حيث اثبت عظماء الشرق بالحق اليقين أن تيار الحكمة انساب عبر الاجيال من غير توقف مبتدئا بحضارة وادى النيل - وقد صرح أفلاطون أعظم فلاسفة اليونان بذلك عندما اعترف بفضل المصريين عليه كرواده وأساتذته فى الفكر والفلسفة.(١)

لقد جاءت فلسفة الشرق فى الأخلاق فى إطار موضوعى متكامل لكل الجوانب الانسانية والقيم العليا منذ الأزل ، ولقنت العالم بعد ذلك أسمى أنواع المعرفة فى الحكمة وكل المبادىء الأخلاقية - بداية بفلاسفة اليونان الاوائل الذين أسسوا عليها جوانب الفكر الغربى عبر القرون المختلفة.(٢)

سنعرض خلال هذا المبحث موجزا من الخيوط والاراء الفلسفية لبعض عظماء الحكمة والاخلاق الشرقيين - لنؤكد من خلال ما أتوا به من مبادىء وقيم - بأن فلسفة الأخلاق كانت كالشمس تماما بزغت نورها فى الشرق ثم انتشرت تجاه الغرب ، وبان فى أرض الشرق وتحت سمائه اكتملت دائرة الأخلاق والحكمة.

---

(١) د. هنرى توماس ،اعلام الفلاسفة ، مرجع سابق ص ٣٠

(٢) شارل فرنر ،الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق، ص ١٨ ومابعدها.

المبحث الاول

بتاح حتـــب Ptah Hotep

فيلسوف مصرى ظهر عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد وكان حاكم مدينـــــة ممفيس ورئيس وزراء ملك مصر القديمة ، وعندما اقتربت حياته من نهايتهـــــا اعتزل منصبه وكرس نفسه لتعليم النشء ، حيث كان يحث على ضـــــرورة تعلم الفضيلة كأساس للحياة الصالحة (١) ، وقال عنها (لاتـزه بمعرفتـــك ولا تحسبن نفسك عالما ، تحدث الى الجاهل كماتتحدث الى العالم علـــى السواء — عليكم أن تتعلموا الكثير بعضكم من بعض — فالمعرفة لا حـــدود لها — كماأنه ليس فى الوجود أى فيلسوف يملك الحكمة الكاملة، والحديـــث المتسامح اللين — كذلك الذى يدور بين من تساووا فى المرتبة، أندر مـــن أحجار الزمرد، ولا تتحدث بخشونة أو بتسرع — أحذر من أن تخلق أعـداء بكلماتك — لا تتجاوز الصدق ، ولا تفش كلمات قد أؤتمنت على سماعهـــا ، سواء أكان المتحدث فلاحا أم أميرا — وسرد القصص فى غير موضعها بغيـــض الى النفس — ولا تكن خجولا الى حد الا تذكر الحق ، ولا متهورا فتنطـق زورا وبهتانا — تعلم أن تخطط لنفسك طريقا متزنا بين عواصف الحيـــاة — ولا تدع شيئا يقلب اتزان شخصيتك فان الشخصية الصالحة هى أغلى هديـــة فى الحياة — وعش فى دار الرقة والشفقة ليأتى اليك الرجال يحملون اليـــك الخير) . (٢)

وفوق كل هذا كان بتاح حتب يحث على فضيلة ضبط النفس التـــى كانت أحد أحجار الزوايا فى فلسفتى أفلاطون وأرسطو، وقال (لتكن أعمالـــك فى مناسباتها، وكلماتك فى موضعها — فالرجل العاقل لا يتحدث بتاتا فـــى أمور لايعرف عنها شيئا — ودعنى مرة أخرى أحذرك — أكبح جماح نفســـك ، والجم لسانك) .

---

(١) د. صوفى حسن أبوطالب ، مبادىء تاريخ القانون، طبعة١٩٦٧ ، دار النهضة العربية، ص ٥١٤.

(٢) د. هنرى توماس ، أعلام الفلسفة ، مرجع سابق ص ٥، ٦.

وكان بتاح حتب يؤمن باله واحد اعتبره أب الانسانية جمعاء، وكـان هذا الاله الذى أمن به يعرف فى مصر القديمة باسم أوزيوريس ـ الذى كـان يمثل الصراع بين الخير والشر، وبأنه قد يتغلب الشر لوقت ما، ولكـن من المؤكد أن ينتصر ويسود الخير فى النهاية ـ وصرح بأبدية هذا الالـه ، وبأنه الوحيد الذى يهدى الناس الى الطريق القويم وجنة الخلـد

ومن تعاليم فلسفته الدينية التى كان يغرسها فى نفوس النـاس أن روح الانسان كاللهب تتجه دائما الى أعلى ، وبأن كل انسان سوف يمـوت ليحيا مرة ثانية ـ وبذلك سجل بتاح حتب ايمان الانسان بالبعث ـ وهـذا الايمان هو الذى حفز المصريين القدماء على الاحتفاظ بأجساد موتاهـم باستخدام التحنيط حتى تعود الروح مرة ثانية وتجد الجسد مستعـدا لاستقبالها. (١)

ويعتبر بتاح حتب من أوائل الفلاسفة المصريين الذين أعطوا أكبـر المثل فى الحكمة والفضيلة ـ كمايعد أول فيلسوف أخلاقى فى العالم يبـرز معنى وحدة الاسرة الانسانية تحت الوهية واحدة ،وبأن هناك اله واحـد لجميع البشرية ـ وقد أثرت مخطوطاته فى الحكمة وتعاليم الاخلاق فـى الفيلسوف اليونانى أفلاطون الذى ظهر بعده بما يقرب بنحو ٢٣٠٠ سنة ـ كما أثرت الصورة التى رسمها للرجل المتحلى بالاخلاق فى أرسطو عندمـا رسم صورة الرجل الكامل الصالح المتزن الشخصية. (٢)

وبذلك يعتبر بتاح حتب أول فيلسوف أخلاقى سجله تاريخ الانسانيـة نادى بالتوحيد والاخلاق الفاضلة الى جميع البشر من منطلق فلسفة عالميـة

---

(١) أندريه ايمارد، جانين اوبوايه ، تاريخ الحضارات العام، الشرق واليونان القديمة ، مرجع سابق ، ص ٩١، ١٢١.

(٢) د. هنرى توماس ، اعلام الفلاسفة ، مرجع سابق ، ص ٧.

تصلح لكل المجتمعات ولكل العصور، وبان الناس جميعا من طبيعة واحدة يمثلون أسرة متحدة فى كل أمور الحياة وأن الخير أساس حياتهم والشر أمر عارض قد يظهر ويتغلب فى فترة معينة ولكن لابد له أن يزول ويمحو بقوة فعل الخير.(١)

المبحث الثانى

اخناتون Ikhnaton

هو ملك الامبراطورية المصرية القديمة التى ظهرت سنة ١٤٠٠ قبل الميلاد ويعتبر أول من وضع نواة أسمى ادراك للفكر البشرى (اله واحد عالم واحد ، قانون عالمى واحد، توافق البشر) والاسم الحقيقى لهذا الملك الفيلسوف هو امنحتب الرابع . اتخذ لنفسه اسم أخناتون ومعناه(مكرس لله ـ أو خادم الله) من شدة ايمانه بالاله الواحد ـ وكان دائما يقول : (أنت فى قلبى ، وليس من يفهمك سواى) ـ وعلى الرغم من أنه لم يتعد ثلاثين عاما عند وفاته الا أنه خلف وراءه ميثاقا للحكمة يصلح لكل العصور.

تأثر بالفلاسفة المصريين الذين سبقوه ، كما تأثر(بكتاب طيبة عن الموتى) ـ الذى كان يعتبر نوعا من الاعتراف السلبى الذى كان من المفروض أن تتلوه أرواح الموتى فى يوم حشرهم ـ كاقرار منهم بأنهم قد أمسكوا عن مخالفة وصايا الله(٢) ، وقد اشتمل هذا الكتاب على أدب وفضائل ، وعلى ما يجب أن تقوله الروح لتحسن الاجابة أمام محكمة الحساب مثل : (لك المجد أيها الاله العظيم ، اله الحق والعدل ،أقف أمامك حتى أرى بهاءك وأقدم حسابى ـ لم أقم بايذاء أى انسان ،ولم أظلم الفقراء ... ولم أكلف نفسا عملا فوق طاقتها .. ولم أهمل واجباتى ـ كما لم أرتكب منكرا يغضب الله .. لم أمنع عن الجياع طعاما ، لم أسبب لاحد ألما أو أسل له دمعا.. لم أغش فى مكيال أو ميزان ، ولم أحرم الرضع لبنهم.

---

(١) شارل فرنر ، الفلسفة اليونانية، مرجع سابق ، ص ٢١.

(٢) اندريه ايمار، جانين أوبواية ، تاريخ الحضارات العام، الشرق واليونان القديمة ، مرجع سابق ،ص ٦٥ ، ٩٧، ٩٦.

ولم أغتصب شيئا يخص انسانا أو يتعلق بالله.. انى طاهر ، طاهـــر ، طاهر) ويقول الكتاب عن الميت الذى تزكيه أعماله التى ليس بها شـــر ولا خطيئة ولا فساد ولا دنس ــ بان أفعاله تشرح الصدور وتسر الالهـــة حيث أخلص فى محبتها ، وأعطى الخبز للجائع ، و"ماء" للعطشان، واللباس لمن كان عاريا. (١)

لقد بدأ اخناتون فلسفته بثورة دينية أخلاقية ليضع حدا للفســـاد والشعوزة بسبب تعدد الالهة (٢) ــ وهجر مدينة طيبة ، لانه اعتبرهـــا نجسة ، وبنى لنفسه عاصمة جديدة أطلق عليها اسم مدينة الله ــ ازدهـرت فيها أفكاره فى فترة قصيرة وكانت مركزا رائعا للأدب والفن ــ وكان دائمـــا يقول (ان الله خالق كل شئ) (٣).

واذا كان كثير من الفلاسفة المصريين القدماء الذين سبقوا اخناتـون مثل بتاح حتب قد عبروا عن فكرة الاله الواحد ــ الا أن اخناتون بايمانـــه العميق قد عبر عن هذه القوة العلوية أصدق تعبير من خلال اطار فلسفـى عن التوحيد Monotheism المرتبط بالأخلاق والفضيلة عمـــا سبقوه ــ مما جعل الفلاسفة الذين أتوا من بعده يعتبرونه أول من أسس فـى تاريخ الانسانية التعبير الصادق لقوة العقيدة الدينية وارتباطها فكريـــا بفلسفة الأخلاق ،كما تعتبر فلسفته عن فكرة وجود الاله الواحد فى كـــل شئ أى الوهية الكون Monotheism المصدر الاساسى للفلسفـة الحلولية Pantheism التى عبر عنها الفيلسوف الهولنـــــدى

---

(١) الأمام محمد أبوزهرة ، مقارنات الاديان ،الديانات القديمة ، مرجـع سابق ص ٢٠.

(٢) د. صوفى أبو طالب ، مبادئ تاريخ القانون ، مرجع سابـــق ، ص ٤١٨.

(٣) اندريه ايمارد ، جانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، الشـــرق واليونان القديمة ، مرجع سابق ص ٩٧ ــ ٩٩.

باروخ سبينوزا [١] Baruch Spinoza حيث رسم للـــه صورة تجمع الكمال كله فى الكون وبأنه امتداد فى خلق كل شئ وفكـــر فى انارة العقول • [٢]

وقد أمر اخناتون بتحطيم جميع التماثيل المقامة لالهة المذاهـــب البدائية التى كانت سائدة فى المجتمع المصرى ، كما أغلق معابد الالهـــة المتعددة ـ الا أن الكهنة قد عارضوه ووقفوا له بالمرصاد [٣] ، وتحالفوا ضده حتى تمكنوا فى النهاية من اسقاطه ـ واستولوا على أمور الحكم فى البلاد [٤] ـ الا أنه بالرغم من ذلك قد وضع اخناتون ميثاقا للحكمة والاخلاق الفاضلـة المستمدة من فكرة التوحيد التى عبر عنها من خلال فلسفته التى لخصهـــا فى قصيدة شعرية اهداها الى بهاء الله،وهى أحد أناشيد العالم الساميـــة حيث قال فيها :

(أيها الاله الحى ، يا مبدع الحياة ،اشراقك جميل فى أفق السماء لقد خلقت كل الاشياء وتسير كل شئ حسب مشيئتك ، انك تربط جميـع الاقطار والامم برباط محبتك ••

•••••••••

تضيئ الارض عندما يبزغ نور فجرك
فتصحو الارض من نومها مبتهجـــة
وترفع جميع المخلوقات أصواتهـــــا

---

(١) باروخ سبينوزا فيلسوف هولندى ولد عام ١٦٣٢ من أب يهـــودى برتغالى ، واضطهده اليهود لما ظهر منه من الريبة فى تعاليـــم اليهودية ـ درس فلسفة ديكارت ثم وضع طريقه جديدة خاصة به ونشر مذهب الحلول ،وقد حكم عليه فلاسفة القرن السابع عشر فى أول الامر بالكفر الا أنهم بعد أن تعمقوا فى مؤلفاته العديدة التى دونها فـى الفلسفة والسياسة تراجعوا عن رأيهم ـ توفى عام١٦٧٧بعـد أن انتشرت فلسفته الحلولية فى الفكر الاوروبى•

(٢) أ•س• رابوبرت ، مبادئ الفلسفة،مرجع سابق ،ص ١٧١•

(٣) د• محمود السقا ، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، مرجع سابـــق ، ص ٢٠٩•

(٤) د• حامد سلطان ،القانون الدولى العام وقت السلم،مرجع سابـــق ، ص ٧٦٧•

بانشودة العبادة لك يامصدر النور والضياء
كل الاشياء الحية على الارض وفى الجو والبحر
تمتلىء جوانبها بلهب مجدك.
أنت خالق النبات فى الارض والبذور فى الارحام
أنت قد غرستها وأخرجتها الى الحياة
عندما يتحرك جنين الطير فى بيضته
تمنحه الانفاس ليكسر قشرتها ويخرج الى ضوء الحياة
كل شىء حى ٠ وأنت حياة العالم

....

كمهن عجائب تصنعها أيها السيد
الاله الواحد الحى لجميع الكون
أنت الاب المحب للناس جميعـا
فى مصر وسوريا وجميع أقطار الارض)

وبهذا نجد أن اخناتون أول من أضاء شعاع الاخوة العالميـة الانسانية التى تضم جميع الشعوب المنتشرة فى جميع أنحاء العالم فـى أسرة واحدة، بأصدق تعبير من خلال فلسفته الدينية ـ كما أنه أول مـن ظهر فى فجر التاريخ الانسانى وأشار بصدق الى حقيقة الانسانية الواحـدة، والاله الواحد الاب الرحيم للجميع ، اله الحب والتسامح والرحمة والعدل (١)

ولذلك يعتبر فلاسفة مصر القديمة أول من سجلوا فى تاريخ البشريـة أصدق تعبير عن فلسفة الايمان والأخلاق ، كما أن فلسفتهم أظهـرت حقيقة هامة هى أن الفكر القديم ما هو الا الجديد بعينه والجديدما هـو الا القديم بعينه ــ وما حكمتنا الحديثة كلها الا تكرار لحكمة الفلاسفـة والمفكرين القدامى ٠

---

(١) د٠ هنرى تـوماس ، أعلام الفلسفة ، مرجع سابق ، ص ١٣ــ ١٥

المبحث الثالث

زرادشـــت

فيلسوف ولد فى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد فى بلاد فـــارس التى كانت فى تلك الفترة مسرحا للاستبداد والوحشية والطغيان [١] ـ وكـان الحاكم يسمى نفسه ملك الملوك وكلمته هى القانون السائد، وكان يمارس كـل أعمال الظلم والفساد ، ويقتل اى فرد من رعيته اذا حاول أن يعترض عليـه أو يعصى أمره أو حتى اذا جروء على مجرد التفكيرفيه تفكيرا معاديا ـ ومثال ذلك أنه حدث يوما أن قام باطلاق سهم أصاب به أحد الشبان الابريـــاء، وقتله فى الحال أمام والده ـ ثم التفت على الفور الى الوالد ينتظر تعليقه ـ فما كان من الرجل المغلوب على أمره الا أن القى بنفسه على الارض وصــاح مهللا ، حياك الله أيها الملك العظيم لسديد رمايتك ـ ومرة أخرى رجـــل فقد أربعة من أولاده الخمسة فى المعركة ، فذهب الى الملك يلتمس اعفـــاء ابنه الخامس من الخدمة فى الجيش حتى يبقى له لكى يساعده فى شئـــون حياته لكبر سنه ، فما كان من الملك الا أن قام بقطع جثة الشاب ابــن الرجل الى جزأين، ووضع كل منها على أحد جانبى الطريق حتى يرى الجنود أثناء سيرهم النتائج العملية لعصيان أحد أفراد الرعية أوامر الملك ـ وأيضـا قد أمرت احدى ملكات فارس بسلخ جلد وصيفتها و هى على قيد الحيـــاة ، من أجل أن تأخذ هذا الجلد وتستخدمه فى تنجيد موطئ قدميهاـ وأمثلـــة عديدة مثل ذلك تشير الى مدى الظلم والطغيان والفساد، وكل الاعمـــــال الوحشية التى كانت عليها بلاد فارس عند مولد الفيلسوف الاخلاقى زرادشت. [٢]

وهناك العديد من الاساطير على أن مولد زرادشت قد صاحبه كثيـر من المعجزات ومن أكثرها ترديدا الرواية التى تقول . بأن اله النور قـــد استمع الى شعب بلاد فارس الذين شكوا اليه ما يعانوه من الظلم والفســاد

---

(١) أندريه ايمارد ، جانين أوبوايه ، تاريخ الحضارات العام، الشـــرق واليونان القديمة ، مرجع سابق ، ص ٢٢٤.

(٢) د. هنرى توماس ، أعلام الفلاسفة، مرجع سابق ص ١٧ـ١٨.

والاستبداد ،فأرسل لهم رجلا قويا هوزرادشت ليكون خلاصهم على يديه[١] ، وطبقا لهذه الرواية قيل :

* ان زرادشت دخل جسد امه وكانت امرأة من سلالة الاشراف على هيئة وميض من البرق - كرمز لرسالته فى الحياة (بأنه سيجلب النور لابناء الظلام) .
* عندما ولد وخرج للحياة انفجر ضاحكا، وولت أرواح الشر التى كانت تحيط به هاربة فى اضطراب وانزعاج - وأنه نتيجة لذلك ازدهرت الطبيعة كلها، وأخذت أوراق الاشجار والرياح والانهار تنشد نشيد المجد العام الجامع .
* عندما كان زرادشت فى مرحلة الطفولة عادت الارواح الشريرة مرة أخرى الالتفاف حوله تريد قتله ، والتخلص منه - ولكن يد الله انقذته منهم من أجل أن ينشر النور والمحبة.[٢]

وعندما بلغ زرادشت سن السابعة من عمره - قام برعايته عدد من الحكماء الذين تلقود باهتمام ،وعلموه سبيل التقوى والفضيلة ، وبعض العلماء الاقدمين يشير بأن الحكماء المصريين والعبرانيين قد اشتركوا فى تربيته وتعليمه - وبأن هناك أدلة واضحة فى فلسفة زرادشت الاخلاقية تشير بأنه قد تأثر بطريقة مباشرة اوغير مباشرة بوحى أفكار بتاح حتب ، واخناتون وجانب كبير من حكماء وفلاسفة الشرق القديم.[٣]

ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره أتم تعليمه وأصبح قادرا ومهيأ لان يأخذ على عاتقه تسطير الحكمة والتدين - فكرس نفسه للخدمات الاجتماعية

---

(١) شارل فرنر ، الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص ٢٥.
(٢) الامام نور الدين اشراقية ، معركة الحياة، مرجع سابق ، ص ٢٢٢
(٣) اندريه ايمارد، جانين أوبوايه ، تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديمة ، مرجع سابق ص ٢٢٤.

الاخلاقية ،فقام بخدمة المرضى ،واطعام الجياع ،وأراح المسنين ،وساعد الفقراء والمحتاجين وذلل العقبات التى كانت تعترض حياة رفاقه فى رحلتهم على الارض — مع استمراره بجد واصرار فى الدراسة والعلم والمعرفة — حتى أتم كل الدراسات العليا لعلم الحياة والتى تقوم على أسس المحبة،والخدمات الانسانية المتبادلة، والتى بها تعمق فى كل أمور الحياة، ومايجب أن يسود من حق وفضيلة بين كل البشر٠ (١)

وعندما أكمل سن الثلاثين تأهب ليكون داعيا الى عبادة الله واستاذا لفلسفة جديدة للاخلاق — فأخذ يجوب العالم متنقلا بين بلاد فارس والهند والصين عشر سنين داعيا الى مبدئه، ولم ييأس بل كان صبورا ومتحمسا فى دعوة الناس الى الهداية والحق — وحيث كان الناس لم يستطيعوا ان يدركوا الله بعقولهم ،دعاهم الى تقديس الشمس فى السماء رمزا لنوره المتلألئ ،و النار فى الارض رمزا لطهارته وصفاء معدنه، واستمر فى كفاحه يدعو الناس الى الايمان ، وعمل الخير واجتناب الشر حتى آمن به ملك الفرس وساعده على نشر دعوته فى الاعتقاد الصادق والقول الطيب والعمل الصالح٠ (٢)

وقد انتشر دينه الاخلاقى فى بلاد فارس بعد فترة قصيرة، وازدهر فى عهد الاسرة الساسانية التى كانت فيها بلاد فارس فى أعظم العهود التى مرت بها فى تاريخها الطويل (٣) حيث كتب لها فى تلك الفترة المجد والعظمة والقوة التى تسيدوا بها العالم بعد تمسكهم الشديد بدين زرادشت الأخلاقى الذى أصبح دين الدولة الاساسى٠ (٤)

---

(١) د٠هنرى توماس ، اعلام الفلسفة ، مرجع سابق ، ص ١٩٠

(٢) الامام نور الدين اشراقية، معركة الحياة، مرجع سابق ، ص ٢٢٢٠

(٣) ول ديورانت ،قصة الحضارة،قيصر والمسيح، مرجع سابق ص ١٥٩

(٤) جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، نقله الى العربية لجنة من الاساتذة الجامعيين، الطبعة الاولى ١٩٥٧، منشورات المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت ، ص ٢٥٠

قام زرادشت بجمع مبادئهوآرائه عن الدين وفلسفة الأخلاق فى كتاب أسماه " أفستا" ، ويعرف حاليا فى عالمنا الحديث باسم" زند ـ افستا" أى" تفسير الحكمة" حيث بين فيه طبيعة الله وواجب الانسان، والغرض من الحياة (١) ـ فعرف طبيعة الله بالاتى: (انه رب الخليقة والحياة والمادة والروح ، وهو المحرك الذى لاشكل له ولاحدود له ولانهاية له فى القانون الابدى ، نموذج الكون الذى يسرى على كل البشرية، وفى كل الازمنة ، وقد حدد شعوبا مختلفة، لازمنة مختلفة، فى أماكن مختلفة ، حتى نتمكن جميعا عن استجلاء طلعته والعمل جميعا معه من مراكز اقامتنا المتباينة ووجهات نظرنا المختلفة ـ كما غرس فى نفوس كل منا حبا خاصا لوطننا ولالهنا، وفى واقع الامر ليس هناك الاوطن واحد واله واحد ولكن أماكن اقامتنا وتفسيراتنا المتنوعة تمكننا من جمع آرائنا المجزأة المبعثرة فى حقيقة واحدة أبدية ، وهذه الحقيقة الابدية هى الدرس الذى علينا أن نتعلمه فى مدرسة الحياة، وكل من ينجح فى تعلم هذا الدرس فهو المؤمن الحق) ٠

كما عبر فى كتابه بأنه لكى نفهم الله ونعرفه بالمنطق والحقيقة يجب أن نتعلم كيف نفهم أخواتنا فى الانسانية، وكيف تكون أخلاقنا الشخصية فى تعاملنا مع كافة الناس ، وبأنه فى طريق هذا الفهم وتلك المعرفة نمر بعدد من علامات الطريق التى تشير الى هدفنا وأهمها (العدالة ، التعاون ، الايمان، السعى وراء الكمال) (٢) .

فالعدالة : هى أول معالم الطريق الى الهدف وتنحصر فى التخلص من الخطأ عن طريق المعرفة الحقة لكل ما هو صواب ، وأن من خلال هذه المعرفة يظهر النور (فان تعرف الحق ٠ تعرف الله) ٠

---

(١) أندريه ايمار ، جانين اوبوايه ، تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديمة ، مرجع سابق ، ص ٢٢٦٠

(٢) د٠ هنرى توماس ، أعلام الفلسفة ، مرجع سابق ، ص ٢١٠

والانسان يستطيع أن يتحد مع الله باتباع الحق الاسمى ، لان معرفة الله تأتى من نور العدالة اللامع الذى تغذيه نار الحق ٠

وقد اهتدى الى هذا المبدأ الفيلسوف الاغريقى أفلاطون وجعله أساس مذهبه الفلسفى فى الأخلاق ، واعترف مع جميع فلاسفة اليونان القدماء بفضل فلسفة الشرق عليهم ، كما كانوا معجبين جدا بفلسفة زرادشت واعتبروه من أحكم رجال العالم القديم٠(١)

التعاون : هو ثانى معالم الطريق الى الله، وقد صرح زرادشت بصدق (بأن حياتنا كلها ما هى الا رحلة جريئة نقوم فيها بخدمة بعضنا بعضا - وأن هذه الرحلة أبدية مادامت هناك حياة وبشر يعيشون فيها ، وليس تعاون البشر فى مرحلة دون أخرى ، أو لاجيال دون أجيال ، انما هو ابدى ، وأن الطريق الى الله هوخدمة الله خلال خدمة اخواتنا فى البشرية - لان التعاون هو رمز الاخاء والمحبة بين البشرية وعلى طريقه تزول كل مايعوق ويعكر صفو الحياة حيث يحقق الخير الدائم ويتغلب ويمحو كل عوامل الشر)(٢)

الايمان : وهو ثالث معالم الطريق المؤدى الى الله ، وقال (ان الرجل المؤمن هو الذى يصل الى أذنيه صوت الله الهامس ، وان الله يغرس فى قلبه الولاء لبيته ولمجتمعه ووطنه والعالم أجمع - فايمان الانسان بالله ما هو الا حبه للجنس البشرى - لان الله يضم جميع البشرية فى حبه الشامل الجامع ، ولكى تظهر ايمانك بالله فان أحسن السبل هى انتقتدى بحبه(٣) ، وهذا الحب(الايمان) يجب أن يكون ايجابيا

---

(١) الامام نور الدين اشراقية، معركة الحياة ، مرجع سابق ، ص ٢٢٣٠

(٢) د٠ هنرى توماس ، اعلام الفلسفة ، مرجع سابق ،ص ٢٣٠

(٣) الامام نور الدين اشراقية ، معركة الحياة، مرجع سابق، ص ٢٢٣٠

لا سلبيا ، أى يجب أن يظهر فى صورة أعمال (سلوك) لا مجرد أفكار أوكلمات) وبذلك أيضا مهد زرادشت الطريق لافلاطون عندما قال أن الحب يؤدى الى العدالة والتعاون ـ كما أوحى أيضا بفكرة القديس بولس التى ظهرت بعد أفلاطون بزمن بعيد عندما قال أنه (لايمكن أن تسود عدالة أو تعاون أو ايمان من غير أن تسود روح المحبة الشاملة.) (١)

<u>السعي الى الكمال</u>: هورابع معالم الطريق الى الله ـ حيث قال زرادشت انها الغرض من الخليقة ،ومعنى الحياة بعد أن تأمل وفكر فى مشكلة هذا العالم الملئ بالعيوب فوصل الى هذا الحل بأن (علينا وحدنا يقع العبء لنجعل من هذه الارض عالما كاملا لانه الغرض الوحيد من حياتنا على الأرض ـ وان الله قد ارادنا ان نحارب الى جانبه لنجعل من هذا العالم شيئا فاضلا نوطد فيه أركان الخير ونبتر فيه الشر) ، وقد شغلت هذه الفكرة انضج العقول الفلسفية عبر القرون منذ وقت زرادشت حتى وليم جيمس وهربرت سبنسر.

وبالاضافة الى ذلك فقد قال زرادشت(بأن الله يوحينا بأن نحول الشر الى الخير.. فكل منا عامل فى بستان الله.والحياة غاية تطمئن لها النفوس ، والله يتعاون معنا لنخرج من الفوضى نظاما ومن القبح جمالا ومن الحرب سلاما ،ونحن جميعا علينا أن نبنى مصيرنا على الخير . وعندما تنتهى مهمتنا فى الحياة سيتم استدعاء كل منا ليقدم حسابا عن عمله فالذين فشلوا فى تأدية واجبهم من أفكار جميلة وكلمات طيبة وأعمال صالحة سينالون عقاباشديدا من الله عما ارتكبوه من ذنوب فى حياتهم) ، وهذا مايشير الى تأثر زرادشت بفلسفة المصريين القدماء. (٢)

من خلال ما عرضه زرادشت فى كتابه ، وما أوضح به من فلسفة فى معالم الطريق المؤدى الى الله ، وما نادى به من مبادئ ـ قد حدد

---

(١) د. هنرى توماس ، أعلام الفلاسفة، مرجع سابق ، ص ٢٤.

(٢) د. هنرى توماس ، أعلام الفلاسفة، المرجع السابق ،ص ٢٥، ٢٦

منهجه فى العقيدة الدينيه بأنها مصدر لكل القيم والمبادىء الاخلاقيـــــد الفاضلة لجميع البشر ـ حيث كانت دعوته هى دعوة الايمان المرتبط بالخلق الحسن والتمسك بالحق والقوة للتغلب على كل عوامل الشر (١) ـ وقـــد اهتدى الفيلسوف السويسرى نيتشه الى كثير من مبادىء زرادشت فى منهجـه الفلسفى لنظرية لاخلاق ـ حيث قام بعرض أفكاره فى كتاب قام بوضعـــه تحت عنوان (هكذا تكلم زرادشت) فى صورة دعوة أخلاقية تحاكـــــى فى اسلوبها كلمات الكتاب المقدس ـ حيث كان نيتشه ابنا لقسيـــــــس بروستانتى تربى على يديه تربية دينية متعمقة ـ أثرت على فلسفته التـــى كانت تسودها التقوى والاستقامة ، وجعلته فنانا عظيما فـــــى الادب، ومؤلفاته أقرب الى الشعر المنثور منها الى الفلسفة . (٢)

واذا كانت فلسفة زرادشت الاخلاقية مستمدة من العقيدة الدينيـة وكانت فى عصره العقائد الدينية مختلفة بين أمم العالم القديم ـ الا أن فلسفته تسربت واعتنقتها شعوب كثيرة فى آسيا الصغرى ، ومناطق عديـدة فى بلاد اليونان. (٣)

---

(١) الامام نور الدين اشراقية ،معركة الحياة، مرجع سابق ،ص٢٢٣.

(٢) برتراند رسل ، حكمة الغرب ، المرجع السابق ،ص ٢٠٥.

(٣) جورج سارتون ، تاريخ العلم ـ ترجمة لفيف من العلماء باشراف لجنة مؤلفة من الدكاترة ـ ابراهيم بيومى مدكور ، ومحمد كامـل حسين ، وقسطنطين رزيق ، ومحمد مصطفى زيادة ،الطبعـــة الثالثة . اكتوبر ١٩٧٨ ، دار المعارف بالقاهرة، ص ٨٩.

وبذلك فدعوة زرادشت وفلسفته الاخلاقية كانت لجميع شعوب العالم وغير مقصورة على شعب معين – حيث اعتبر العالم كله أسرة بشرية واحدة ، ودعاهم بحكمة فلسفته بالتحلى بالأخلاق الفاضلة لكى يسود الخير بين جميع الشعوب ، ويتغلبوا على الشر – وبأن الانسانية كلها وطن واحد لاله واحد ، وبأنه يجب أن يتعاونوا ويتحدوا ليتحقق النور ويقهر الظلام والشر. (١)

---

(١) اندريه ايمارد ،جانين أوبوايه ، تاريخ الحضارات العام، الشرق واليونان القديمة ، مرجع سابق ، ص ٤٩٦.

المبحث الرابـــع

بـــوذا

فيلسوف هندى ولد عام ٥٦٣ قبل الميلاد فى بلدة على حـــــدود نيبال ـ وكان من أسرة نبيلة ، وقيل بأنه كان أميرا ، وشب مترفا فـــى النعيم ويحمل الكثير من الثروة ، وتزوج عندما بلغ التاسعة عشرة من عمـره ، وعندما بلغ سن التاسعة والعشرين انصرف الى الزهد والتأمل وهجر زوجتـــه وخرج هائما فى الاحراش والغابات راغبا عن الدنيا وتاركا ملاذها غير مهتـــم الا بالتأملات ، وأقام على ذلك ست سنوات لا يضعف ولا يلين حتى بلـــغ السادسة والثلاثين من عمره اذ أحس بأن نوعا من المعرفة والعلم والحكمة قد أشرق فى نفسه وقلبه ـ فاتخذ لنفسه مذهبا دينيا دعا اليه بصدق عن طريق القول المقنع والعمل الصالح . تأسست عليه الديانة البوذية وفلسفة الاخـلاق المستمدة منها .(١)

والاسم الحقيقى لبوذا هو(سداثتا) ، واسم أسرته جوتاما ، واســـم والده شاكمين ـ أما بوذا فهولقب له ومعناه (العالم) ـ كما كان يلقـــب أيضا بسكيامونى ومعناه المعتكف(٢) ـ وقد أحيط بوذا بالاساطير العديدة منها الاتى :

- × أن أمه كانت عذراء وتدعى مايا ، وأنها بشرت به فى المنام وفرحـــت بهذه البشرى .
- × أن الاله قد حل فيه وهو فى بطن أمه ، وسبق ولادته معجزات.
- × عند ولادته ظهر نجم اضاء السماء ، ورتلت الملائكة أناشيد المجـــد قائلين . ولد بوذا على الارض كى يعطى الناس المسرات والســـلام، ويرسل النور الى المناطق المظلمة .
- × انه قال لامه بعد ولادته مباشرة انه أعظم الناس جميعا وهدية مـن عند الله للبشر .

---

(١) الامام محمد ابوزهرة ، مقارنات الاديان ،الديانات القديمة، مرجع سابق ص ٥٣.

(٢) د. هنرى توماس ، اعلام الفلاسفة ، مرجع سابق ص ٣٤.

* في طفولته كان يعلم افكار الناس ويحدد تصوراتهم، وعمل عجائب وايات مدهشة لخير الناس وقال: فلتكن الذنوب التي ارتكبت في هذه الدنيا على ليخلص العالم من الخطيئة.

وقد تسببت هذه الاساطير والروايات التي يعجز العقل أن يصدقها من غير بينات قائمة تدل وتؤكد على ما قيل فيها — الى دفع بعض المؤرخين نحو الزعم. بأن بوذا شخصية خرافية لا وجود لها وبأنه عبارة عن أسطورة من أساطير الزمان القديم مثل اسطورة ايزيس وأوزيريس المصرية القديمة في الخير والشر — وبأن البوذية التي اسسها ماهي الا مجموعة تعاليم انتحلت لها هذه الشخصية الخرافية.

الا أن التاريخ يشير بأن بوذا قد وجد، وأن قبره قد قامت بجواره مسلتان، وأنه قد وصل الى تعاليم وحقائق بالتجربة والمقابلات الدقيقة بين الامور والاراء المختلفة، وأنه كان على جانب عظيم من طيبة النفس، وحسن الخلق ولطف المعشر، وأنه انتصر على لذاته انتصارا عظيما — ولكن مع الاعتقاد بوجود بوذا لا يمكن تصديق ما أحيط به من روايات لعدم وجود أي دليل عليها.(١)

لقد عكف بوذا على دراسة واحدة جعلها عماد نظره وقوام بحثه والاساس الذي بنى عليه ديانته ومذهبه الاخلاقي، وهي الدراسة نحو تخفيف ويلات الانسانية، والقضاء على الرذيلة والشقاء في هذه الحياة. والبوذية وان كانت ديانة الا أنها قامت تدعم الأسس الاخلاقية من أجل اصلاح المجتمع، وتخفيف ما فيه من آلام وعناء، والقضاء على كل عوامل الشر ليعم الخير الناس، حيث لاحظ بوذا أن هذه الحياة تحيط بها الأقدار والآلام من كل جانب، والآلام تتبعها أحزان تجعل كل انسان مهموما ومشتتا، وبأن تلك الآلام التي ازدادت في هذه الحياة ترجع الى اللذات والشهوات والانغماس فيها، ولذلك ارتكز في تأصيل مذهبه الأخلاقي على السلوك القويم للانسان

---

(١) الامام محمد ابو زهرة، مقارنات الايان، الديانات القديمة، مرجع سابق، ص ٦٩.

بأن يجاهد ، ويقوى من نفسه حتى لاتتحكم فيه الشهوات واللذات ، أوينغمس فيها ليتجنب الالم والشقاء والرزيلة.[١]

ولذلك يعتبر منهج بوذا فى فلسفة الأخلاق هوالذى مهد الطريق لفلسفة اللذة والالم التى سادت فى أوربا بعد وفاته بأكثر من مائتى سنة بداية من ديوجين فى النصف الثانى للقرن الرابع قبل الميلاد.

وفى مضمون البوذية أن الانسان ولد وفطرته مطبوعة على الخير خالية من كل عوامل الشر، وان سبب الانحراف وارتكاب الرذائل هو الشهوات واللذات، والانغماس فيها — حيث تولد الكراهية والحقد بدلا من المحبة والاخاء — وتجعل الحياة مسمومة ينتشر فيها الفساد والظلم والاستبداد، وبالتالى أرجعت البوذية عوامل الشر الى أصول ثلاثة، أولها: الاستسلام للملاذ والشهوات ، وثانيها الغباء وعدم ادراك الامور على الوجه الصحيح وثالثها سوء النية وعدم صدق النفس .[٢]

وقد أوضح بوذا بأن الخطة المقدسة لعلاجنا واصلاح أخلاق كل الشعوب تعتمد على الحقيقة من وجودنا فى هذه الحياة وتتضمن ثمانية وجوه هى كالاتى :

١ — تعلم كيف تفهم نفسك .
٢ — كن صبورا.
٣ — تحدث فى رفق .
٤ — كن فى فعلك نبيلا.
٥ — اعمل بأمانة.
٦ — ابذل جهدك فى كل حين.
٧ — كن سريع الاستجابة لحاجات الاخرين.
٨ — لتكن نظرتك الى العالم رحيمة.

---

(١) الامام نور الدين اشراقية، معركة الحياة، مرجع سابق ، ص ٢٢٦.

(2) Masaharu Anesaki, History of Japanese Religion with Special Reference to the Social and Morals, op. cit., p. 24.

ولخص بوذا هذه الوجوه الثمانية فى ثلاث كلمات هى(الشفقة والتقوى والمحبة) ـ وكان قوام ايمانه أن الكل عند الله سواء ، وكان يعتبر نفسه معلما، لا مخلصا ، ولم يدع أنه يحمل رسالة من الله وانما قرر أنه عثر على قانون طبيعى يجلب السعادة العظمى لجميع الشعوب، وبأن هذا القانون يعرف فى النهاية بكلمة واحدة هى المحبة، والمقصود بالمحبة هى الحب الشامل ـ الذى يضم بين جنبيه الكون بأكمله ـ أى حب لجميع البشر لا تشوبه شائبة ولا تشوه جماله الكراهية[١] .

وقد ذكر فى كتب البوذية عشر رذائل جاء النهى عنها على صورة وصايا تمكن الشخص الذى يأخذ بها من القدرة التامة على ضبط سلوكه والتحكم التام فى ارادته ليتجنب كل عوامل الشر ـ وأن هذه الوصايا قد وضعها بوذا كأساس للاخلاق الفاضلة وهى كالاتى :

* لا تقتل أحدا، ولا تقض على حياة حى .
* لا تأخذ مالا لايقدم اليك ، فلا تسرق ولا تغتصب .
* لاتكذب ، ولا تقل قولا غير صحيح.
* لا تشرب خمرا، ولاتتناول مسكرا ما.
* لا تزن، ولا تأت أى أمر يتصل بالحياة التناسلية اذا كان محرما.
* لا تأكل طعاما نضج فى غير أوانه.
* لا تتخذ طيبا، ولا تكلل رأسك بالزهر.
* لا ترقص ،ولا تحضر مرقصا ولا حفل غناء.
* لا تقتن فراشا وثيرا، فلا تقتن ارائك فخمة ، ولا وسائد ولاحشايا وثيرة.
* لا تأخذ ذهبا ولافضة.

وهذه الوصايا العشرالتى يجب أن يأخذها من يعتنق البوذية ليروض ارادته على ترك الملاذ، ويجاهد فى الابتعاد عن الشهوات ، قد

---

(١) د. هنرى توماس ، أعلام الفلسفة ، مرجع سابق ، ص ٤٣، ٤٤

أدت نتيجة ما جاء فيها من شدة الى انقسام البوذيين الى قسمين :

القسم الاول وهو البوذيون الدينيون الذين أخذوا بالوصايا العشر كلها ولم يحيدون عنها فى حياتهم.

القسم الثانى وهم البوذيون المدنيون الذين لم يطبقوا الوصايا العشر كلها التى أخذ بها الدينيون ، بل أخذوا طريقا وسطا ليس فيه افراط ولاشدة — حيث اكتفوا بأن يطبقوا من النواهى العشر الخمسة الاولى فقط وهى القتل والسكر والسرقة والكذب والزنا ،ولم يطبقوا النواهى الاخرى الباقية واعتبروها خاصة بالمتدينين.(١)

ان أبلغ ما أحدثته البوذية من مبادىء انسانية هو الغاؤها نظام الطبقات فى المجتمع واعتبار البشر سواسية ولا توجد بينهم أى فروق ، ومن جملة تعاليمها أنه اذاأصاب الانسان كارثة أومرض أو فقر فان ذلك يدل على أنه قد ارتكب اثاما ، وأن ما حدث له جزاء عليها.(٢)

واذا كانت فلسفة البوذية الاخلاقية قد تولدت فى الهند الا أنها انتقلت لروعتها وجمالها فى تربية وتهذيب الخلق على الفضيلة والمحبة الشاملة الى كل الحضارات الاسيوية — كما انتشرت وتغلغلت فى حضارة الاغريق ثم حضارة الرومان بالاضافة الى أن بهاء فلسفة البوذية مازال له قيمته فى العصور الحديثة، وتأثر به فلاسفة كثيرون أمثال القديس فرانسيس بيكون ، باروخ سبينوزا ، ووالت وتمان ، والبرت شفيتزر — كما يلاحظ أن أكثر معتنقى البوذية حاليا فى الهند والصين واليابان.(٣)

---

(١) الامام محمد أبو زهرة ، مقارنات الاديان ،الديانات القديمة ، مرجع سابق ص ٧٦.

(2) Masaharu Anesaki, History of Japanese Religion with Special Reference to the Social and Morals, op. cit., p. 25.

(٣) جورج سارتون ، تاريخ العلم ، مرجع سابق ، ص ٩٢.

والبونية كمذهب دينى أخلاقى غير مقصورة على المجتمع الهندى فقط ــ بل ان بونا قد اعتبرها دعوة لكل شعوب المجتمع الانسانى كله، ونـــادى بالوحدة الانسانية، وتصور أن الانسانية أخوة ،وأن هذه الاخوة ترفـــرف على الجنس البشرى فى جميع بقاع الارض(١) ، واكد من خلال تعاليمه بـأن هدفها الاسمى المحبة والسلام لجميع شعوب العالم ليبدد الشر وتضئ الظلمة على أسس ثابتة نابعة من الوحدة الانسانية، والتعاون على الخير قولا وعملا، وبأن الفضيلة الحقة هى أن يطلب الانسان الحقيقة مجردة، وأن الدين الحق هو طهارة القلوب.(٢)

واذا كانت فلسفة البونية فى الاخلاق قد نبعت من العقيدة الدينيـة ــ فان هذه العقيدة هى التى جعلتها تستقر بقوة وروعة فى قلب كـــل معتنقيها ،وفى ذلك يقول جورج سارتون فى كتابه عن تاريخ العلم ــ ان ارتباط الديانة البونية بالأخلاق كان ارتباطا وثيقا، ولايمكن التعبير عن احدهمـــا دون الاخرى ، وأنه فى ذات مرة قد التقى حكيم هندى بسقراط فى أثينـا وسأله (انك تدعو نفسك فيلسوفا ، فماذا تشتغل ، فأجاب سقراط بأنـــه يدرس الشؤون البشرية . فأخذ الحكيم الهندى يضحك قائلا : انه يستحيـــل للمرء أن يفهم الشؤون البشرية، مالم يدرك الشؤون الالهية أولا).(٣)

ويتضح من هذا اللقاء الاتى :

* مدى التقابل بين نمط التفكير السقراطى ، والهندى ــ بأن الأول سطحى ،والثانى متعمق فى فلسفة الكون .
* الدلالة القاطعة على الاتصال الحقيقى بين الفلاسفة اليونانييـــن ، والفلاسفة الهنود أوالشرقيين عموما ومنهم فلاسفة مصر القدماء.

---

(١) اندريه ايمارد ،جانين أوبوايه ، تاريخ الحضارات العام ، الشـــرق واليونان القديمة ، مرجع سابق ، ص ٥٧١.

(٢) الامام نور الدين اشراقية ، معركة الحياة، مرجع سابق ،ص ٤٢٧

(٣) جورج سارتون ، تاريخ العلم ، مرجع سابق ، ص ٧١.

× ان هذا اللقاء قد أشار باليقين الذى لايقبل الشك بأن الفلسفة البونية تربط بين العقيدة الدينية والاخلاق فى أسلوب متكامل لتفهم الحياة البشرية، وان الكل عند الله سواء - وان الدين الحق هو طهارة القلوب والاخوة الجامعة(سلام لكل شئ حى).

لقد خدم بوذا بفلسفته الانسانية كلها، وعاش مخلصا ومجاهدا لنشر مبادئه السامية نحوحقيقة الوجود الانسانى التى درسها، وتعلم منها معظم شعوب العالم – بعد ترجمتها الى لغات عديدة، حيث استمر فى دعوته مدة اربعين عاما بدون طل ولا كلل ، وحبه للعالم أجمع قد جعل منه رائد الديمقراطية فى التاريخ القديم – وكان ينظر الى جميع الناس على أنهم ملوك ويعتبر نفسه عبدا لهم بمحض ارادته.(١)

وعندما وصل الى سن الثمانين من عمره بلغت حياته نهايتها ، ووقع فريسة للمرض ، وطلب من تلاميذه ان يضعوه على فراش من أوراق الشجر – ثم تلفظ لفظة أخيرة وهو فى سكرات الموت ، وقال(لسنا جميعا الا قطرات ماء تنساب تجاه محيط السلام الأبدى – فلنحاول جادين لكى ننال هذا السلام).(٢)

---

(١) اندريه ايمارد ، جانين اوبوايه ، تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديمة ، مرجع سابق ص ٦٢٧.

(٢) د. هنرى توماس ،أعلام الفلسفة ، مرجع سابق ص ٤٦.

المبحث الخامس

كونفوشيـــوس

فيلسوف ولد فى الصين فى مملكة لو (اقليم شانتونج الحالى) فـــى عام ٥٥١ قبل الميلاد ـ وقد ترددت أساطير عديدة عنه منها :

* أن مجيئة الى العالم قد اعلنته أرواح السماء التى طيبت شـــــذى الهواء حول مهده.
* بعد ولادته قام بعمل بعض المعجزات التى لايستطيع أى مولـــود عادى القيام بها. (١)
* لما ظهرت عليه هذه الاعراض المبكرة للحياة العظيمة المبجلـــة أطلق عليه والده ، اسم(كونج ــ فو ــ تسى) ــ وهومايقابـــل كونفوشيوس بالصينية ، والذى معناه (السيد الحكيم كونج).

تربى كونفوشيوس فى أسرة عظيمة حيث كان والده يعمل قائدا فـــى الجيش ثم تولى بعد ذلك حكم احدى المدن فى الصين ، الا أنه توفى عندمـا بلغ كونفوشيوس سن الثالثة، وحدث اضطراب فى أحوال أسرته الماليـــة ــ الامر الذى أدى الى اضطرار كونفوشيوس أن يعمل فى سن مبكر أثناء تلقيـه علومه فى المدرسة لكى يساعد فى تخفيف الاعباء المالية عن أسرته واعالـــة أمه ــ وقد تعلم العزف المتقن على الناى ، وأصبح عازفا بارعا مما جعـــل فلسفته يهتدى بهاحكماء الصين من بعده فى سهولة ويسر، ويرسخ فـــى أذهانهم بأن الموسيقى فن يهذب النفس ، وتسير جنبا الى جنب مـــع الفلسفة. (٢)

تعلم آراء الاقدمين فى العقيدة الدينية وفلسفة الشرق عموما ، ودرس التاريخ والشعر وآداب اللباقة والحكمة وتفهمها جيدا ــ بعد أن أخذها بعمق، ثم أصبح مدرسا رحالا نا أخلاق نبيلة ، وسلطان تام على نفسه، وقـــال (أعيش الآن فى الشمال والجنوب ، والشرق والغرب).

---

(١) الامام محمد ابوزهرة ،مقارنات الاديان ، مرجع سابق ،ص ٨٤.

(٢) د. هنرى توماس ، اعلام الفلسفة ،مرجع سابق ،ص ٥٣.

تأثر بكافة الظروف التى أحيط بها من تعليم وأسرة عظيمة وفقر شديد حيث كونت فى شخصه نزوعا الى معالى الأمور من غير استعلاء وغـرور -- فشعوره بمجد أسرته وشرفها وكرمها جعله يتجه الى العزة وكرامة النفـس، ويتجافى السفاف - وشعوره بالفقر والحد من الرزق الذى تعرض له بعـد وفاة والده ولد فى نفسه الشخص العطوف الرقيق بالضعفاء، كما دفعه الى التواضع الذى جعله يقبل على محبة كل الناس ـ وبذلك كان فيلسوفا وحكيما عظيما تعلو نفسه عن الدنايا من غير كبرياء(١) ـ حيث كون من خلال جميع هذه العوامل فلسفته الاخلاقية التى اهتدى اليها من تعاليمه الدينية، وأصبح فيلسوف المادية والواقع الروحى ـ دعا الى الانسجام الكلى مع الطبيعة وقال :

(ان الانسان روح وجسد ـ يحوى شهوات ورغبات وطاقة حيوية ـ وعليه أن يتغلب على تلك الشهوات والرغبات ويتجنب ويبتعد عن كل عوامل الشر ويجنح نحو السلام والخير، ومن الخير أن نتفاعل مع الطبيعـة ـ فاذا استطعنا أن نوفق بين غرائزنا والطبيعة أصبحنا فى مرتبة معادلة للسماء والأرض ، وذلك لان جميع الاشياء حية وتعمرها الروح فيجب الاطمئنان الى الحياة بوداعة، ومحاولة العيش فيها بسعادة ـ واذا فهمنا الحياة فلا نخاف شيئا ، لان كل شئ حسن فى هذا العالم ـ انالطغاة ليموتون ، والخونة لينتحرون) .(٢)

أشار كونفوسيوش فى فلسفته بأن الانسان الاسمى يرعى أربعة مبادئ هى(العلم الغزير، السلوك الحسن ، الطبيعة السمحة ـ العزيمة القوية) أى أن يكون الانسانعلى دراية كاملة بالعلم والمعرفة، وحسن السلوك فى معاملة الاخرين ، وطيب القلب ورحيما وعطوفا على الفقراء والمحتاجين وذا عزيمة قوية يقدر بها على مواجهة الامور، ويتصدى لكل ظلم وفساد

---

(١) اندريهايمارد، جانين اوبوايه، تاريخ الحضارات العام، الشرق واليونان القديمة ، مرجع سابق ص ٥٧٨ ، ٥٨١

(٢) الامام نور الدين اشراقية ، معركة الحياة، مرجع سابق، ص ٢٢٧

وأن يعم المحبة لكل الجنس البشرى ـ وقد قال كونفوسيوش عن المحبة ٠
(أحبوا أصدقاءكم ، وابعدوا عن الكراهية ، فالكراهية لا تولد الا كراهية، والمحبة يمكن أن تتغلب على الكراهية كما تتغلب المياه على النار) (١)

وعندما طلب من كونفوشيوس ان يعرف العدالة ، قال (اليست العدالة وتبادل المثل بالمثل شيئا واحدا ؟) ٠

ثم عرف بعد ذلك تبادل المعاملة بالقاعدة الذهبية التى نادى بها الفلاسفة الشرقيون الاوائل ٠ وهى (لاتفعل بالاخرين ما لا تحب أن يفعله الاخرون بك) ٠ ثم قام بوضع مجموعة من القواعد ليتعود عليها الناس فى حب النظام والطاعة والتعامل مع الاخرين ، وأطلق على هذه القواعد اسم قانون الأخلاق مثل :

× كن وفيا لنفسك ومنصفا لجارك ٠
× اذا اعتدت أن تمد يد الكرم الى الآخرين فانك ستدخر من الكرم رأس مال لنفسك ٠
× لا تفسد الآخرين بفرط حبك ، ولا تقض عليهم بفرط كراهيتك، وخير الأمور هى الوسط بين الطرفين ٠

كما وضح فى هذا القانون أسلوب الاحترام الذى ينبغى أن يؤديه الافراد عندما يحيون بعضهم بعضا ، وسلوك الاطفال نحو والديهم ، بالاضافة الى أنه قد تضمن اعظم أسس الديمقراطية السليمة والمحبة السامية ٠ (٢)

وقد أثر القانون الأخلاقى الذى وضعه كونفوشيوس ـ تأثيرا عظيما على الشعب الصينى بأجمعه ، وجعله كواحد من اعظم الشعوب فى العالم التى تتحلى بالاخلاق والحكمة ـ كما أعطاهم أيضا شعورا قويا بكرامة

---

(١) د٠ هنرى توماس ، اعلام الفلاسفة ، مرجع سابق ، ص ٦١ ٠
(٢) د٠ هنرى توماس ، اعلام الفلاسفة ، المرجع السابق ، ص ٦٢ ٠

النفس واحترام الذات ، واحساساانسانيا فياضا بحب البشرية جمعاء، واحترام وتقدير كل انسان فى العالم.[(١)]

وكان كونفوشيوس لايقوم بتدريس وتلقين فلسفته الى تلاميذه فقط ، وانما تعهد أيضا بمهمة أخرى من اصعب المهام فى العالم ، وهى تلقين فلسفته للملوك [(٢)] ، واصبح مرشدا عاما لهم معتقدا أن صلاح الحاكم ، يؤدى الى اصلاح الناس ، وأن حسن قوامته وعدله على الناس يتبعه صلاحهم حيث كان يرى أن السياسة الحكيمة للحاكم هى أسس تهذيب الرعية ، وتدفعهم نحو التعاون والاخاء حتى تقوم المحبة بين الناس مقام القانون — وكان يقول للحكام والامراء وهو يطوف البلاد لارشادهم (السياسة هى الاصلاح ، فان جعلت صلاح نفسك اسوة حسنة لرعيتك فمن الذى يجترئ على الفساد) [(٣)].

وأول حاكم تلقى هذه النصائح والفلسفة من كونفوشيوس هو أمير ولاية (تشى) الذى أراد تطبيق فلسفة الاخلاق الفاضلة فى الحكم وسأل كونفوشيوس عن الطريقة المثلى التى يجبَ أن يحكم بها ملك بلاده — فأجابة كونفوشيوس بكل صدق وعزيمة قوية قائلا (أن يعطى الفرصة للجميع من الامير الى المتسول لكى يعيشوا فى تآلف — ثم يسعى لازالة كل الاسباب التي تخلف المتسولين فى المجتمع —لان تكامل الفرد ينبع من العدالة الاجتماعية — والعيش فى بلد تسوده العدالة يمكن الناس من ارتداء الشرف والمجد فى تواضع ويتحملوا أحزانهم برباطة جأش) [(٤)] — ومن هذا المبدأ أصبحت قوانين الأخلاق التى وضعها كونفوشيوس عند الصينيين لا تنفصل عن السياسة —

---

(١) جورج سارتون ، تاريخ العلم ، مرجع سابق ص ٩٧.

(٢) الامام نورالدين اشراقية ، معركة الحياة، مرجع سابق، ص ٢٢٨

(٣) الامام محمد أبوزهرة ، مقارنات الاديان ، الديانات القديمة ، مرجع سابق ، ص ٩٣.

(٤) د. هنرى توماس ، اعلام الفلاسفة ، مرجع سابق ص ٥٦.

فأفضل الناس هم المتحلون بالخلق الحسن ، وأنهم يعتبرون أقـــــدم السياسيين ، وأحسن من يديرون نظم الحكم ـ حيث اعتبروا أن الحاكـــم لايمكن أن يحمل الناس على الجد والاخلاص ، والصدق ، والمحبة ـ مـن غير ان يحمل نفسه عليها ـ كما اعتقدوا نظرا لارتباط الدين بالاخـــلاق عندهم ، وجعل الأول مصدرا للثانى ـ بأن الحاكم الذى لا يســـوس الناس ، ونفسه بالأخلاق القويمة ينزل عليه غضب السماء وتنهال عليه كـــل الكوارث ، فلا تسامح فى قانون الأخلاق ولو كان الاثم ملكا .

وقال أيضا كونفوشيوس وهو يجوب البلاد داعيا الى صلاح أحـــوال الناس والمجتمع (ان تحلى الانسان بالفضيلة هوالذى يجعله مؤتلفا مـــع نظام السموات والارض ـ فالعالم يسير بنظام وقوانين محكمة ـ والنزوع الـــى الخير والفضيلة طبيعة فطرية فى الانسان ، فليست الفطرة الانسانيــــة مياله الى الشر نزاعه اليه ، بل هى خيرة ، ولكن للارادة المستقلة التـــى منحها الله للانسان مع غريزة الشهوة ،واللذات يمكن أن تشد الانسان فـــى حالة عدم التغلب عليها عن داعى الفطرة ونداء الطبيعة الى الشر ويفعل مـا ينزل به غضب السماء.. واذا كانت النفس فى أصلها خيرة والشر انحـــراف عن الفطرة فان الانسان الفاضل من يعمل على احياء الفضيلة بتنميـــــة قوى النفس الخيرة لان الفضيلة لاتطلب لما فيها من لذات ، ولكن تطلب لانها كمال الانسان وأساس فطرته السليمة، والتى بها يتم التآلف والانسجام بين الانسان والعالم ـ فمن يتمسك بالفضيلة سهل عليه كل صعب وهـــان عليه كل شاق ـ لان رياضة النفس على الفضيلة تجعل الشخص يتحمـــل الفقر والغنى ـ فان افتقر لم يهن ، وان غنى لم يطغ ولم يأشر ـ فــــذو الفضيلة مستريح فى فضيلته حريص عليها ـ والغير فاضل لايستطيع أن يبقـى فى الفقر أوغنى الثروة طويلا) .(١)

هذه هى فلسفة كونفوشيوس الاخلاقية الذى عاش داعيا لها بصـــدق وأمانة وجاهد جهادا عظيما لتلقينها لكل الناس مهما كانت مستوياتهم ، وهـــو

---

(١) الامام محمد أبو زهرة، مقارنات الاديان ، الديانات القديمة، مرجـــع سابق ، ص ٩٤ ، ٩٩.

يجوب البلاد رحالا حاكما ذاته غير متأثر بالفقر الذى عاناه ، ولابالجوع الذى أنهك قواه — بالرغم أنه قد عين فى مناصب ادارية عظيمة الا أنه كان يتركهـا أو يعزف عنها تمسكا بمبادئه نحو الحق والفضيلة — وقد اعتنق الشعـــــب الصينى بأجمعه فلسفته الاخلاقية ، وتحلى بها — ثم تسربت بقوتها الى كـل شعوب القارة الاسيوية — كما انتقلت بجاذبيتها الى القارة الاوروبية بدءً مـن حضارة الاغريق ثم الرومان ، وتتلمذ عليها فلاسفة كثيرون فى العصور الوسطى والحديثة. (١)

لقد كانت فلسفة كونفوشيوس فى الاخلاق عالمية لكل البشر وأكد ذلك بقوله :

(فى الوقت الذى يتقرر فيه العدالة — فان العالم كله يصيـــــر جمهورية .. فيها يخاطب الناس بعضهم بعضا باخلاص ، ويظللهم الســـلام الشامل وتكبت مكائد الانانية — أما اللصوص والنهابون والخونة فسوف لاتبتلى بهم الارض بعد ذلك ، وما الهدف من تعاليمى الا روءية ما أسميه التآلـــف العظيم بين الجنس البشرى). (٢)

من هذا المنطلق عاش كونفوشيوس يدعو بفلسفته للأخلاق حتى بلـغ الثانية والسبعين عـاما من عمره — فمات وهو مغمور بعد أن ضرب المثل والقدوة العظيمة — حيث فضل حياة التشرد والفقر على المناصب العليـــا مع الملوك الذين لم يتبعوا نصائحه ، ليكافح من أجل الحقيقة والمبـــادىء التى وقف يتحدى من منطلقها بالقول (اذا كانت السماء ترعانى فما يهمنـــى بغض الرجل القوى) (٣) .. ولم يبدأ العالم الاعتراف بحكمته وعظمتها الابعد وفاته — كما عاد مجدا ، واسمه يدوى فى كل أرجاء الصين ، رمزا للأخلاق الفاضلة وقوة المبدأ والثبات فى وجه الباطل ، حتى الملوك عادوا يمجدونـــــه

---

(١) جورج سارتون ، تاريخ العلم ، مرجع سابق ص ٨٩.

(٢) د. هنرى توماس ، اعلام الفلاسفة ، مرجع سابق ص ٦٢.

(٣) الامام نور الدين اشراقية ، معركة الحياة ، مرجع سابق، ص ٢٢٨

واعتبروه ملك الملوك ، وأفضل منهم – الا أنه بعد أن سلم الشعب الصينى باجمعه بعظمة كونفوشيوس ، بالغوا فيها لحبهم الشديد له – وفى النهاية قدسوه – ثم رفعوه بعد ذلك الى مصاف الالهة.(١)

هؤلاء هم من أعلام فلاسفة الشرق الكثيرين الذين أناروا الظلام، وأعطوا الحكمة الكاملة لمعنى الحياة الانسانية وبلوروا الأسس والمبادئ العظيمة لقيم الأخلاق التى رسخت فى القلوب – بعد أن أبهرت العالم، وكل العلماء والفلاسفة الذين درسوها وتعمقوا فيها وتأكدوا من كمالها وروعتها.

ويقول العالم اللبنانى المسلم الامام نورالدين اشراقية فى كتابه (معركة الحياة) وهو يتضمن الثورة الفكرية العالمية ، (ان فلاسفة الشرق العظماء هؤلاء ، لايبعد أن يكون لهم صلة النبوة بالسماء لاخبارهم بذلك مع صدقهم بأقوالهم وأفعالهم ،وقوله تعالى فى سورة النحل (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) ، وفى سورة النساء (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) ، وفى سورة الرعد ((وما كان لرسول أن يأتى باية الا باذن الله)) (٢).

كما يقول فضيلة الأمام محمد أبو زهرة فى ذلك أيضا بأنه (ليس عندنا نحن المسلمين من مانع يمنع من قبول هذا – بل أنا أقرب الى اعتقاده، لان الله سبحانه وتعالى ،وهو الحكيم العليم والرؤوف الرحيم، لا يترك أولئك الجماعات الكبيرة من غير هاد يهديهم ،ولا رسول مبين يدعوهم بدعاية الله سبحانه وتعالى ، وانكنا لانعرف رسولا من هؤلاء الرسل ولا عصرا لرسول ، وليس جهلنا هذا نافيا للوقوع ، ولا دليلا على عدم الحصول – لان عدم المعرفة لايستلزم عدم الوقوع – ولم يبين القرآن الكريم كل الرسل السابقين . فقد قال تعالى ((لقد أرسلنا رسلا من قبلك

---

(١) اندريه ايمارد، جانين اوبواية ، تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديمة ، مرجع سابق ، ص ٢٠٢.

(٢) الامام نور الدين اشراقية ، معركة الحياة، مرجع سابق ،ص ٢٢٩.

منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) ولذلك نحن لانستطيـــــع أن نقف موقف السلب وأن كان ليس لدينا خير يقيني بالرسل الذين بعثـوا فيهم) (١)

وأني اتفق مع هذا الاتجاه ، وأقبله اقتناعا لان فلاسفة الشـــــرق العظماء السابق ذكرهم أتوا بالحكمة والمبادىء السامية من أجل الحق واصلاح احوال الناس ، وكانت فلسفتهم متكاملة لامور الحياة الإنسانية بصدق وأمانة ـ كما لم يتعارض فيلسوف مع آخر فيما دعا اليه من مبادىء وقيم لكل البشريـــة والتى تتطابق فى بعض جوانبها الاخلاقية مع رسالة كل رسول من الرســـــل المعروفين لدينا، بالرغم أن هؤلاء الفلاسفة القدماء قد سموا الله أســـــماء عديدة مثل (الصانع ، والعقل الاول ،وواجب الوجود، وسبب الاســـــباب وغير ذلك من الاسماء التى اصطلحوا عليها) (٢) ـ فالله سبحانه وتعالــــــى كما سبق أن أشرنا لم يترك شعبا ولا أمة بدون أن يبعث فيهم هاديا ومبشـرا ومنذرا ليبعدهم عن الضلال، ويهديهم الى الحق وحسن الصواب ـ حتـــــى لا يحتجوا يوم الحساب بعدم علمهم أو عدم ابلاغهم ـ قال تعالى((ولقـــد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هــــدى ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبــــــة المكذبين)) (٣) وبالاضافة الى الايات السابقة التى جاءت فى القرآن الكريم ، والسابق الاشارة اليها ـ يتأكد لنا بالدليل والبرهان بأن الرسل والانبيـــاء كثيرون ، وأن الله العزيز القادر لم يترك شعبا أو أمة دون أن يبعـــث فيهم رسولا يبلغهم رسالته عز وجل ،وبالتالى ليس هنك ما يمنع أن يكـــون هؤلاء الفلاسفة كانت لهم صلة النبوة بالسماء.

---

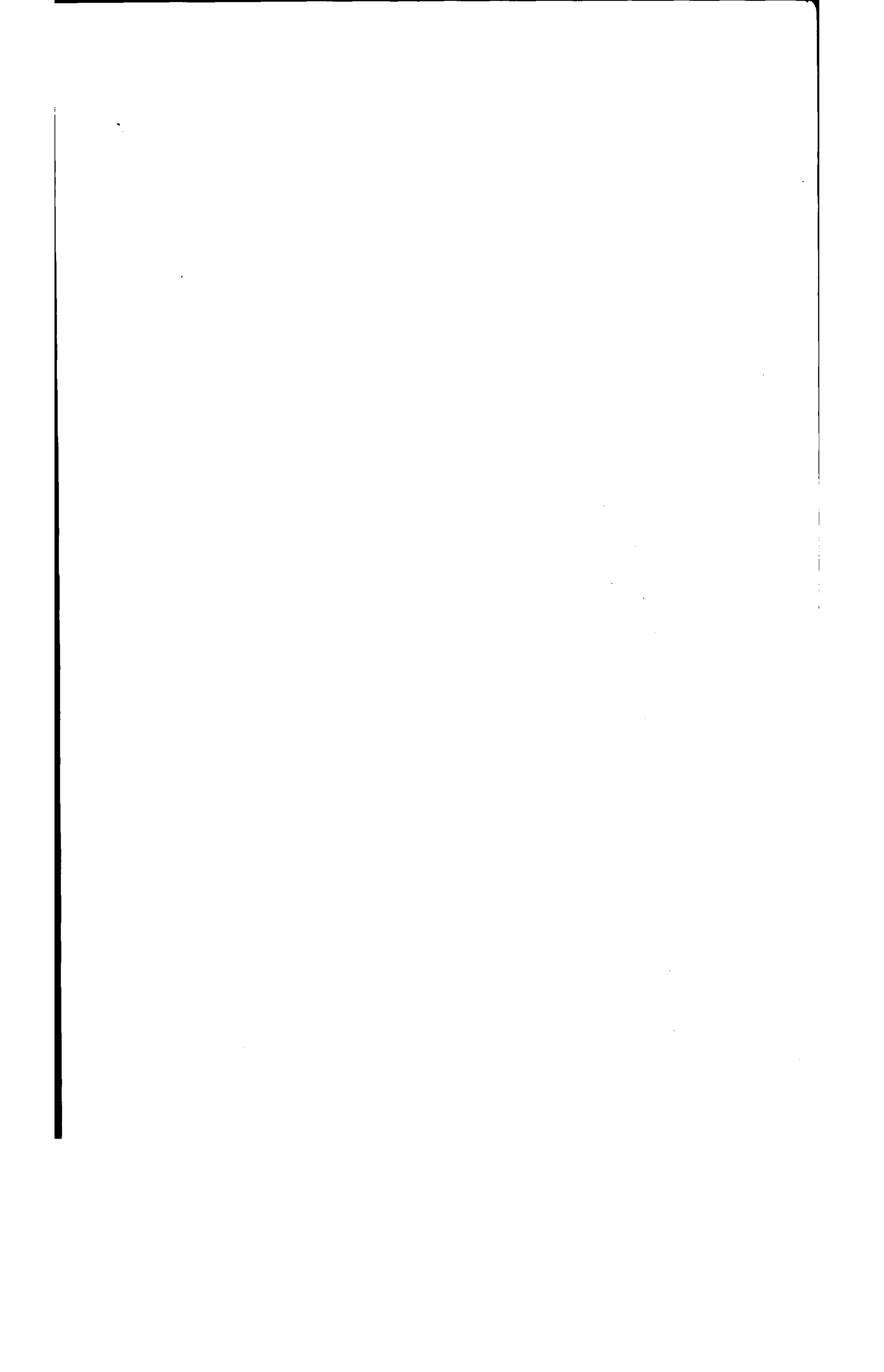
(١) الامام ، محمد أبو زهرة ، مقارنات الاديان ،الديانات القديمـــة، مرجع سابق ص ٨١.

(٢) الشيخ محمد الغزالى ، عقيدة المسلم ، مرجع سابق ، ص ٢١.

(٣) سورة النحل ، آية ٣٦.

وفى ختام ذلك نقول هذا هو الشرق ، فيه نبع نور الانبيـــاء ، وظهرت فيه فلسفة الحكمة والأخلاق ،واكتملت فى بقاعه صورة الحياة الانسانية الصالحة ــ وهذه حكمة يعلمها المولى عز وجل صاحب القدرة وواهب الحياة لكل ما فى الكون ـ ولعل فلاسفة وعلماء العالم يهتدون الى هذه الحكمة التى لاتقبل الشك ولا التأويل لان الشرق أضئ فيه نور الإنسانية بكل الاديان السماوية ، وتأسست فيه كل القيم الأخلاقية، واكتملت تحت سمائه نور الهدى للحياة البشرية ــ وأن اجتهادى فى ذلك هو أن الايمان والحكمة ظهرا فى هذا الكون كما تظهر الشمس التى تسطع وتنشر نورها من الشرق ـ وأصدق تعبير لى هو ما اهتدى اليه الشاعر المصرى العظيم محمود حسن اسماعيل فى قصيدته(دعاء الشرق) التى أشار فيها بكل المعانى الصادقة عن خلود بلاد الشرق ،وعبر عن حقيقة هذه الحكمة بالاتى :

(يا سماء الشرق طوفى بالضيـاء ... وانشرى شمسك فى كل سمـاء
ذكرينى واذكرى أيامـه ... بهدى الحق ونور الانبيـاء
كانت الدنيا ظلامـا حولـه ... وهو يهدى بخطاه الحائريـن)



الفصل الثانى

فلسفة الأخلاق الغربية

لقد تعددت النظريات الأخلاقية فى الفلسفة العربية حيث ظهــــرت فى الفكر الاوروبى القديم والحديث اتجاهات مختلفة فى تأصيل الأخلاق ــ الا أنه رغم كثرتها وتباينها يمكن أن تنطوى وتندرج تحت ثلاثة مذاهب أو مدارس أساسية ــ تشمل كل منها مجموعة من الفلاسفة على مر العصور الثلاثة [١] هى :

١ ــ مذهب الواجبية :

ويتضمن فلسفة الرواقيين فى القرن الثالث قبل الميلاد ــ وفلسفـــة (امانويل كانت) فى القرن الثامن عشر الميلادى .

٢ ــ مذهب الغايــة :

ويشمل فلسفة اللذة والالم للفيلسوف (ارستبس) فى القرن الرابـــع قبل الميلاد ، وفلسفة المنفعة الشخصية للفيلسوف ابيقور فى القرن الثالـــث قبل الميلاد ــ ثم فلسفة المنفعة العامة للفيلسوف جرمى بنتام فى القرنيـــن الثامن عشر والتاسع عشر الميلادى .

٣ ــ مذهب الكمــال :

ويحتوى على ما عرضه الفيلسوف هربرت سبنسر فى تأصيل الأخـــلاق خلال القرن التاسع عشر الميلادى .

واذا كان مذهب الواجبية ومذهب الغاية تتعدد فيهما النظريـــات الفلسفية فى الأخلاق الا أن نظريات كل مذهب تنتهج قاعدة واحـــدة ــ والقاعدة الواحدة قد يأخذ بها علماء وفلاسفة متعددون فى القديم والحديـث ، وأن كانوا قد يختلفون فى أسلوب العرض والتفاصيل ، فيذهب كل واحد منهم

---

(١) د. أبو بكر محمد ذكرى ، تيسير فلسفة الاخلاق، مرجع سابـق ، ص ١٨ .

بنظرية أو بفلسفة خاصة تميز شخصيته ،الا أنه لاينحرف عن اتجاه القاعـدة العامة من حيث الجوهر العام ــ وهذا ما سوف نتبينه من خلال عرضنـــا للمذاهب الثلاثة • بأن النظريات الفلسفية لكل مذهب تختلف فقط فـــى الجزئيات وأسلوب العرض ،وتتفق فى المضمون والمبدأ العام لجوهر القاعـدة العامة التى يتأسس عليها المذهب •

المبحث الاول

مذهب الواجبيـــــة

وجميع فلسفة هذا المذهب فى الأخلاق لا تؤمن بباعث علـــى العمل الأخلاقى سوى الرغبة فى عمل الواجب لذات الواجب ـ أما اذا كـــان الباعث على العمل أو القصد منه أمرا آخر غير الواجب فان العمل أو السلوك يكون شرا، وهى على النحو التالى :

أولا : فلسفة الرواقيين :

ومؤسس هذه النظرية الفلسفية هو الفيلسوف الاغريقى زينـــون المولود بمدينة كيتيوم بقبرص عام ٣٦٠ قبل الميلاد ـ والذى انتقل الـــى أثينا عام ٣١٢ قبل الميلاد بعد تعرضه لحزن عميق من المصائب والنكبات التى حلت بأسرته على أثر غرق أموال أبيه كلها فى البحر ـ وأثناء وجـوده فى أثينا واليأس يحيط به ، استمع الى بعض المشتغلين بالفلسفة، ومنهـم اقراطيس تلميذ ديوجين الذى عزم أن يعيش مثل الكلب وأسس بالتالى مدرسة سميت بالمدرسة الكلبية Cynicism (١).

وقد قرر زينون بعد احتكاكه بمختلف المدارس الفلسفية فى أثينـــا أن يكون تابعا من اتباع المدرسة الكلبية العجيبة التى كانت تعلم أتباعهـــا أدق وأقسى تعاليم الزهد ، وطـرح كل لذائذ الحياة ، والبعد عن مظاهـــر

---

(١) اندريه ايمارد، جانين أوبوايه ، تاريخ الحضارات العام ، الشـــرق واليونان القديمة ، مرجع سابق ، ص ٥١٢.

الترف[١] ــ فكانوا يعيشون بثيابهم ممزقة وشعرهم ولحيتهم كثيفة حيث نزلوا بالحياة الى أبسط الامور ــ وقد رأى زينون بعينه معتنقى الفلسفة الكلبية ، وهم يرضون العيش بما لاترضى به الكلاب حيث انتهجوا نهجا تقشفيا خالصا، وفسروا الخيرية للاخلاق والمثاليات بأنها العزوف عن ملاذ الحياة[٢] ــ وسمع زينون عن عجائب ديوجين بأنه جعل بيته فى الدنيا برميلا من الخشب يدحرجه اينما رحل ، فاذا تعب تمدد داخله ونام نوما هنيئا ــ واذا ما استيقظ يبحث عن طعامه من حشائش الارض أو ما يتبقى من طعام الاخرين ، وفي كل انتقالاته كان يطلب ممن يعلمهم أن يفهموا حكمة الحياة وقيمتها.[٣]

يقال أن الأسكندر الأكبر قد قام بزيارته وطلب منه أن يترك هذه الحياة الخشنة وينضم الى بلاطه ـالأأن ديوجين سأل الاسكندر وهو ممدد أمام برميله (ما هى أعظم امنياتك فى الوقت الحاضر؟) وأجابه الاسكندر بالقول : اخضاع بلاد اليونان .. فعاد وسأله (وبعد ذلك؟) فقال له: اخضاع آسيا.. ثم سأله (وبعد ذلك ؟) فقال : اخضاع العالم..فسأله أيضا (وبعد ذلك؟) فقال الاسكندر: أهدأ وأستريح وأمتع نفسى .. فضحك ديوجين وقال له ــ ولم اذن لا تهدأ وتستريح وتمتع نفسك الان ــ فشكره الاسكندر على نصيحته ثم سأله (هل من عون أقدمه لك ؟) فأجابه ديوجين (نعم ، يمكنك ان ترحل ، لان ظلك يحجب عنى الشمس ، وانى أرغب فى الاسترخاء ومتعة النفس) ، فضحك الاسكندر وانصرف عنه وهو يقول (لو لم أكن الاسكندر لفضلت أن أكون ديوجين).[٤]

---

(١) شارل فرنر ،الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ص ٢١٥ ومابعدها.

(٢) ول ديورانت ، قصة الحضارة، قيصر والمسيح ،مرجع سابق ص ٨٠

(٣) د. أبو بكر محمد ذكرى ، تيسير فلسفة الاخلاق ، مرجع سابق ص ٢٤.

(٤) د. هنرى توماس ،أعلام الفلاسفة ، مرجع سابق ، ص ١٢٩

وقد وجد زينون فى رجال المدرسة الكلبية ما يسليه عن المصائب التى نزلت بأسرته فتتلمذ على أيديهم وعرف حكمة الحياة منهم ولما اكتملت معارفه أنشأ مدرسة فى مدينة رواق بأثينا والتى كانت من قبل مجتمعا للشعراء — ومن اسم هذه المدنية عرف المنضمون لمدرسة زينون باسم الرواقيين. (١)

وكان عصر قيام المدرسة الرواقية من أسوأ عصور التاريخ الاغريقى. حيث قهرت أثينا وانتهكت حرماتها، وأصبحت بعد مجدها السالف فريسة الغزاة الطامعين (الاسبارطيين او المقدونيين)، وأصبح الحق وكل مايسانده من فلسفات وقيم ومبادىء غائباوالقوة تسيطر على كل شىء (٢) — كما ظهرت فى تلك الفترة فلسفة السوفسطائيين (×) المدمرة التى تنكر كل شىء ولاتعترف الا بشىء واحد هو المنفعة الفردية فقط — وترتب على ذلك انكارهم لفكرة الخير المطلق والعدالة (٣) كما قالوا بأن الاديان وضعت خداعا. (٤)

ولذلك جاهد أنصار المدرسة الرواقية فى التشدد على التمسك بالأخلاق لاصلاح أحوال الناس ومقاومة الفساد، والفلسفات الاباحية والفوضوية - وكان سلوكهم يتمثل فى الوصايا الاربعة المشهورة لهم وهى (أحتمل — كف بنفسك — ساير الطبيعة — اطع العقل) — واخذوا يكبدون أنفسهم أشق العيش

---

(١) اندريه ايمارد، جانين اوبوايه، تاريخ الحضارات العام، الشرق واليونان القديمة، مرجع سابق ص ٥٣١.

(٢) د. ابو بكر محمد ذكرى، تيسير فلسفة الاخلاق، مرجع سابق ص٣٤

(×) طائفة من الفلاسفة سموا انفسهم سوفست، ولكن سلوكهم جعل المجتمع غير مفهوم الكلمة وقائم على المغالطة والتضليل وتزييف الحقائق، انتشروا بفلسفتهم المدمرة فى القرن الخامس قبل الميلاد، وتحداهم سقراط وتمكن من قهرهم وهدم مبادئهم.

(٣) الامام نورالدين اشراقية، معركة الحياة، مرجع سابق، ص٢٣٠.

(٤) د. محمد عبدالمنعم القيعى، عقيدة المسلمين، مرجع سابق، ص ٩٨.

والحرمان من لذائذ الحياة ،ويتعرضون لاشد الالام بلا مبالاة ويوصـــون بالاستهانة بالموت تحقيقا لفضيلة الشجاعة والزهد، حتى كانوا يقدمون علـــى الانتحار الذى قدم عليه استاذهم زينون بعد أن عاش نحو مائة عام صحيـــح البدن فتوفى منتحرا عام ٢٦٤ قبل الميلاد ، وغير مستبعد أن تكون عادة الانتحار المعروفة باسم(الهيراكيرى)فى اليابان حتى اليوم مقتبسة من تعاليـم الفلسفة الرواقية.[١]

ومن أشهر فلاسفة مدرسة الرواقيين سنكا (٤ ق.م — ٦٥ م) الـــذى استطاع أن يعبر بصدق عن فلسفة هذه المدرسة فى العصر الرومانى[٢] — حيث كان يعيش فى بلاط نيرون Neron الامبراطور الطاغية[×] وهو متمسك بمبادىء الرواقية ، وكان لا يهيب شره ولا ظلمه بل كـــان يكبح جماحه بما يمليه عليه من نصائح وتعاليم — حتى تذمر منه والصق بـــه بعض التهم[٣] — وخيره فى ميته يختارها — فاختار سنكا قطع شريانـــه الاكبر، وبالفعل أمر نيرون بقطع شريانه وأخذ الدم يتفجر منه وهو ثابـــت ومحتمل لايتألم حتى مات — وأيضا أبيكتيتوس الذى جاء بعد سنكا وكان مـــن أشهر معلمى الرواقية فى القرن الأول الميلادى وكان عبدا رقيقا يتذوق العذاب

---

(١) د. عثمان أمين ،الفلسفة الرواقية، القاهرة ١٩٤٥، مكتبة النهضـة المصرية، ص ٥ ومابعدها.

(٢) د. بطرس بطرس غالى، د. محمود خيرى عيسى ، المدخل فى علم السياسة ،الطبعة الاولى ١٩٥٩ ،القاهرة — مكتبة الانجلو المصرية- ص ١٠٦.

(×) نيرون امبراطور رومانى كان مشهورا بالقسوة والاستبداد الى حد الغرابة وكان ظلمه لامثيل له فى العصور السابقة واللاحقة لحكمه ، حكـــم الامبراطورية الرومانية ما بين عام ٥٤ — عام ٥٨ ميلادية.

(٣) شارل فرنر ،الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ، ص ٢٢٦.

وهو يتحمل –ويقول مؤرخو الفلسفة الرواقية عنه أن سيده قام قبل عتقه بتعذيبه بأشد ألوان العذاب ، وكان يتحمل – وفى أحد المرات قام بلوى ساقه الى ابعد حدود القسوة – وقال له فى هدوء ستكسر ساقى ، ولما كسرت بالفعل قال بنفس الهدوء كسرت ساقى ، وقد قلت لك ذلك من قبل . (١)

وقد اعتنق الفلسفة الرواقية الامبراطور الرومانى العادل (مارك أوريل)– وكان من خير اساتذة التعاليم الرواقية رغم منصبه الهام – كما كان من أحسن الواجبين تعبيرا عن فكرة الواجب ،وكان يقول (على الانسان اذا عمل خيرا أن يمضى فى عمل خير آخر –ولايعنينا حديث الناس فينا مادمنا على الخير) (٢) – كما قام شيشرون نابغة الرومان واعظم فقهاء عصره بشرح الفلسفة الرواقية بعناية تامة حيث اعجب بها ، ولكن دون أن ينحاز لها (٣)

ومبادئ الفلسفة الرواقية تتلخص فى الآتى :

١ – الانسان جزء من الطبيعة – ولذلك يجب عليه أن يعيش وفق مبادئها التى تتطلب البساطة والابتعاد عن المظاهر الكاذبة واللذات مراعيا التقشف والزهد فى حياته متحليا بالفضائل الاربعة المعروفة (الحكمة – العفة – الشجاعة – العدالة) (٤)

٢ – مقياس الخير والشر هو السلوك الذى يرتكبه الانسان حسب ما يدفعه اليه العقل ويتفق مع الطبيعة – والعقل وحده هو صاحب الحكم فيما هو خير موافق للطبيعة ، وماهو شر مخالف لها. (٥)

---

(١) د.أبو بكر محمد ذكرى ،تيسير فلسفة الاخلاق، مرجع سابق،ص ٣٢

(٢) د. أحمد سويلم العمرى ،أصول العلاقات السياسية الدولية، مرجع سابق ، ص ٤٧.

(٣) ول ديورانت ، قصة الحضارة ،قيصر والمسيح ، مرجع سابق ص٥١

(٤) شارل فرنر ،الفلسفة اليونانية، مرجع سابق ،ص ٢٢٨.

(٥) د. عثمان أمين،الفلسفة الرواقية، مرجع سابق ص ١٩ ومابعدها.

٣ – الخير دائما هو الفضيلة وحدها ، والفضيلة هى الخير كله، ولا وسط فى الفضيلة ، فالانسان اما فاضل تام الفضيلة واما شرير، ولا وسط بينهما لان الحكمة لا تتجزأ. (١)

٤ – الانسانية اخوة بين الجميع ،والعالم كله أمة واحدة، لافرق بين رجل ورجل ،ومهما كان من محاسن الاستقلال واستغناء المرء بنفسه ، فلابد من روابط اجتماعية تدعو الى المساعدة والتعاون ، وقوانين الاجتماع كلها هى أيضا من نظام الطبيعة الكلية. (٢)

هذه هى مبادئ فلسفة الأخلاق عند الرواقيين التى يتضح منها مدى التأثر العام بفلسفة المدرسة الكلبية – وقد وجه لفلسفة الرواقيين نقد شديد من جانب العديد من العلماء وفلاسفة الاخلاق وعلى رأسهم بوسيه فيلسوف القرن السابع عشر، وبسكال -على أساس أنها تغالى فى مبادئها وتخالف ما هو مستقر فى أمور الدنيا، وذلك على النحو التالى :

* أن مبادئها وأفكارها جاهلية ، ولا تستند شريعتها فى الأخلاق على أى عقيدة سماوية تؤمن بالله سبحانه وتعالى ،وتجعله مبدأ كل شئ وغايته -لان الرواقيين يعتمدون على مجهودهم الذاتى فقط فى محاربة الشر والاثم ،وقهر دوافع الغريزة دون رجاء الله عز وجل ولا انتظارا لجزائه -كما انها تغالى فى استقلالها الذاتى الى حد الاستغناء عن الله جل شأنه. (٣)

* اذا كانت الفلسفة الرواقية تقوم على أساس مناصرة الفضيلة ومحاربة الشر والرذيلة – الا أنها غالت فى محاربة الغرائز والشهوات كما ذهبت بغلوها فى الزهد والتحرر الى حد التعالى عن طلب الجزاء حتى من يد الله سبحانه وتعالى. (٤)

---

(١) د. أبو بكر محمد زكرى، تيسير فلسفة الاخلاق، مرجع سابق، ص ٣٤.

(٢) شارل فرنر ،الفلسفة اليونانية، مرجع سابق ، ص ٢٣٠.

(٣) د. أبو بكر محمد ذكرى ،تيسير فلسفة الاخلاق، مرجع سابق ص٤٠

(٤) ول ديورانت ، قصة الحضارة (قيصر والمسيح) مرجع سابق ص٨٢

* المغالاه فى قوه الاعتماد على النفس دون أى مساعدة خارجية لامر الله سبحانه وتعالى ، ولا من الناس يخالف الطبيعة البشرية ، وحكمة وجود الانسانية فى هذا الكون — وقد أدى ذلك التزمت الى خروج بعض معتنقى هذه الفلسفة عن مبادئ الرواقية، وانكبوا على الشهوات علنا، وفسدت بالتالى فلسفتهم — لان الغلو الشديد يؤدى الى النقيض — ولذلك وصف مونتسكيو الرواقيين بأنهم أشبه بنبات يخرج فى جهات من الارض لم ترها السماء.(١)

* اتهم كثير من العلماء والفلاسفة الرواقيين بعدم الأحساس ، وبعدم الإنسانية — حيث أنهم لايتأثرون ولاينفعلون لشئ — و يواجهونا الاحداث حتى اعنفها برباطة جأش وهدوء يبلغ الى حد عدم الاكتراث ولذلك قيل أنهم ليست لديهم عاطفة ولا شعور انسانى.(٢)

* الشرائع السماوية الثلاث وعلى الاخص الشريعة الاسلامية وان كانت تعجب بشجاعة الرواقية فى سبيل الحق والفضيلة — الا أنها تخالفها فى أمور كثيرة حيث أن الرواقية حرمت العديد مما أحله الله من الطيبات وتعالت فى عمل الخير عن مستوى الانسانية — تعاليا يكبدها اقسى الجهود ، ويزهدها حتى فيما عند الله ، بل وصل بهم الحد الى اهدار الحياة تحديا للموت.(٣)

ثانيا : فلسفة كانت

أما نويل كانت فيلسوف المانى ولد عام١٧٢٤م ، فى مدينة كونجزبرج احدى مدن بروسيا الشرقية ، وعاش فيها وقضى حياته كلها بها، ولم يبارحها حتىوفاته عام ١٨٠٤م — وهو من زعماء الفلسفة العالمية.(٤)

(١) د. سعد محمد الشناوى مدى الاخذ بنظرية المصالح المرسلة، مرجع سابق ، ص ٣٦٠.

(٢) اندويه ايمارد، جانين اوبوايه، تاريخ الحضارات العام . الشرق واليونان القديمة ،مرجع سابق ص ٥٣٤.

(٣) د. محمد حسين هيكل ،حياة محمد .مرجع سابق ص ٥٤٤ وما بعدها.

(٤) امانويل كانت ، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، مرجع سابق (المقدمه بقلم د. عبد الغفار مكاوى).

نشأ في أسرة فقيرة ، وحرم من رعاية أمه في سن الثالثة عشرة، وانصرف عن تعاليم الدين الذى كان يمارسه ارضاء لرغبة أمه . واتجه الى الفلسفة ، والعلوم الاجتماعية – حتى تخرج من جامعة المدينة (كونجزبرج) ثم عمل بها، واشتهر بالعلم والدقة العملية – حتى أصبح استاذا للمنطق وما بعد الطبيعة عام ١٧٧٠م (١) – وشغله الكدح في العلم والفلسفة عن حياة الاسرة فلم يتزوج حيث لم ينصرف عن الحياة الفكرية لحظة في حياته ، وعندما مات حزن عليه أهل بلدته الذين كانوا فخورين به ، وشيعوا جنازته في موكب مهيب ، وهو يعتبر شرف عظيم لم يحظ به أي فيلسوف. (٢)

وكان أسلوب تربيته الصارم في أمور الدين الذى طبعته عليه أمه في حياته الاولى ، وما عاناه من فقر في دراسته . سببا في اتجاه فلسفته الى مذهب الواجبية الدقيق المتشدد، والذى اعتبر من خلال فلسفته أعجب وأغرب مذهب عرفته العصور القديمة والحديثة – فقد كان (كانت) عجبا في الطبيعة كإنما جرد من الغرائز ، والمشاعر والعواطف ، اصبحت حياته آلية أو آلة حيه لاتخرج عن سيرها الدقيق المحدد (٣) – حيث كان يعمل لكل خطوة حسابا بلا أدنى تسامح، فنومه، واستيقاظه ، وأفطاره ، وخروجه الى الجامعة ،وعودته لمنزله ، وغذاؤه ، وراحته وعمله ، ورياضة المشى التى كان يمارسها ،وعودته منها – بمواعيد دقيقة على مؤشر ساعته – حتى قيل أن الناس كانوا في كل مكان يشاهدونه فيه يضبطون ساعتهم على حركات مروره أمامهم. (٤)

وبهذه الدقة عاش (كانت) حياته وهو معتكف على تعاليم الفلسفة ستين عاما من البحث الهادىء المتزن الدقيق حتى أخرج للناس أقوى وأعمق

---

(١) د. أبو بكر محمد ذكرى ، تيسير فلسفة الاخلاق، مرجع سابق ، ص ٤٣.

(٢) د. هنرى توماس ، أعلام الفلاسفة ، مرجع سابق ص ١٥٥.

(٣) د. بارودى ، المشكلة الاخلاقية والفكر المعاصر، مرجع سابق ص ٢٢٥

(٤) د. هنرى توماس ،أعلام الفلاسفة ، مرجع سابق ص ١٥٧.

فلسفة واجبية فى القرن الثامن عشر.

واذا كانت معنى الواجبية عند الرواقيين هى التزام الطريق الذى يأمر به العقل وحده ، وعدم اشراك أى دافع آخر معه من لذة أو منفعة.ولزوم الخضوع لكل ما يحيط بالانسان من اقدار دون سخط أو تذمر - فان معنى الواجبية عند (كانت) يظهر فى اطار آخر، حيث لم يرض عن ربط الأخلاق بالعقل النظرى ، ولا بالقضاء والقدر كما فعل الرواقيون ، ولا بأى مبدأ خارج عن الانسان - لانه كان يرى أن الانسان أهل لان يتمثل فيه القانون الأخلاقى كاملا وأنه يستطيع أن يهتدى الى الخير المطلق عن طريق ضميره.(١)

والقانون الاخلاقى فى فلسفة(كانت) هو كالآتى :

* شريعة الأخلاق تبنى على العقل العملى وحده لانه النور الفطرى الذى وهب بأصل الفطرة لكل انسان ، وهو لايخطئ ولايضل أبدا طريق الارشاد الى الخير مهما اشتد الظلام، و تكاثفت المغريات ، ودوافع الشر فهو فى كل زمان ومكان،ويعرف فى لغة الاخلاقيين بالضمير(٢).

* القانون الاخلاقى ينبع من ضميرنا ، ومن ارادتنا الحرة ومن حرصهما على الخير وكراهيتها للشر - وهذا القانون يصدر أوامره بالخير المطلق من كل قيد أوشرط أوعله أو غاية وإنما تبعا للواجب فقط(٣) ، وان الارادة فى ذلك القانون لو تجردت من وحى اللذات والشهوات وسعت لتحقيق الخير فقط - حققت للقانون الاخلاقى كماله وارتفعت بالتالى الى الاوج ، وأصبحت جديرة باسم

---

(١) امانويل كانت، تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق، مرجع سابق ص ٩ وما بعدها.

(٢) د. بارودى ، المشكلة الأخلاقية والفكر المعاصر، مرجع سابق ص ٢٢٥

(٣) د. هنرى توماس ، أعلام الفلاسفة ، مرجع سابق ص ٢٨٣.

الارادة الخيرة — لان الخير ليس فى الأفعال بل فى الارادة التى تؤديها.[1]

* ان الحرية وخلود النفس ، ووجود الله هى فروض ضرورية للعقل العملى.[2]

* الواجب لايمكن رده الى أى شئ آخر لانه لايؤسسه شئ- بل هو الذى يؤسس كل فعل أخلاقى ، والواجب منزه عن الأغراض فهو لا يسعى الى النعيم أو السعادة بل هو ضرورة أداء الفعل احتراما للقانون الاخلاقى لا ابتغاء مصلحة أو هدف أو سعادة -لان الاخلاق تقوم أساسا على الطهارة القلبية والنية الحسنة — والارادة تعبر عن الخير الدائم المطابق العمل الاخلاقى للواجب وحده — والشر هو مخالفة الواجب او اشراك أى باعث آخر.[3]

وقد تأثر بهذه الفلسفة فلاسفة كثيرون منهم فيخته[x] ، Fichte تلميذ كانت الذى ولد عام ١٧٦٢م فى سكسونيا ودرس اللاهوت وفقه اللغة

---

(١) د. أبو بكر محمد ذكرى ، تيسير فلسفة الاخلاق، مرجع سابق ص ٤٧.

(٢) برتراند رسل ، حكمة الغرب ، مرجع سابق ، ص ١٦٥.

(٣) أمانويل كانت ، تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ص ٧٦ ، وما بعدها.

(x) عمل جوهان جوتليب فيخته بالتدريس فى سويسرا — وفى عام١٧٧٢م نشر كتابه(نقد الالهام) الذى كان سببا فى بلوغه شهرة عظيمة — عين على اثرها استاذا للفلسفة بجامعة ايينا — وفى عام ١٨٠٠ م أصدر مؤلفا بعنوان(نظرية السلم) بلور فيه أفكاره الفلسفية التى كانت فى حقيقتها تطويرا مثاليا لنظرية(كانت) — ثم عين بعد ذلك رئيس جامعة برلين عام ١٨١٠م حتى توفى عام ١٨١٤م.

والفلسفة فى فينا وليبزج ، وتعلق بفلسفة أستاذه (كانت) وقرر بأن الارادة من صميم الطبيعة الانسانية – وان بالانسان حرية وضميرا يرسم له نظاما مثاليا ويجعله يجاهد لتحقيق الغايات الكبرى – كما قال اننا نشعر باننا جزء من النظام المثالى كلما عملنا بناء على دواع عقلية فقط – وقد دافع فيخته بفلسفته عن الثورة الفرنسية دفاعا مجيدا حيث نظر الى مبادئها من منطلق اعتبارات ومقاييس عقلية.[1]

وقد وجه بعض العلماء والفلاسفة ورجال الدين نقدا شديدا لفلسفة (كانت) فى الاخلاق وذلك على النحو التالى :

× أنه جعل الشخصية الانسانية مستقلة تماما فى دائرة الاخلاق وغير محتاجة الى العقل النظرى ، ولا الى تعاليم الأديان، ولا الى تجارب الانسانية لانه أدعى أن الانسان مجهز بأصله الفطرى بضياء لا يخبو ولا يضل يصدر أوامره الواجبية المطلقة الى الارادة الخيرة فتلبى نداءه الى الخير حره مختارة – وهذا الزعم غير صحيح لان الناس جميعا يشعرون بضعفهم الانسانى أمام دوافع الشر، ولا ملجأ لهم الا هدى الرسالات والاديان ، ونور العقل النظرى كما يسميه (كانت) وتعاليم الحكماء – ولو كان الناس كما يدعى كانت مجهزين بهذا العقل العملى ، ما كانوا فى كل مشكلة يهرعون الى العلماء ورجال الدين يسألون ويتفقهون[2] – ولهذا السبب اعتبرت الحكومة البروسية آراء(كانت) بها تعارض فى الدين، وبالتالى قررت أن تفرض حظرا رسميا على بعض كتاباته وآرائه الفلسفية نحو الأخلاق الواجبية.[3]

× ان ما زعمه(كانت) بأن العقل النظرى لا يصلح أساسا للأخلاق ولايمكن أن يتخذ مبدأ للحق والهدى – هو نفس المنهاج الذى زعمه السوفسطائيون أعداء النور والحق والخير والإنسانية – اذ أنكروا

---

(١) د. سعد محمد الشناوى ،مدى الاخذ بنظرية المصالح المرسلة (الجزء الثانى) مرجع سابق ، ص ٢١.

(٢) د. أبو بكر محمد زكرى ، تيسير فلسفة الاخلاق، مرجع سابق ، ص ٥٠.

(٣) برتراند رسل ، حكمة الغرب ، مرجع سابق ، ص ١٦٨.

الحق والاخلاق والفضيلة والعدالة، وزعموا بأن القوة وحدها هى كل شئ ــ وبذلك فما ذهب اليه كانت كان ضربة للعقل يعيد بـــه فكر فلسفة السوفسطائية المدمرة من جديد فى العصور الحديثة بعـد أن قام سقراط بهدمها لفساد فلسفتها الأخلاقية.

× انتهج كانت بفلسفته الواجبية للأخلاق نهجا مخالفا للحقيقة والمنطق ــ حيث جعل الأخلاق مصدرا واصلا للعقيدة الدينية على أســاس أن الانسان مجهز بأصل فطرى لايضل ولا ينحرف عن فعل الخيــر ــ وقد ثبت فشل هذا الاتجاه لانه يخالف الطبيعة الانسانية ذاتهـــا التى تتغذى بالقيم الأخلاقية من عند الله سبحانه وتعالى، وأيـــد ذلك كل علماء الدين وفلاسفة الأخلاق كما سبق وأن تبينا فـــى الفصل الثانى.(١)

زعم كانت بأن العمل الانسانى نحو الخير يجب أن يكون بدافـــع الواجب وحده دون اشراك أى دافع آخر حتى العاطفة لان ذلك يؤدى الـى جعل العمل الانسانى شرا أو باطلا ــ هواتجاه خاطئ ومخالف لطبيعـــة النفس البشرية، لان هناك عاطفة الام مع ابنها ، أو عاطفة الأبن مـع الأم مثلا تعتبر من أهم عوامل الخير، وأوصى الله سبحانه وتعالى بالوالديـــن فقال تعالى((ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه ... الخ)) كمـــا أن العاطفة ركن هام فى شخصية الانسان ولايمكن نزعها منه ولا يتجرد مـــن انسانيته ــ ولذلك قد سخر الشاعر الالمانى (شيلر) من واجبية (كانــت) وأضحك الناس عندما قال (انا أحب أصدقائى وأخدمهم ، فلست خيـــرا ، ولا فاضلا)(٢). وأيضا يقول برتراند رسل فى كتابه حكمة الغرب انه طبقا لفلسفة (كانت) (انا كنت أحب جارى وأشعر تبعا لذلك بالميل الـــى مساعدته فى وقت الشدة فانه عندئذ لايكون لهذا الفعل القيمة الأخلاقيـــة

---

(١) د. أبو بكر محمد ذكرى ، تيسير فلسفة الأخلاق، مرجع سابق ، ص ٥١.

(٢) د. محمد بيصار، العقيدة والاخلاق، مرجع سابق ، ص ٥٣.

(٣) د. أبو بكر محمد ذكرى ، تيسير فلسفة الأخلاق، مرجع سابق ، ص ٥٢.

للقيام بعمل طيب مماثل تجاه شخص سمح مكروه تماما ، وبذلك تتحـــول المسألة كلها الى مجموعة من الواجبات الثقيلة غير السارة) [١] .

الا أنه بالرغم من هذا النقد لفلسفة (كانت) فى الأخلاق ــ الأنه لا يقلل من قدره فى خدمة الانسانية حيث قد ركز على ضرورة أن يكـــون سلوكنا نابعا من المبادىء الانسانية الصحيحة ــ كما نادى بالعديد من الاراء فى السلام والتعاون الدولى التى عرضها فى كتاب بعنوان (السلام الدائـــم) نشره عام ١٧٩٥م ــ ومن أفكاره الرئيسية التى اقترحها فى هذا الكتـــاب قيام حكومة نيابية واتحاد عالمى بين الدول ، وهما فكرتان مطلوبتان لخدمة الانسانية ولكل شعوب العالم فى عصرنا الحالى [٢] ــ كما أنه يعد من أفضل فلاسفة العالم الذين ربطوا بين القانون ، والأخلاق ، وبين الحرية والأخلاق حيث قرر (أن لم توجد الحرية لا توجد أخلاق ــ فلا أخلاق بغيـــر حرية) . [٣]

المبحث الثانى

مذهب الغايـــة

اذا كان مذهب الواجب يدعو الى العمل الاخلاقى بدافع الواجب فقـط دون النظر الى لذة أو منفعة أوغاية ، فان مذهب الغاية لايعتبر العمـــل أخلاقيا الا اذا كان من ورائه غاية محددة تتحقق من خلال هذا العمل [٤] ــ وهذه الغاية قد تكون لذة وقتية ،أو منفعة شخصية ، أومنفعة عامة ــ وجميع فلسفة هذا المذهب مادية حيث لايعتقد أنصاره بوجود خير أو شـر أدبى ، لان الخير والشر عندهم جميعا ماديات [٥] ، ويتضمن هذا المذهـب

---

(١) برتراند رسل ،حكمة الغرب ، مرجع سابق ، ص ١٦٧، ١٦٩.

(٢) أمانويـل كانت(مشروع للسلام الدائم) ترجمة الدكتور عثمان أميـــن القاهرة ١٩٤٥ ، ص ٢٦.

(٣) أ٠س٠ زابوبرت ، مبادىء الفلسفة، مرجع سابق ، ص ١٢١

(٤) د٠ بارودى ، المشكلة الاخلاقية والفكر المعاصر، مرجع سابـــق ، ص ٧٢.

(٥) د٠ عبد الرحمن بدوى ،الاخلاق النظرية، مرجع سابق ،ص٢٤١.

ثلاثة نظريات فلسفية كالاتى :

أولا : نظرية اللذة والالم :

ويطلق عليها المدرسة القورينائية Cyrenaics وأول من أسسها هو الفيلسوف اليونانى أرستبس القورينائى[١] Aristippe de cyrene الذى ولد عام ٤٣٥ ق٠م – وتوفى عام ٣٦٦ق٠م وهو من تلاميذ سقراط الا أنه ذهب بفلسفته الى القول بأن للنفس حالتين ، ألم ولذة ،و بأن الالم حركة عنيفة موءنية، واللذة حركة حلوة ملائمة[٢] – وبأن قوة الشهوة فى الانسان عند تحصيله اللذات وتجنبه الالام أقوى من قوة الضمير – اذ أن الضمير قد يضعف غالبا عن قمع الشهوات ،والشهوة هى القوة المحركة لافعال الانسان ، وتحصيل اللذة هى القاعدة التى يجرى عليها السلوك الأنسانى ويخضع لها[٣] – كما يذهب أرستبس الى القول بأن (تحصيل اللذة ضرورة نفسية والاعتراف بذلك يكون خيرا من نكرانه لان باعترافنا ندرك حقيقة كياننا ، ونستطيع أن نتحكم فى حدة ميولنا بالتنظيم والمراوضة – حتى نتحول الىفعل الخير على قدر المستطاع ، وذلك أفضل من أن نمضى بالقول بأن حكم الضمير كاف للتهذيب – لان تحصيل اللذات وتجنب الالام أقوى من قوة الضمير الذى قد يضعف غالبا عن قمع الشهوات – واللذات لا تختلف عن بعضها البعض من حيث الكم ، ولايجوز التفريق بين لذة وأخرى على أساس العقل ، لان كل اللذات يتحقق منها غاية واحدة، وهى خير حتى لو نجم عنها أشد الامور المجلبة للعار، لان الفعل فقط هو العار اما اللذة الناجمة عنه فهى فى ذاتها فضيلة وخير، واللذة التى ينجم عنها الخير هى اللذة الوقتية – أما

---

(١) ولدأرستبس فى مدينة قورينا Cyrene احدى مدن برقة فى شمال افريقيا، ورحل الى اثينا وتتلمذ على يد سقراط، وهو أول من قرر النظرية الاخلاقية القائلة بأن تحصيل اللذة والخلو من الالم هما الغاية الوحيدة فى الحياة، وان الفضائل عدت فضائل لما فيها من اللذة ، وتسمى فلسفته بالقورينائية نسبة الى قورينا مسقط رأسه٠

(٢) اندريه ايماود، جانين أوبوايه ،تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديمة ، مرجع سابق ص ٣٨٥

(٣) د٠اسماعيل مظهر فلسفة اللذة والالم، القاهرة١٩٣٧، مكتبة النهضة المصرية، ص ٣١ ومابعدها٠

الالم فهو مضاد لكل لذة وشر فى ذاته) [١].

وينحصر المثل الاعلى فى الحياة عند أرستبس فى كون الانسان سيدا للاشياء لا عبدا لها — ومن هذا المنطلق قرر بأنه(يجب علينا أن نملك لذائذنا من غير أن نجعلها تملكنا، والاستمتاع بكل لذة يتيسر للانسان الظفر بها، دون أن يمسك على واحد فى سبيل أكبر منها خير وفضيلة — على انه يجب أن تكون حاضرة ومستشعرة، أما اللذة الماضية التى نتذكرها أو اللذة المستقبلة التى نتوقعها فهى ليست لذة على الأطلاق) [٢].

وقد وجه نقد عنيف لهذه المدرسة على أساس الآتى:

١ — ان الانسان فى كثير من الاحيان قد انتصر بضميره على الشهوات، وتحمل كثيرا من مشاق الحياة دون أن يصاب بالالم. [٣]

٢ — الايمان بالله سبحانه وتعالى ، وقوة التمسك بالعقيدة وما دعت اليه الاديان السماوية — تجعل الانسان لديه القدرة الكاملة على مقاومة الشهوات التى تفسد علينا الحياة. [٤]

٣ — ليس العمل الاخلاقى هو الذى يتحقق من ورائه غاية محددة فى صورة لذة وقتية ،وانما العمل الأخلاقى ينبع من الضمير الانسانى بالاضافة الى أن الخير والشر ليس فى صورة عمل مادى كما يتصور أرستبس ، بل هنالك خير أدبى وشر أدبى ، ولا يمكن الانكار بوجود جوانب أدبية للانسان ، وبالتالى تكون فلسفة أرستبس خاطئة فى ارتكازها على الفكر القائم على الطبيعة المادية أو الحسية الواقعية فقط فى تفسير الخير والشر. [٥]

---

(١) د. محمد عبدالمنعم القيعى، عقيدة المسلمين، مرجع سابق،ص ٩١

(٢) د.اسماعيل مظهر، فلسفة اللذة والالم، مرجع سابق،ص ٣٨، ٣٩.

(3) J.C. Flugel, Man- Morals and Society, op. cit., p. 156.

(٤) عباس محمود العقاد، عقائد المفكرين فى القرن العشرين، مرجع سابق ، ص ١١٧ ومابعدها.

(٥) د.اسماعيل مظهر، فلسفة اللذة والالم ،مرجع سابق ،ص ٩٤.

٤ ـ القول بأن تحصيل اللذة ، وتجنب الالم هى غاية كل انسان ينافى الحقيقة ويجعل الانسان يتساوى مع الحيوان على أساس أن كلا منهما يطلب اللذة ويتجنب الالم فى حين أن جوهر الانسان الذاتى أرقى من ذلك ـ كما أن فعل الخير لايتطلب بالضرورة تحصيل لذة ـ لان الأخلاق واجب وفضيلة ، وبالتالى لايمكن اعتبار الواجب الأخلاقى الذى يفعله الانسان من منطلق ضميره وهم وخيال كمايدعى أرستبس ٠ (١)

٥ ـ ليست كل لذة وقتية يحصل عليها الانسان تكون خيرا ـ لان ذلك يخالف ما جاءت به كل الاديان والشرائع السماوية وعلى الاخص الاسلام ـ اذ توجد لذة مشروعة لا يحرم على الانسان أن يحصلها ولذة غير مشروعة يجب تجنبها ٠ (٢) فقال تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل لكم ، ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين)) (٣) ٠

بالاضافة الى ذلك فلقد تطورت فلسفة اللذة والالم على يد تلاميذ ارستبس الى حد جعلت السعادة أساسها الاستهتار بكل الاشياء الخارجية من أجل التحرر من الالم ـ مثل هجسياس أحد فلاسفة هذه المدرسة الذى أشار صراحة بذلك كما دعا الى الانتحار للتخلص من آلام الحياة اذا لم يتم التمكن من التغلب عليها ، وسمى بذلك رسول الموت ـ وأيضا (انقريز) أحد أنصار هذه المدرسة قد قال : أن هناك أشياء لا تنكر مثل الصداقة والوطن التى بها قد يضحى الانسان فى سبيل وطنه أو صديقه بالرغم من أن لذته من وراء هذه التضحية قد تكون منعدمة أو ضئيلة ـ وبالتالى هدم كل أركان مدرسة ارستبس من خلال هذا الرأى ٠ (٤)

---

(١) د٠ أبو بكر محمد ذكرى ، تيسير فلسفة الاخلاق ، مرجع سابق ، ص ٥٦٠

(٢) د٠ محمد عبد المنعم القيعى ، عقيدة المسلمين ، مرجع سابق ، ص ٩١٠

(٣) سورة المائدة ، آية ٨٧٠

(٤) د٠اسماعيل مظهر ، فلسفة اللذة والالم ، مرجع سابق ، ص ١١٢٠

ثانيا : نظرية المنفعة الشخصية (أبيقور)

مؤسس هذه النظرية هو الفيلسوف أبيقور الذى ولد عام ٣٤١ق٠ م فى جزيرة ساموس احدى جزر الارخبيل اليونانية ـ وسافر الى أثينا ثم الى آسيا الصغرى ، ودرس الفلسفة الاغريقية والشرقية ـ ثم اشتغل فى التعليم ـ ثم عاد الى أثينا عام ٣٠٦ ق٠م بعد أن بلغ درجة عالية فى العلم والمعرفة ، وأسس مدرسة أصبحت بعد فترة قصيرة موضع اقبال من الطلبة رجالا ونساء يتدارسون فيها الأخلاق والحكمة (١) .

وفلسفة أبيقور الأخلاقية مادية بحته حيث كان لايرى مكانا فى هذا العالم لغير المادة ولا يؤمن بما وراءها ، وبأن الله بيده أمر الخلق والتكوين (٢) ـ كما كان لايعتقد بأن هناك روح خالدة ـ انما قرر بأن الاخلاق والسعادة مترادفتان (٣) ـ وبذلك كانت فلسفته مادية بحتة مستلهمة من أفكار الفلسفة الحسية الواقعية التى جاء بها أرستبس ، ولكنه قد عدل عنها ـ وقرر بأن أخذ اللذة الواقعية دون تفكير فى عواقبها ، أمر لايتفق والعقل السليم ، لان اكثر الالام والمصائب والتعاسات تنشأ من ممارسة اللذات بلا تعقل (٤) ـ أما التعقل والاتزان المعقول يتيح لنا أن نستمتع باللذة وقتا أطول ويبعدنا عما يمكن حدوثه من الالام٠ (٥)

وقد أشار أبيقور بفلسفته بأنه قد حول مدرسة اللذة التى أسسها أرستبس من النظام الارعن والاهوج الملئ بالالام الى فلسفة ذات أركان

---

(١) شارل فرنر، الفلسفة اليونانية، مرجع سابق ، ص ١٩٣٠

(٢) د٠ محمد بيصار ، الفلسفة اليونانية، مرجع سابق ،ص ١٤٦

(٣) أ٠س٠ رابوبرت ، مبادئ الفلسفة ، مرجع سابق ،ص ٧٤٠

(٤) اندريه ايمارد، جانين أوبوايه ،تاريخ الحضارات العام، الشرق واليونان القديمة ، مرجع سابق ، ص ٥٣٣٠

(٥) د٠ توفيق الطويل ،الفلسفة الخلقية، الطبعة الثانية ١٩٦٧، القاهرة ، ص ١٣ وما بعدها٠

متزنة ورزينة ومعقولة تحقق السعادة وتبعد كل الالام ، وقرر أن حساب اللذات والالام يكون على النحوالتالى :

* أن ناخذ بلا تردد كل لذة لايعقبها أى ألم.
* أن نرفض بلا تردد كل ألم لايؤدى الى أى لذة.
* أن نرفض كل لذة تضيع علينا لذة أعظم منها.
* أن نرضى بالالم الذى يخلصنا من ألم أعظم أو يعقبه لذه.

ومن خلال هذه القواعد الاربع يحدد ابيقور الأخلاق التى يجب أن يتبعها كل انسان على اعتبار أن اللذة أساس الطبيعة الانسانية حيث قال (نحن نجعل من اللذة مبدأ السعادة وغايتها : انه أول خير نعرفه ، خير مغروس فى طبيعتنا ،وهو مبدأ كل قراراتنا، وشهواتنا وكراهياتنا ،واليها نسعى دون انقطاع) (١) .

كما ذهب أبيقور بفلسفته بأن الانسان حر فى اختيار عمله نحو أى غاية يسعى لها مادامت تحقق له من ورائها نفع ، ومن أبرز أنصار هذه النظرية فى العصور الحديثة توماس هوبر (×) – حيث كان مادى النزعة ومنكرا للروح والنفس وجعل الانسان يتمادى فى طلب اللذة التى يلتذ بها من أجل أن يلتمس الامن وحب البقاء ، واعتبر شهواته ورغباته تتجه الى حفظ ذاته. (٢)

---

(١) د. عبد الرحمن بدوى ، الاخلاق النظرية، مرجع سابق، ص٢٣٤

(×) توماس هوبر T. Hobbes فيلسوف انجليزى – ولد عام ١٥٨٨م وتوفى عام ١٦٧٩م – اشتهر بابحاثه فى السياسة وعلم الاخلاق ، وفيما وراء المادة – وأطلق على فلسفته بالمذهب الفوضوى حيث كان يرى أن نظام الطبيعة نظام حرب عام ، كل يحارب كلا ليبقى (والحق للقوة).

(٢) أ. س. رابوبرت ، مبادىء الفلسفة ، مرجع سابق ،ص ٩٥.

ولقد تعرضت نظرية ابيقور الاخلاقية لهجوم عنيف من جانب رجـــال الدين وبعض العلماء وفلاسفة الاخلاق مما أدى الى هدم كل أفكارها وذلك على النحو الآتى :

× أن مقاييس الخير لابد أن تكون عامة وثابتة ومنضبطة ، ونظريـــة المنفعة الشخصية التى ينادى بها أبيقور كأساس للاخلاق لا تصلـــح مقياسا للاخلاق لانها غير منضبطة ولا ثابتة ــ لان ما هو نافـــع لشخص معين قد يكون ضارا لغيره ، وما هو نافع فى زمان قـــد يكون ضارا فى زمن آخر (١) ــ كما أن نظرية أبيقور ليس فيها قانون أخلاقى ملزم ليطاع، وتكون سلطته على النفس والضمير بفعل الخير، والنهى عن الشر ، مثل مارسمته التعاليم الالهية، حيث أنها نظريـــة ملحدة تنكر وجود الله سبحانه وتعالى والروح ولا تعتـــــــرف الا بالمادة. (٢)

× ما ذهب اليه أبيقور بالقول بأن كل انسان حر يختار من الأعمـال ما يعجبه مادام يتحقق له من ورائها نفع ، اتجاه خاطـــئ لان المجمع عليه عند كل رجال الدين والعلماء وبعض الفلاسفة أن اطلاق الحرية للانسان فى الاعمال الأخلاقية كما يحب ويهوى يؤدى الـــى هدم مبادئ الأخلاق (٣) ــ كما أن فلسفة ابيقور تجعل مقياس الخير قائم على الأنانية ، ومن بدهيات فلسفة الأخلاق الصحيحة هـــى الرفض التام للأنانية ــ لان أسس ومبادئ الأخلاق تقوم على جعــل الناس اخيارا بالايثار على انفسهم وبالعمل من أجل الآخرين لابالعمل من أجل أنفسهم وارضاء غرائزهم وشهواتهم كما يذهب أبيقور. (٤)

---

(١) د. أبو بكر محمد ذكرى، تيسير فلسفة الاخلاق، مرجع سابق، ص ٦٠

(٢) د. محمد عبدالمنعم القيعى، عقيدة المسلمين، مرجع سابق، ص٩١.

(٣) د. سعد محمد الشناوى ،مدى الحاجة للاخذ بنظرية المصالـــح المرسلة، الجزء الاول ــ مرجع سابق ، ص ٣٨٠.

(٤) د. توفيق الطويل ، الفلسفة الخلقية ، مرجع سابق، ص ١٨٥.

* المبادئ التى أسس عليها أبيقور فلسفته ما هى الا ضرب من الحيل لاجل الحياة، ولاعلاقة لها بمكارم الأخلاق - لان أبيقور حول نظرية ارستبس فى (اللذة والالم) الى نظرية (المنفعة الشخصية) وكل من النظريتين يقيمان فكرة الخير والشر على أساس اللذة (١) .

أنصار هذه النظرية وكل المعجبين بها لم يضعوها موضع التطبيق العملى - حيث استحال عليهم تنفيذ مبادئها - بالاضافة الى أن أبيقور نفسه قد تناقض مع مبادئه التى تدعو الى الانانية والعمل من أجل المنفعة الشخصية حيث اختار طريق الزهد والقناعة وعيش الكفاف والكدح فى حياته من أجل تلاميذه وأصدقائه ، وجعل من مدرسته وحديقته مرتعا خاصا لهم - وكانوا يعيشون فيها عيشة اخاء وصداقة وتعاون كأنها ملكهم الخاص ،وكان أبيقور يضحى لهم براحته -حيث كان مريضا بمرض الحصوة الذى أخذ يؤلمه فترة طويلة فى حياته حتى مات فى صبر واحتمال - وهذا قد دعا الفيلسوف والفقيه الرومانى شيشرون الى القول بأن (موت أبيقور على هذه الصورة كان مناقضا لقواعد نظريته) (٢) .

ثالثا : نظرية المنفعة العامة Utilitariaism

مؤسس هذه النظرية هو الفيلسوف الانجليزى جرمى بنتام G. Bentham الذى ولد فى لندن عام ١٧٤٨م - وتعلم القانون وأصول الفلسفة ثم عمل محاميا ، وبعد فترة ترك المحاماه وأعتكف على التأليف فى القانون والفلسفة حتى توفى عام ١٨٣٢م .

ونظرية بنتام هى الصورة الحديثة لمذهب الغاية حيث تجلت فلسفته ،وطورت من نظرية اللذة لارستبس ونظرية المنفعة الشخصية لابيقور واتجهت الى المنفعة العامة. (٣)

---

(١) د. محمد بيصار، الفلسفة اليونانية، مرجع سابق ، ص ١٤٨ .

(٢) د. أبو بكر محمد ذكرى، تيسير فلسفة الاخلاق، مرجع سابق ، ص ٥٩ .

(٣) أ.س . رابوبرت ، مبادئ الفلسفة ، مرجع سابق ، ص ١٧٩ .

ويعرف بنتام المنفعة Utility بمعنى أنها خاصية الشئ التي تجعله ينتج فائدة أولذة أوخيرا أو سعادة (وكلها بمعنى واحد) أوبمعنى آخر خاصية الشئ التي تجعله يحمي السعادة من الشقاء أو الالم أو الشر أوالبؤس[١] ـ ومبدأ السلوك في نظر بنتام هو أن الانسان قد وضعته الطبيعة تحت حكم سيدين الالم والمتعة فيجب عليه أن يسعى الى تحصيل أكبر قدر من المنفعة ، ولكي يكون الفعل خيرا لابد أن يتحقق أو يتوقع من تحقيقه أكبر قدر من السعادة أو المنفعة أو المتعة أواللذة لاكبر عدد من الناس .[٢] The greatest good for the greatest number.

والأخلاق في فلسفة بنتام مرهونة بنتائج الأفعال ، وبأن شرف المرء لا يقوده الا الى المنفعة العامة والمصلحة الكلية ـ لان المثل الأعلى هو أكبر قدر من السعادة لاكبر عدد من الناس ـ وعلى هذا الأساس يكون علم الاخلاق في نظر بنتام يقوم أولا : على حساب اللذات ، وثانيا : أن أساس هذا الحساب هو تفضيل لذة على أخرى اذا كانت تفوقها ، وذلك وفقا للمعايير السبعة الاتية :

(أشد ـ أدوم ـ أوكد ـ أقرب ـ أخصب ـ أصفى ـ أوسع نطاقا) حيث أنه طبقا لهذه المعايير السبعة يمكن تحديد قيم اللذات بطريقة حسابية دقيقة ،وبالتالي يمكن تفضيل لذة عن أخرى بسهولة وبدون خطأ ـ كما يقول بأن السعادة أو المتعة بدون لذة وهم وتناقض ـ لان السعادة عبارة عن امتلاك اللذة مع الخلو من الالم ، والفضيلة عبارة عما يسهم في تحقيق المزيد من السعادة وما يكثر من اللذات ، ويقلل من الالام ـ أما الشر فهو عكس ذلك حيث يقلل من السعادة ويسهم في الشقاء.[٣]

---

(١) د٠ توفيق الطويل ، الفلسفة الخلقية ، مرجع سابق ،ص ١٩٨٠

(٢) برتراند رسل ،حكمة الغرب ، مرجع سابق ، ص ٢١٣

(٣) د٠ عبدالرحمن بدوى ،الاخلاق النظرية ، مرجع سابق ،ص ٢٤٩٠

وقد هاجم بنتام من خلال فلسفته مذهب الواجبية، وطالب بالغاء كلمة الواجب من قاموس الاخلاق كما حذر من سوء استعمالها – على أساس أنها كلمة طقوسية تتنافى مع كل القيم والمبادىء الاخلاقية ، لان الطبيعة الانسانية وان كانت قائمة على العلاقات الا أن الناس سيرغبون فى خدمة بعضهم اذا وجدوا فى ذلك مصلحة ، وانما اذا لم تكن لهم مصلحة فلا يمكن أن تقوم بينهم علاقات ، وفى ذلك يقول بنتام ٠٠(لا نتصور أن الناس سيكلفون أنفسهم مشقة تحريك خنصرهم فى سبيل خدمتك – ان لم تكن لديهم مصلحة فى ذلك ٠ ولكن الناس سيرغبون فى خدمتك ان وجدوا فى ذلك مصلحة لهم ، والفرص كثيرة التى فيها ينفعونك وينفعون أنفسهم فى نفس الوقت – وفى هذه الخدمات المتبادلة تقوم الفضيلة) ٠ (١)

ونظرية المنفعة التى أسسها بنتام اشتقت من نظرية أخلاقية ترجع بوجه خاص الى الفيلسوف الانجليزى هتشسون (×) Hitcheson الذى كان قد عرضها عام ١٧٢٥م ، وكان يرى أن الخير هو اللذة والشر هو الالم، وان افضل حالة يمكن بلوغها هى تلك التى يبلغ فيها تفوق اللذة على الالم – وقد أخذ بنتام بهذا الرأى وأسس عليه نظريته فى المنفعة العامة فى صورتها التجريبية – حيث حول بفلسفته الدراسات الاخلاقية الى علم واقعى يمتاز بالدقة ، والانضباط المحدد على أسس سيكولوجية (٢) ٠

ومن أنصار نظرية المنفعة الفيلسوف الانجليزى جون ستيورات مل (××)

---

(١) د٠ عبدالرحمن بدوى، الاخلاق النظرية، مرجع سابق ،ص ٢٥١٠

(×) هتشون فيلسوف وعالم انجليزى، ولد عام١٦٩٤م وتوفى عام ١٧٤٦م وكان استاذ علم الأخلاق فى جامعة جلاسكو،وكان متبعا لجون لوك فى كثير من نظرياته،ومعارضا لفلسفة هوبز ٠

(٢) برتراند رسل ، حكمة الغرب ،مرجع سابق ص ٢١٣٠

(××) جون ستيورات مل John Stuart Mill فيلسوف انجليزى ولد عام١٨٠٦م وتوفى عام١٨٧٣م، وكان متأثرا بتعاليم هيوم واوجست كونت – كتب فى المنطق وفى الاقتصاد السياسى – كما كتب رسالة فى الحرية ورسالة فى مذهب المنفعة الفها عام ١٨٦٣م – وهو من أكبر الداعين لمذهب المنفعة٠

تلميذ بنتام ،حيث دافع عن هذه النظرية دفاعا حارا واعتبر اقرار المنفعة غاية للافعال الانسانية ومعيارا للاحكام الخلقية.(١)

وقد تعرضت نظرية المنفعة العامةلانتقادات عديدة مثل النظريات الاخرى لمذهب الغاية، وذلك من جانب بعض رجال الدين والعلماء ورجال الفكر الفلسفي على النحو التالي :

* أن المنافع عديدة وقد يحدث تضارب بين منفعتين على درجة واحدة، وفي وقت واحد فكيف يتم اختيار احداهما دون الاخرى ،كما أن الفضيلة لاتكون واضحة في ترك منفعة صغيرة للحصول على منفعة أخرى كبيرة، أوترك منفعة موقتة لنيل منفعة دائمة — اذ كيف نصل الى درجة اليقين انه تم اسعاد الناس فعلا ونحدد عددهم وأن الاعمال الاخلاقية غايات وليست وسائل -وبالتالي تكون نظرية المنفعة العامة التي عرضها بنتام قائمة على أفتراض لا يصل الى الحقيقة الكاملة الاكيدة.(٢)

* بالرغم من أن بنتام لم ينكر حقيقة وجود الدين — الا أن فلسفته في نظرية المنفعة قائمة على بحث علمي للجوانب المادية فقط مثل النظريات السابقة في مذهب الغاية(٣) — مما أدى الى وجود تعارض بين هذه النظرية ،وبين أوامر الدين والشرائع السماوية — لانالحياة ليست قائمة على العوامل المادية فقط ، بل هناك عوامل أدبية ذات كيان هام في حياة الانسان لايمكن اغفالها(٤) — بالاضافة الى أن فلسفة بنتام في الجوانب الاخلاقية لم تعط أي اهتمام للتعاليم

---

(١) د. توفيق الطويل ،الفلسفة الخلقية ، مرجع سابق ، ص ٢٠٥.

(٢) أ.س. رابوبرت ، مبادىء الفلسفة، مرجع سابق ،ص ١٨٠.

(٣) برتراند رسل ، حكمة الغرب ، مرجع سابق ،ص ٢١٨.

(٤) عباس محمود العقاد، عقائد المفكرين في القرن العشرين، مرجع سابق ص ٥٢.

الالهية، أو مانصت عليه الشرائع السماوية.[1]

* أسس بنتام نظريته فى الأخلاق على أساس أنانية الانسان دون اعتبار للضمير ، ولا يمكن اعتبار الانانية من قواعد الاخلاق[1] ، أو انكار قوة الضمير فى الانسان واعتبار الأخلاق مهارة شخصية فى البحث عن أحسن الطرق لتصيد اللذات والبعد عن الالام[3] ـ كما أن العلاقات التى تقوم بين الافراد لايمكن أن تستند فقط على المنفعة المادية والا لحدث فيها ضعف وتفكك قد يؤدى الى انهيار الروابط الانسانية.[4]

ولكن على رغم ما وجه من نقد لفلسفة بنتام النفعية ، الا أنه لايمكن انكار الدور العظيم الذى أسهم به بنتام فى خدمة الانسانية لانه بجانب فلسفته فى الأخلاق كان ضليعا فى فن التشريع، ومن أكبرالمدافعين عن ضرورة تطوير القواعد القانونية الداخلية والدولية لتساير التطور البشرى . كما اعتبر العدالة تمثل أكبر قدر من المنفعة ـ بالاضافة الى كتاباته التى نشرت فى أواخر القرن الثامن عشر عن مبادىء القانون الدولى ، وأورد فى آخرها مشروعا للسلام الدائم بين الامم ـ حيث كان يرى أن القانون الدولى السليم هو الذى يحقق السلام والسعادة للمجتمع الدولى[5] ـ وهذا ما سنعرضه تفصيلا فى الباب الثالث بالقسم الخاص بتطور العلاقات الدولية.

---

(١) د. محمد بيصار، العقيدة والاخلاق، مرجع سابق ص ٢١٩.

(٢) د. أبو بكر محمد ذكرى ، تيسير فلسفة الاخلاق، مرجع سابق ، ص ٥٩.

(٣) د. محمد بيصار، العقيدة والاخلاق ، مرجع سابق ص ٢١٩.

(٤) د. محمد عبدالمنعم القيعى، عقيدة المسلمين، مرجع سابق، ص ٩٧

(٥) د. بطرس بطرس غالى ، التنظيم الدولى، مرجع سابق ص ٤٨.

المبحث الثالث

مذهب الكمـــــال

يقول أنصار هذا المذهب أن قواعد الاخلاق غير ثابتة، وانما هى فى تطور مستمر- من أجل تحقيق المثل الاعلى للكمال فى السلوك الانســانــى ، ويستندون فى ذلك على أسس مادية طبيعية يدعون بأنها من مقررات العلـــم التجريبى الذى قنن به العالم على مر عصور التاريخ المختلفة حتى اليوم.(١)

ومؤسس هذا المذهب هو الفيلسوف الانجليزى هربرت سبنســـــــر H. Spencer الذى ولد عام١٨٢٠م وتوفى عام١٩٠٣م — وهو من أعلم وأشهر فلاسفة القرن التاسع عشر بالرغم أنه لم يتلق أى تعليم منتظم، ولكن كان يتمتع بقوة ذكاء نادرة دفعته الى اليقظة التامة فى تطلعه نحـــو ظواهر علم الحياة التى أسس عليها خطوط فلسفته.(٢)

وقد رأى سبنسر أن نظرية المنفعة التى صاغها بنتام وتأثر بها كـــل من ستيوارت ميل وابنه جون ستيوارت مل ، وظهرت خلال عصر النهضـــة فى بريطانيا — لم تخرج عن التقليد لكل النظريات السابقة التى صاغهـــا ارستبس وأبيقور التى طرحت فى النصف الثانى للقرن الاخير قبل الميــلاد- وقرر بأن كل نظريات المنفعة تستند على الاصل الانانى الذى فى فلسفـــة الأخلاق ، وطالب بضرورة التخلص منها حيث اعتبرها لم تعط تفسيرا واقعيا لجوانب الاخلاق ، وبأن سبب التمسك بها يرجع فقط الى اقتناع الغـــرب فى العصور الحديثة بقدرة العقلية اليونانية.(٣)

تميز سبنسر بفكره نحو الميل الشديد للناحية العملية ، وكـــان يخضع كل شئ للقواعد الطبيعية أو الكيماوية أو الرياضية — ثم تقدم خطوة

---

(١) د.سعد محمد الشناوى، مدى الحاجة للاخذ بنظرية المصالـــح المرسلة، الجزء الاول ، مرجع سابق ،ص ٤٠٠.

(٢) د. هنرى توماس ، أعلام الفلاسفة، مرجع سابق ص ٣٠٣.

(٣) د. أبو بكر محمد ذكرى ، تيسير فلسفة الاخلاق، مرجع سابـق ، ص ٦٢.

فخطوة حتى قام ببناء فلسفته التطورية بعد أن تأثر بنظرية داروين Darwin في التطور وكيفية النشوء والارتقاء، وقام بتطبيقها في مجالات المعرفة البشرية ، وتدرج بها حتى اعتقد أن الوجود كله يسير في خطوط متصلة من التطور، وتمكن من خلال ذلك بتطبيق فكرة التطور الداروينية على الاخلاق ــ مقررا بأنه يستند على دعامة الدليل العلمي المحدد وليس على العروض الغير محددة في تفسير ذلك(١) ، وبأن الحياة تلاوءم أو تكيف بين الكائن الحي وبيئته ، وكمال الحياة مرهون بهذا التلاوءم وغاية الاخلاق تقوم على المساهمة في تعجيل التطور الذي يحقق تكيف الفرد مع بيئته ــ أي أن يكون الانسان بعمله في وفاق مع ما حوله(٢) .

وانتهج سبنسر فلسفته في الاخلاق بعد أن تبين أن نظرية التطور التي تطبق على جميع الاحياء على أساس البقاء للاصلح بفضل تكيف الكائن الحي مع بيئته للوصول الى الكمال من خلال الاعتماد على ظاهرة التناحر وتنازع البقاء لكي يموت الاضعف ويبقى الاصلح. هي ذاتها القوانين التي تطبق على الأخلاق وتوصلها الى الكمال بخطوات ثابتة من خلال السلوك ــ وقرر بأن الانسان حين يكون قادرا على تعديل سلوكه لكي يتوافق مع البيئة التي يوجد فيها فانه يتابع حياته وتطوره نحو الكمال ، أما حين يعجز عن التوافق مع بيئته فانه يجني عليها وعلى نفسه.(٣)

ومن هذا المنطلق يكون مقياس الأخلاق عند سبنسر هو(كلما كان سلوك الانسان موءديا الى التوافق مع مجتمعه كان موءديا الى اسعاد نفسه ومجتمعه وكان عمله خيرا واذا سلك العكس كان عمله شرا).(٤)

---

(١) د. هنري توماس ، اعلام الفلاسفة ،مرجع سابق ص ٣٠٨

(٢) أ.س . رابوبرت ، مبادىء الفلسفة ، مرجع سابق ،ص ٨٠، ١٢٢

(٣) د.اسماعيل مظهر، فلسفة اللذة والالم ، مرجع سابق ،ص ٢١٩.

(٤) د. أبو بكر محمد ذكري ، تيسير فلسفة الاخلاق ،مرجع سابق ، ص ٦٤.

وقد وجه نقد مرير لنظرية سبنسر فى الاخلاق من جانب العديد من رجال الدين والعلماء وبعض الفلاسفة على أساس الاتى :

* أن سبنسر اعتبر المجتمع كائنا عضويا ، وطبق عليه قوانين علم الحياة مع ان طبيعة المجتمع والحياة الاجتماعية فيه تخالف الطبيعة الحيوية للانسان.(١)

* فلسفة سبنسر فى الأخلاق ما هى الا فلسفة علمية باردة خالية من العاطفة والمشاعر التى تعتبر جانبا هاما فى أخلاق الانسان.

* ما ذهب اليه سبنسر فى تفسير الأخلاق هو نفس النهج الذى ذهبت اليه كل نظريات مذهب الغاية التى تتخذ اللذة والالم قاعدة لها ـ حيث أنهم جميعا انكروا كل وجود للروح والضمير الانسانى.(٢)

* استناد سبنسر فى فلسفته على نظرية داروين الالحادية فى النشوء والارتقاء التى هزت اركان العالم كله وبالذات رجال الدين الذين يؤمنون بأن الله سبحانه وتعالى خلق كل أنواع الكائنات الحية، وأنها مستقلة وغير متصلة الانساب وأنها لازمت صورها منذ أن خلقت ولا علاقة لها بالتطور والارتقاء ـ قد أدى الى جعل العديد من الناس ينظرون الى مذهب الكمال بالاحتقار والسخرية لانه أصبح يجابه تعاليم الاديان السماوية، ويؤذى الضمير الانسانى(٣) بالاضافة الى ظهور صراع مرير فى أوربا بين أنصار نظرية التطور وبين المسيحيين من جميع الطوائف الذين تمكنوا من هدم نظرية داروين،وجعل الناس يفقدون الثقة نحو كل الأفكار الإجتماعية التى إستندت عليها.(٤)

---

(١) د. أحمد كمال ، د. كرم حبيب ، علم الاجتماع الحضرى، مرجع سابق ص ١٥٩.

(٢) د.أبو بكر محمد ذكرى ، تفسير فلسفة الاخلاق، مرجع سابقص ٦٧

(٣) عباس محمود العقاد،عقائد المفكرين فىالقرن العشرين، مرجع سابق، ص٥٦.

(٤) برتراند رسل ، حكمة العرب ، مرجع سابق ،ص ٢٢٥.

× نظرية سبنسر فى الاخلاق تهمل تماما كل تعاليم الاديان ومـــا جاءت به الشرائع السماوية من قيم ومبادىء من أجل الكمال الأخلاقى ــ حيث أنها ارتكزت فقط على جوانب مادية بحته فى تفسير الخيـر والشر، وجعلت الأخلاق تتطور مثل تطور المادة.(١)

ولكن رغم ماوجه من نقد لفلسفة هربرت سبنسر فى الأخلاق الاأنـه يرجع اليه الفضل فى اضافة جوانب تؤكد وحدة الأسرة البشرية على أســاس الرحمة والعدالة حيث قرر بأن (الأسرة البشرية واحدة، وتهدف بفطرتهـا الى العدالة الإجتماعية،والشعور بالواجب على ضرورة العون المتبادل ــ وأنـه يمكن حدوث اتحاد عالمى واحد من منطلق قانون واحد للاخلاق مهما اختلفـت الاديان العظمى ، لانهاجميعا تؤمن بحقيقة وحدة الاسرة البشرية)(٢).

••• هذه هى المذاهب الأخلاقية التى تبلورت فى الفكر الغربى وشملـت بداخلها أعظم فلاسفة الحضارات الغربية عبر القرون المختلفة ــ بدايـة بحضارة اليونان حتى القرن الحالى ــ واذا كانت فلسفة الغرب قد ارتكـزت بما لقن لها من مبادىء وقيم على فلسفة الشرق كماسبق وأن أشرنا ــ الا أنه لايمكن الانكار بأن رجال الفكر الغربى كان لهم فضل عظيم فى خدمـة الإنسانية ، حيث أنهم قد أزالوا غبار الغشاوة عن عقول الكثيرين وأنـاروا شعلة الحق والكرامة لكل الشعوب الاوروبية ــ التى انتقلت بضيائها بعـد ذلك الى كل الأجناس الموجودة فى دول الامريكتين، والمناطق الاخرى لهـذا العالم.

ان التاريخ الفكرى للبشرية ذو حلقة متصلة، ولايمكن فهم حضـارة الغرب دون التعمق فى حضارات الشرق ــ لان تيار الفلسفة والحكمة واحـد لكل البشرية ــ ولذلك فمن الخطأ الاستناد على أى تعليل فكرى يـؤدى

---

(١) د. محمد بيصار، العقيدة والاخلاق ،مرجع سابق ص ٢٥٧ ومابعدها

(٢) د. هنرى توماس ،أعلام الفلاسفة ، مرجع سابق ص ٣١٣.

الى فصل الرابطة بين الشرق والغرب ــ مثل ما ذهب اليه الفيلسوف والعالم البريطاني برتراندرسل (١٨٧٢م ــ ١٩٧٠م) فى كتابه (حكمة الغرب) عند ما قرر بأن العالمين الغربى والشرقى قد سارا فى طريقين منفصلين ، وتطور كل منهما بمعزل عن الآخر ــ وعلل ذلك بأن (تطور الفلسفة فى الغرب سادت فى اتجاه منذ ايام اليونانيين مرتبطة بالعلم، مما جعل الحضارة الغربية تتميز عن تأملات العقل الشرقى) (١) لان هذا الرأى يخالف الحقيقة التى ثبتت فى سجل التاريخ وتأكدت من خلال الاتجاهات الفكرية التى عبر عنها أعظم فلاسفة الغرب ، بالاضافة الى ذلك أن الديانة المسيحية التى تمثل أحدى الدعامات الرئيسية لحضارة الغرب والمحور الأساسى لكل اتجاهاتها الفلسفية والفكرية قد نشأت ونمت واكتسبت سماتها فى تربة شرقية، وارتبطت تاريخيا بعقائد وفلسفة الشرق القديمة مما يجعل إستحالة القول بأن الحضارتين الشرقية والغربية قد نمت كل منهما فكريا وفلسفيا فى إتجاه مستقل عن الآخر. (٢)

وفى ختامنا لهذا الباب نشير بأن الفكر الانسانى ، وان كان ذا حلقة متصلة عبر التاريخ ، الا أن هناك رابطة انسانية أخرى أثبتها جميع الفلاسفة العظماء فى مختلف العصور وفى شتى المذاهب ، وهى أن أفكارهم واتجاهاتهم كانت تدور حول حقيقة واحدة اتفقوا عليها جميعا من خلال المعانى الكبرى التى دعوا اليها، وهى كرامة الانسان وحريته، والاخاء والصفاء والمحبة بين جميع البشر مهما اختلفوا فى اللون أو الجنس أو الموطن أو العقيدة ــ وان ما عبروا عنه جميعا هو نفس القيم والمبادىء التى أسستها الشرائع السماوية الثلاثة (٣) ــ مما يؤكد بأن الأخلاق الفاضلة لم

---

(١) برتراند رسل ، حكمة الغرب ، المرجع السابق ، ص ٥، ٦، من مقدمة الكتاب للمترجم الدكتور فؤاد زكريا.

(٢) شارل فرنر ،الفلسفة اليونانية ، مرجع سابق ص ٦ ومابعدها.

(٣) شارل فرنر ، مبادىء الفلسفة ،المرجع السابق ، ص ١٦٨.

يختلف فيها كل من الانبياء والرسل ، وعظماء الفلسفة والحكمة — واذا كان هناك اختلاف فكرى بين بعض الفلاسفة فهو اختلاف فى لغة الاداء فقط نتيجة للرؤية التى ينظرون اليها نحو معالم الطريق من خلال جوانب مختلفة دون أن ينحرفوا عن التيار الواحد لحقيقة سر هذا الكون (اله واحد — وعالم حى واحد — اخاء بشرى واحد — قانون سماوى واحد) وقد سماها كونفوشيوس وأفلاطون وفلاسفة آخرون (بالتناغم Harmony — بينما أطلق عليها بوذا والقديس بولس وغاندى وغيرهم (المحبة — Love) (١) .

وفى ذلك يقول (كانت) أنه لا وجود للأخلاق دون اعتقادات ثلاثة (وجود الاله ، وخلود الروح ، والحساب بعد الموت) — كما قال الفيلسوف الالمانى فيخته (الاخلاق من غير دين عبث) .

وقال الزعيم الهندى (غاندى) فى تأكيد الرابطة الوثيقة بين الايمان والأخلاق ، وبأن العقيدة الدينية مصدر لكل القيم والمبادئ الأخلاقية بالاتى (ان الدين ومكارم الأخلاق شئ واحد لايقبلان الانفصال ، ولا يفترق بعضهما عن بعض — فهما وحدة لا تتجزأ ، وان الدين كالروح للأخلاق ، والأخلاق كالجو للروح — وبعبارة أخرى الدين يغذى الأخلاق وينميها وينعشها — كما يغذى الماء الزرع وينميه) (٢) .

---

(١) د. هنرى توماس ، اعلام الفلاسفة ، مرجع سابق ، ص ٤٣٢

(٢) عبدالله ناصح علوان ، تربية الاولاد فى الاسلام ، الطبعة الثالثة ١٩٨١ دار السلام للطباعة والنشر التوزيع ، حلب ، سوريا ، ص ١٦٣ ، ١٧٠

الخاتمة

الخاتمـــة

ان وجود الحياة الدولية ، وارتكاز تطورها على أحساس وحركة الشعوب في جميع انحاء هذا العالم الحي ، قد برهن بصدق وموضوعية على ان المجتمع الدولي ليس اسما مجردا ، وانما هو كائن معين محسوس قام منذ العصـــور الأولى لتاريخ البشرية على مبدأ وحدة الطبيعة الانسانية ، وان علاقاتـــه الدولية قد استندت في وجودها واستمرار تطورها على قيم ومبادئ عامـــة أخلاقيـة عبرت على أنه مجتمع إنساني ـ كما أن طبيعة الحياة الإنسانية فـــي المجتمع الدولي قد جعلت من المفهوم الكلي لحتمية الوجود البشري يعبـــر عن حقيقة ما هو قائم بين كافة الشعوب من ترابط ومعاشرة ومشاركة وتعاون علـــى افكار وانفعالات ذات عمومية مشتركة مصدرا وسريانا وتطبيقا .

ان مبدأ وحدة الانسانية جعل المجتمع الدولي جسدا واحدا ، يفسـر مدى احساس الشعوب ببعضها البعض ، ويؤكد بأن ما يحدث في مجتمع دولـة من ظروف وأحداث لابد أن يؤثر عاجلا أو آجلا في مجتمعات الدول الأخـــرى هذه الحقيقة قد ترتب عليها في العلاقات الدولية المعاصرة الأمور التالية :

أولا : كشف سطحية فكرة السيادة التي ازداد رنينها في مطلع العصـــور الحديثة ، بعد تبلور مفهوم التنظيم الدولي لدى الشعوب والحكومات وظهور العديد من المنظمات الدولية العالمية والاقليمية العامة والمتخصصه التي ادت الى قيام التزام دولي عام يحد من اطلاقات سلطان الدولة ـ مضمونه ضـــرورة الخضوع للقانون الدولي وممارسة السيادة في نطاقه ، وقد أورد ميثاق الأمـــم

المتحدة على مبدأ السيادة التقليدية قيودا جديدة وجوهرية زادت من قيمتها واهميتها اتجاه الدول الى تطبيقها ، مثل :

١ـ تحريم الحرب في غير حالة الدفاع الشرعي ، حيث أصبح الالتزام الدولي بالامتناع عن الحرب من أهم القيود التي أوردها الميثاق على مبدأ سيادة الدولة في مظهرها الخارجي ، وأصبحت الحرب العدوانية جريمة دولية يعاقب عليها القانون الدولي بمقتضى قواعد التنظيم الدولي الجديد .

٢ـ فرض الرقابة الدولية على مستعمرات الدول الكبرى وتصفيتها ، وهو الالتزام ايجابي تقيدت به الدول الاستعمارية أمام الأمم المتحدة وتقرر من خلاله اخراج مسائل الشعوب المستعمره من نطاق سيادتها الاقليمية واخضاع ادارتها للمحاسبة والمراقبة الدولية .

٣ـ تقرير الحماية الدولية لحقوق الانسان ، وهو قيد جوهري ادخلته الأمم المتحدة وبعض المنظمات الدولية الأخرى على السيادة الاقليمية للدول ـ تقرر من خلاله نقل حقوق الإنسان من النطاق الداخلي للدول الى النطاق الدولي ، حيث أصبح احترام حقوق الإنسان من ضمن مبادئ القانون الدولي يقابلها التزامات قانونية على الدول .

ثانيا : هدم كل الادعاءات التي رددها زعماء الحرب ودعاة الشر بأن الشعوب تختلف في الجنس وأن هناك شعب سامي في طبيعته عن

الشعوب الأخرى ومن حقه أن يتسيدها ، وذلك بعد أن تبلور مفهوم وحدة الطبيعة الانسانية لدى الشعوب واعتبار أى تفرقة بين البشر من قبيل الجرائم الأخلاقية ضد الإنسانية ، وقد تضمن القانون الدولى العديد من القواعد التى تجعل من التفرقة بين الاجناس جريمة دولية يترتب عليها توتر العلاقات بين الشعوب وتهديد الأمن والسلام الدولى ، وقد قامت الأمم المتحدة ومنظمات دولية عديدة — بمواجهة التفرقة العنصرية فى جميع أنحاء العالم ، واتخذت تدابير عقابية فعالة ضد بعض الحكومات التى تمعن فى ممارستها .

*** اذا كان كل فيلسوف أخلاقى قد عبر من خلال منهجه الفلسفى عن طبيعة الحياة الانسانية فى المجتمع الدولى باسلوب مختلف عن الآخر ، الا أن المعنى الأساسى لفلسفتهم جميعا واحد ، وهو أن الإنسانية واحدة وعلاقات الشعوب تعبر عن وعيهم بحقيقة وجودهم الإنسانى ، وهذا الفكر المتحد يرجع الى ثلاثة أمور :

١— ان كل فيلسوف أخلاقى يعبر عن فلسفته من خلال مذهبه فيما وراء الطبيعة (عقيدته الدينيه) .

٢— ان العقائد الدينية رغم تعددها واختلاف كل منها فى تصور الالوهية وأمور العبادات تتفق جميعها فى المبادئ العامة التى تخص أمور المعاملات ، والعلاقات البشرية — ومصدرها الله سبحانه وتعالى .

٣ـ دائرة الأخلاق تتضمن قيما ومبادئ عامة أخلاقية تشكل مضمون الأخلاق الدولية التى تعتنقها وتتفق عليها كافة شعوب العالم .

من ينكرون وجود المثل الإنسانية العليا فى العلاقات الدولية ، ويدعون بأنه لاتوجد علاقة البته بين الأخلاق وعلاقات المجتمع الدولى ، قد تبين بعد كشف حقيقة مضمون الحياة الدولية عدم عمق تفكيرهم ـ واعتبر رأيهم ليس الا اتجاه غامض ومجهول يؤدى الى نشر الضباب نحو الواضح والمعلوم ، ويثير الشكوك حول ماهو مؤكد ومستقر من أوضاع بين الشعوب استنادا الى الآتى :

× العلاقات سواء كانت داخلية أو دولية ليست الا سلوك والسلوك من سمات الطبيعة الانسانية .

× المثل العليا من دعائم الحياة الانسانية فى كافة المجتمعات الداخلية والمجتمع الدولى ، وهى عبارة عن معايير للنظم والقواعد التى توجه السلوك وتضبط كل اتجاهاته .

× الشعوب هى المحرك الفعلى للمجتمع الدولى وتمارس كافة علاقاته من منطلق الواقع الذاتى لطبيعة الحياة الانسانية .

× كل مجتمع لابد أن يتمسك بالمثل العليا لبقائه واستمراره سواء كان مجتمعا داخليا أو دوليا ، وانكار وجود هذه المثل فى علاقات اشخاصه يعنى انكار وجودهم الانسانى

** اذا كانت الحياة الدولية قد تعكرت فى مراحل عديدة على مر عصور التاريخ الانسانى من خلال الصراعات والحروب التى شاهدها المجتمع الدولى فى فترات معينه ، فان ذلك لايعنى أن الحركة الانسانية المرتكزه على ارتباط وتلاصق دوائر الدين والاخلاق والقانون قد توقفت فى تلك الفترات ، وانما كانت تنشط من أجل الخروج من هذه الأزمات الى بر الأمن والسلام لان كل ماحدث كان عبارة عن صراع بين الخير والشر ، واذا احتدمت الامور وأنتصر الشر فى أول الامر كان لابد من ان ينهار وينتصر عليه الخير فى النهاية حتى لايكون مصير الحياة الانسانية الفناء من هذا العالم الحى ، وبالتالى على الرغم من تصور ضباب سوء التفاهم فى العلاقات الدولية خلال فترات معينه سجلها التاريخ الانسانى كانت الفطرة الخيريه للطبيعة الانسانية تضىء نور السلام والمحبة من أجل ازالة هذا الغيوم والاهتداء الى طريق النصر العظيم للخير على الشر .

من هذا المنطلق لاعبرة بما قرره أحد المؤرخين بعد أن قام باحصاء سنوات التاريخ الحربية ما بين عام ١٩٣٦ قبل الميلاد وعام ١٩٢٥ بعد الميلاد بأن (البشرية لم تهنأ بالسلم الا بأقل من ٣٠٠ سنة ازاء ماينيف عن ٣٠٠٠ سنة من أيام الحرب (١) حيث ان ذلك يخالف الواقع الحقيقى للحياة الدولية للأسباب التالية :

* شعوب العالم فى تزايد مستمر ، ولو كانت بالفعل قد تطاحنت فى المعارك لمدة تزيد عن ثلاثة آلاف سنة (من عام ١٩٣٦ قبل الميلاد الى عام

---

(١) د /صبحى محمصانى ، القانون والعلاقات الدولية فى الاسلام ، بيروت ١٩٧٢ ، دار العلم للملايين .

١٩٢٥ بعد الميلاد) كما قرر هذا المؤرخ ما كان عددهم قد تزايد الى اضعاف الأضعاف فى عام ١٩٢٠ بعد الميلاد بالنسبة لعددهم فى عام ١٩٣٦ قبل الميلاد ، وانما كان لابد أن يتناقص أو على الاقل يتساوى أو يتزايد الى نسبة لاتزيد عن الضعف، لانه من المعروف أن الحروب وقودها البشر، واقصرها مدة واقلها انتشارا عدد قتلاها يزيد بأضعاف عن نسبة المواليد فى فترة اشتعالها .

× من المتفق عليه أن الحروب لاتخلف وراءها الا الحزن والالام ـ والخراب والدمار فى كل وسائل العمران ، فاذا كانت البشرية قد اشتبكت فى حروب لمدة تزيد عن ثلاثة آلاف سنة مقابل ٣٠٠ سنة سلام ، فان معنى ذلك أن الحياة الدولية فى عام ١٩٢٥م كانت لابد أن تتخلف عما كانت عليه قبل عام ١٩٣٦ قبل الميلاد ـ وانما الحقيقة أنها تطورت تطورا عظيما فى كل أمور الحياة الإنسانية .

× شعوب العالم لم تشترك فى حرب عامة الاخلال الحربين العالميتين الأولى والثانية خلال هذا القرن ، اما باقى الحروب فكانت جميعها حروبا محلية أو اقليمية وليست دولية ، لان الحرب لاتمثل اطلاقا ظاهرة شاملة ، وليست امرا حتميا ، كما أن هناك أيضا مجتمعات لم يحدث بينها أية حروب على مر العصور الثلاثة (١) .

× الحروب شر ولايمكن أن تضفى عليها الشرعية ، لان الحرب وليدة المطامع وتشقى بها البشرية ، وبالتالى لايمكن أن تكون الحياة الدولية

---

(١) اوتوكلينيبرج ، البعد الانسانى فى العلاقات الدولية ، مرجع سابق ص ٢٦

قد استمرت من العصور الأولى الى العصور الحديثة ، وكان معظم فتراتها حروبا (أعمال شر) ـ لان ذلك يخالف الطبيعة الإنسانية الخيرة التى فطرت عليها كافة شعوب العالم ، وتجعل من الحياة الانسانية شقاء وعذابا فى حين أن الله سبحانه وتعالى قد خلق هذا العالم كاملا على أسس من المحبة والرحمة والتسامح .

** واذا كانت العلاقات الدولية تتطور مع تطور أوضاع المجتمع الدولى نتيجة إحساس الشعوب بطابعهم الإنسانى وضرورة الترابط الأخوى ، والتعاون فى كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ـ الا أن المجتمع الدولى يعانى حاليا من بعض الأوضاع التى تتعارض مع القيم والمبادىء العامة الأخلاقية التى تعتنقها وتتفق عليها كافة شعوب الأسرة الدولية حيث انها تؤدى الى انفساح الطريق أمام سياسات القوى والأساليب الغير قانونية فى تنظيم بعض العلاقات الدولية ، ومن أهم هذه الأوضاع التى تتطلب ضرورة تكاتف الشعوب للقضاء عليها لكى يسود المجتمع الدولى العدالة الشاملة والأمن والسلام والأستقرار هى الآتى :

أولا : اختلاف الثقافات بين بعض الشعوب

الثقافة تهذيب للنفس ، والاختلاف الثقافى بين الشعوب يعتبر من المسائل الأخلاقية الهامة التى تحدث انعكاسات على العلاقات الدولية ، اذ أنها تتفاعل مع عناصر عديدة أهمها القانون والسياسة والصناعة والتجارة

والعلم والتكنولوجيا ، وهذه العناصر لابد أن يكون أساسها معروفا لدى جميع الشعوب حتى يكون اهتمامهم بها واحدا ، وميولهم الإنسانية نحوها متسعا لكي يتقبلوا جميعا كل تطور يحدث فيها ، ولذلك لابد أن تتقارب الشعوب في الثقافات ، وان تحرص كل دولة على أن تلقن شعبها ثقافات الدول الأخرى وتغرس فيهم روح الإنسانية الواحدة حتى يزداد الترابط بين شعوب الأسرة الدولية على أسس من الأخوة والمحبة والعدالة ليتحقق الآتى :

١ــ تقارب الشعوب في الثقافة يؤدى الى زيادة التفاهم الدولى ، وحل جميع المنازعات والمشاكل الدولية بالطرق السلمية .

٢ــ ان تعلم الشعوب أن ماعاصره المجتمع الدولى من صراعات وحروب ليس من طبيعة فطرتهم الإنسانية ، وانما انساقوا اليها دون أن يعلموا دوافعها ، وأن يعلموا أيضا بانها جرت عليهم آلالام والمعاناة والظلم نتيجة غزو ر من بعض الملوك والزعماء ودعاة الشر تحت حكم الخلود الشخصى لهم .

٣ــ أن يدرك كل شعب أن الأخلاق ليست سوى ابداء لارادة اجتماعية للحياة الدولية ، وأن الحق الأعلى لكل مجتمع هو أن يحيا فى أمن وعدالة واستقرار ، وأن أى خطر يتعرض له يلزم كل المجتمعات الأخرى ان يتجهوا الى انقاذه حتى لايؤثر فى كيان المجتمع الدولى ، وفى الوجود الجماعى لكافة الشعوب .

٤ــ غرس روح محبة الجنس البشرى فى جميع شعوب العالم على أسس ومفاهيم تتطلب منهم ضرورة التضحية لانقاذ من يموتون جوعا ونصرة المظلومين

والعمل بجهد واخلاص من أجل القضاء على كل عوامل الشر والفساد من المجتمع الدولى ، وعلى عوامل الصراع الايدلوجى بين الرأسمالية والشيوعية .

٥- محاربة الجهل والتخلف الذى تعانى منه بعض مجتمعات دول العالم الثالث واعتباره من ضمن الضروريات الهامة فى استقرار أوضاع المجتمع الدولى ، كما يعلم كل مجتمع أن أى اختراع علمى لخدمة الإنسانية لايمكن أن يحقق فائدة الا اذا استفادت منه جميع شعوب العالم .

ثانيا : الفجوة بين الشعوب

السلام الدولى لايمكن أن يستتب فى عالم تتفاوت فيه مستويات الشعوب تفاوتا بالغ الخطورة ، حيث لايمكن أن تستقر أوضاع المجتمع الدولى على حافة الهوة العميقة بين الدول المتقدمة والدول الفقيرة - وهذا الأمر يدفع بعض الفقهاء والعلماء الى القول بأن ذلك هو الخطر الثانى الذى يهدد السلام العالمى بعد الخطر الأول الذى يكمن فى ظهور أى حرب ذرية مفاجئة (١) .

واذا كانت أبرز خصائص العلاقات الدولية المعاصرة تشير الى الاهتمام بعلاج هذه المشكلة ، وتضييق هذه الفجوة بين الدول

---

(١) د /حسين عمر ، المنظمات الدولية والتطورات الاقتصادية الحديثة مرجع سابق ، المقدمة ص ٤

التى انطلقت فى طريق التقدم والرفاهية وبين تلك التى تعانى من الفقـر والجهل والموت جوعا ، الا أن الجهود الدولية التى تبذل فى هـــذا المجال سواء كانت من جانب الدول المتقدمة أو من المنظمات الدوليـة بكافة أنواعها أو من الاثنين معا ، لم تستطع حتى الآن ان تتغلـب على هذه المشكلة أو تحد من الاتساع المستمر لهذه الفجوة ، حيـث ثبت أن المساعدات والقروض الممنوحه حاليا للدول الفقيرة لا تمثل سوى قطرة فى محيط احتياجاتها والدليل على ذلك اننا مازلنا نسمع عـن جماعات فى افريقيا وآسيا تعانى قحطا شديدا فى المعيشة ، وبعضهـا يموت جوعا .

ففى السنوات العشر من عام ١٩٦٠ م الى عام ١٩٧٠م التـى أرادت الأمم المتحدة أن تكون مرحلة التنمية سريعة ، لم تحقق الأهداف المرجوه حيث لم تصل نسبة النمو الفعلى لدول العالم الثالث سوى خمسة فى المائة ــ كما أنه فى السنوات الأخرى وحتى الان رغم ظهور القانـون الدولى الاقتصادى الجديد والمساهمة المبذولة من جانب مؤتمر الأمـم المتحده للتجارة والتنمية مازالت دفع التنمية صعبة للغاية (١) .

ولذلك فالامل فى علاج هذه المشكلة فى حدود هذه الاجراءات غير منتظر خاصة بعد أن ثبت أن متوسط دخل الفرد فى البلاد الناميـة لايتجاوز ١٢٠ دولار فى السنة وينتظر أن يصل الى ١٧٠ دولار فى عـام

---

(١) د / جعفر عبد السلام ، مبادئ القانون الدولى العام ، مرجع سابق ، ص ٧٤ ومابعدها .

الفين اذا سارت اجراءات التنمية بذات السرعة ، وفى الدول المتقدمة متوسط دخل الفرد السنوى قدره ٣٠٠٠ دولار وسيصل على أساس المعدلات الحالية الى ٤٥٠٠ دولار فى نهاية القرن العشرين ، أى أن دخل الفرد فى البلاد النامية سيزداد ٥٠ دولار مقابل ١٥٠٠ دولار - زيادة دخل الفرد فى الدول المتقدمه ، وبالتالى ستظل الدول النامية متخلفة والهوة عميقة بينها وبين الدول المتقدمه لان نسبة النمو بينهما حتى سنة الفين ستكون ١ : ٣٠ ، ومثل هذه النتيجة قد تلحق بالمجتمع الدولى كارثة حرب عالمية ثالثة •

ولذلك لا أمل الا باعادة النظر فى بناء المجتمع الدولى على أسس جديده نابعة من الضمير الانسانى لدفع ارادة الشعوب نحو الحق والعدالة وكل عوامل الخير ، حتى يتحقق بينهم المساواة وتنقذ الدول الفقيرة من المجاعه المزمنة ومن طاقاتها الانسانية المبددة بسبب البطالة والجهل والمرض ، ومن بين هذه الأسس التى نراها على ضوء مبدأ وحدة الانسانية تحقق ذلك هى مايلى :

١- ان تقوم الأمم المتحده بكل اجهزتها المتخصصة بعمل دراسة أخرى جديدة لحصر كافة المشاكل التى تعانى منها الدول النامية ، وتلزم الدول المتقدمة بضرورة تقديم المساعدات الفعالة لعلاجها جذريا على إعتبار أن ذلك يمثل الشطر الأكبر من الإنسانية •

٢- ان ترتفع الشعوب الغنية الى مستوى الوعى بمسئوليتها الإنسانية التضامنية نحو الشعوب الأخرى الفقيرة ، حتى لاتتردد فى دفع نسبة معقولة من رؤوس أموالها وثروتها القومية الى الشعوب الفقيرة

سواء فى صورة مساعدات أو قروض حسنه متحررة من الفوائد الربوية والشروط الاستغلالية سياسية كانت أو غير سياسية •

٣- ان تلتزم جميع شعوب العالم بتعاليم الاديان وبالقيم والمبادىء العامة الأخلاقية التى تتطلب ضرورة التضامن والتكافل الاجتماعى بين جميع وحدات المجتمع الدولى ، وبأن يكون من حق مجتمعات الدول الفقيرة أن تحصل من الدول الغنية على نسبة معينه من رؤوس أموالها وأن على الدول الغنية أن تدفعها ليس فى صورة صدقة تتبرع بها ، وانما كالتزام اخلاقى لرفع مستوى طبقة الشعوب الفقيرة لحسن انتظام الحياة الانسانية فى المجتمع الدولى •

٤- يجب أن تكون جميع القروض والمساعدات المادية والفنية التى تدفعها الدول الكبرى لدول العالم الثالث خالية تماما من أى أغراض سياسية أو حزبية حتى لاتبدد فى متاهات الصراع الايديولوجى بين الشيوعية والرأسمالية مثل مايحدث الآن فى بعض الدول الفقيرة التى أجبرت لظروفها القاسية أن تسير فى فلك أحدى الكتلتين ، لانه رغم ما حصلت عليه من مساعدات ازدادت حالتها سوء فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية •

ثالثا : المنازعات والحروب

ان الحروب والمنازعات الدولية من عوامل الشر - ولذلك لابد أن تتكاتف جميع شعوب الأسرة الدولية للقضاء عليها وتحقيق السلم والامن

الدولى ونشر العداله والاستقرار فى كل ارجاء المجتمع الدولى على النحو التالى :

١- القضاء على كل دعاة الحرب والشر وعلى كل اساليب الارهاب الدولى .

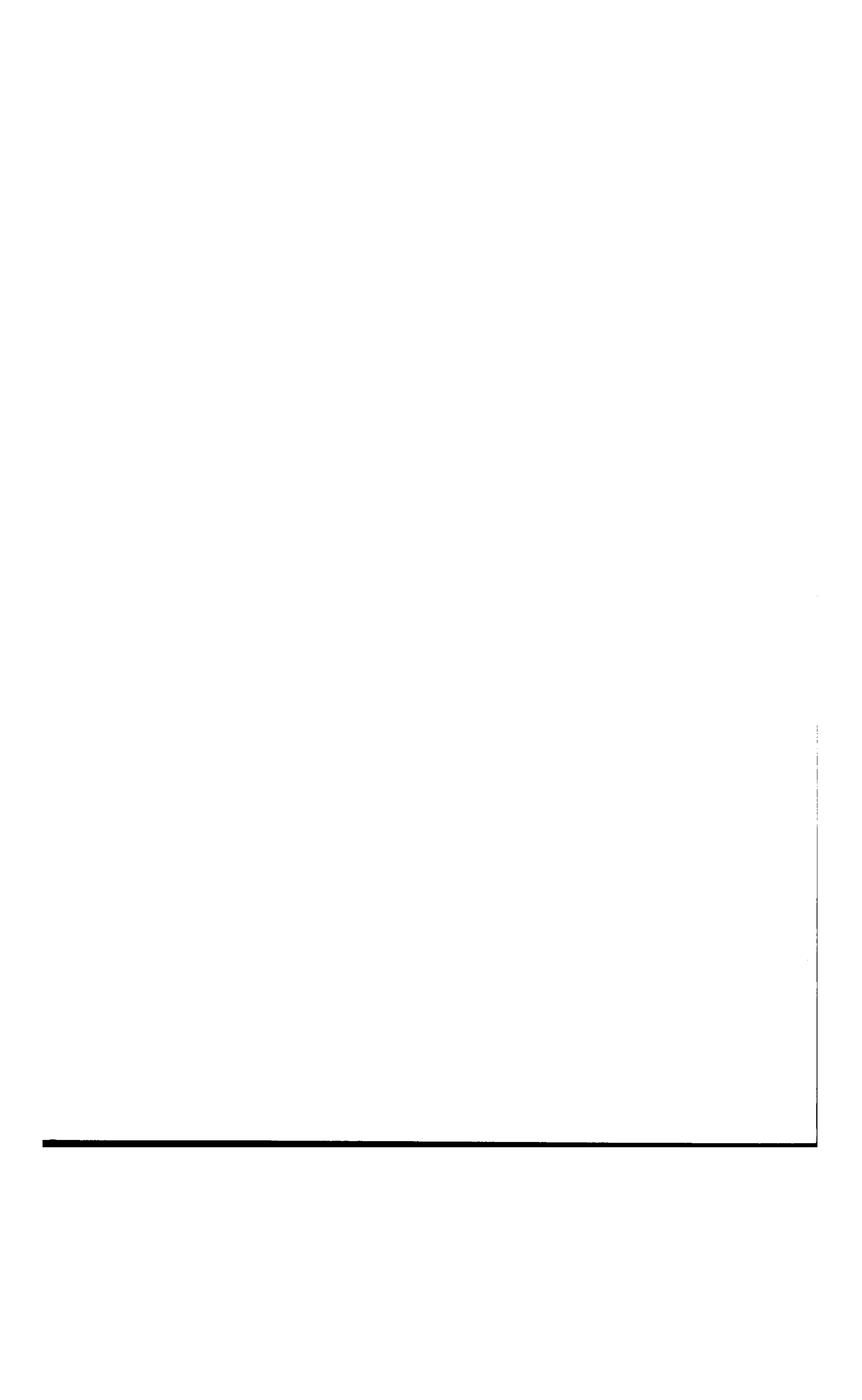
٢- القضاء على كافة اشكال التفرقة العنصرية .

٣- حل جميع المنازعات الدولية بالطرق السلمية حتى لا تتوتر العلاقات بين الشعوب .

٤- نزع السلاح واستخدام نفقاته فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لكافة الشعوب - لان كل بندقية تصنع وكل سفينة حربية تنزل الى المياه وكل صاروخ يطلق يعتبر سرقة صارخة لاقوات الذين يصيبهم الجوع بانيابه - وهم محرومون من الطعام والكساء .

هذه هى بعض الاوضاع التى توجد فى المجتمع الدولى وتتطلب ضرورة تكاتف الشعوب للقضاء عليها فى عالم اليوم - وأن تحقيق ذلك ليس من الصعب أو المحال مادمنا نسلم بالوحدة الانسانية ووجود قيم ومبادىء عامة اخلاقية تعتنقها وتتفق عليها جميع شعوب العالم ومصدرها الله سبحانه وتعالى

......



کشاف

(ف)

(ق)

(ك)

المـــراجع

المراجـــع

أولا : المراجع العربيــة :

١ ـ الكتــب :

د. ابراهيم أبو الغـــار :
دراسات فى علم الاجتماع القانونى ـ طبعة ١٩٧٨م ، القاهرة ـ دار المعارف المصرية .

د. ابراهيم محمد العنانـــى :

× القانون الدولى العام ـ طبعة ١٩٨٤م ، القاهرة ـ دار الفكـــر العربى .

× القانون الدولى الانسانى ـ طبعة ١٩٨٠م ـ القاهرة ـ كليـــة الحقوق ، جامعة عين شمس .

× العلاقات الدولية ـ طبعة ١٩٧٥م ، القاهرة ـ كلية الحقـــوق جامعة عين شمس .

× التنظيم الدولى ، طبعة ١٩٨٢ م ،القاهرة ـ دار الفكر العربى.

× الامم المتحدة ـ طبعة ١٩٨٣م ـ القاهرة ، دار الفكر العربى.

ابن القيم الجوزية :

× اعلام الموقعين ، جـ ٣ ، طبعة عام١٩٥٥م ، القاهـــرة ، المكتبة التجارية .

ابن منظـــور (محمد بن مكرم بن على بن أحمد الانصارى)

× لسان العرب ـ جـ ٣ ، (غير محدد سنة الطبع) ، الـــدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة .

د. ابو بكر محمد ذكرى :

× تيسير فلسفة الاخلاق ـ الطبعة الاولى ١٩٦٧م ـ ١٩٦٨م ، دار التأليف بالقاهرة .

د. أبى الفداء اسماعيل بن كثير :

× قصص الانبياء ـ الطبعة الاولى (محققه ـ مصححه) ١٩٨١م ، القاهرة ـ دار التراث العربى للطباعة والنشر .

د٠ أحمد ابو زيـد :

* البناء الاجتماعى(مدخل لدراسة المجتمع) ـ طبعة ١٩٦٧م ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بالاسكندرية٠

د٠ احمد ابراهيم الشعراوى :

* الامويون (امراء الاندلس الاول) ـ طبعة ١٩٦٩م ، القاهرة، دار النهضة العربية ٠

د٠ احمد الخشاب :

* الضبط الاجتماعى (اسسه النظرية وتطبيقاته العملية)ـ طبعـة ١٩٦٨ م ـ مكتبة القاهرة الحديثة٠
* دراسات فى النظم الاجتماعية ـ طبعة ١٩٥٨ ـ مكتبة القاهـرة الحديثة٠

د٠ أحمد جامـع :

* المذاهب الاشتراكية ـ طبعة ١٩٦٧ م ، القاهرة، المطبعـة العالمية٠

د٠ أحمد خليفـة :

* النظرية العامةللتجريم ، دراسة نقدية فى فلسفة القانونالجنائى ، طبعة ١٩٥٩م ، القاهرة ، دار الفكر العربى ٠

د٠ أحمد سويلم العمرى :

* أصول العلاقات السياسية الدولية ، الطبعة الثالثة ١٩٥٩م ، القاهرة ـ مكتبة الانجلو المصرية٠

د٠ أحمد صادق القشيرى :

* القانون الدولى الاقتصادى ، محاضرات القيت على طلبة دبلـوم القانون الدولى العام بكلية الحقوق جامعة عين شمس ،عامى ١٩٨٠، ١٩٨١م ، القاهرة٠

د٠ احمد كمـال ، د٠ كرم حبيب :

* علم الاجتماع الحضرى ـ طبعة ١٩٧٣م ، القاهرة، دار الجيـل للطباعة ٠

د٠ اسماعيل مظهر:

* فلسفة اللذة والالم ، طبعة ١٩٣٧م ، القاهرة ٠ مكتبـة النهضة المصرية٠

د. السيد صبرى :

* مبادىء القانون الدستورى ، الطبعة الرابعة ١٩٤٩م، القاهرة ، مكتبة عبد الله وهبى .

د. السيد محمد البدوى :

* الاخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع. طبعة ١٩٦٧م،القاهرة ، دار المعارف المصرية .

الشاطبى الغرناطى :

* الموافقات فى اصول الشريعة،جـ ٢ ، طبعة ١٩٥٤م ، القاهرة، المكتبة التجارية .

الطبرى (أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى) :

* تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٣ ، طبعة ١٩٦٥م ـ مكتبة خياط بيروت (لبنان)ـ مكتبة الاسدى طهران (ايران) ، وطبعة القاهرة ١٩٣٩م ، المكتبة التجارية.

النووى : (الامام محى الدين ابى زكريا بن شرف النووى الدمشقى٦٣١ـ٦٧٦هـ)

* رياض الصالحين (من كلام سيد المرسلين) ـ تعليق رضوان محمد رضوان ـ طبعة جديدة منقحة ومصححة تحت اشراف لجنة من العلماء (غير محدد سنة الطبع) ، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة.
* رياض الصالحين (من كلام سيد المرسلين) طبعة ١٩٨٤م، علمية مققة ومخرجه الاحاديث ـ القاهرة ، مكتبة التراث الاسلامى .

المنذرى (الامام زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى ـ المتوفى سنة ٦٥٦هـ)

* الترغيب والترهيب ، الجزء الثالث ، طبعة١٩٨٠م ـ مطابع الاهرام التجارية بالقاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

د. بدرية عبدالله العوضى :

* القانون الدولى العام فى وقت السلم والحرب ، طبعة ١٩٧٨م ـ ١٩٧٩م) ـ دار الفكر بدمشق ، سوريا .

د. بطرس بطرس غالى :

* التنظيم الدولى ، الطبعة الاولى ١٩٥٧م ـ القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية .

د. بطرس بطرس غالى، ود. محمود خيرى عيسى :

* المدخل فى علم السياسة ، الطبعة الاولى ١٩٥٩م، القاهرة ـ مكتبة الانجلو المصرية.

د. توفيق الطويل :

× الفلسفة الخلقية ، الطبعة الثانية ١٩٦٧م ـ منشأة المعارف بالاسكندرية.

د. ثروت أنيس الاسيوطى :

× الاسلام والملكية ، الطبعة الثانية ١٩٨٢م ، طرابلس ،ليبيا.

× مبادئ القانون ، الجزء الاول ، طبعة ١٩٧٥م ، القاهرة ، دار الفكر العربى .

د. جابر جاد عبد الرحمن :

× التعاون والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ـ مجموعة محاضرات القيت على مبعوثى الدول العربية فى مركز التربية الاساسية للعالم العربى بسرس الليان (مصر) ،١٩٥٩م ـ القاهرة، دارالمعارف المصرية .

جلال الدين عبد الرحمن السيوطى الشافعى:

× تنوير الحوالك(شرح على موطأ مالك ،الجزء الثالث ـ (غير محدد سنة الطبع) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة .

د. جعفر عبد السلام:

× العدالة والانصاف فى القانون الدولى ـ طبعة ١٣٩٦ ـ جامعة الملك عبد العزيز كلية الاقتصاد والادارة ـ مركز البحوث والتنمية ـ دار عكاظ للطباعة والنشر ـ جدة .

حامد سلطان :

× الشريعة الاسلامية والقانون الدولى ، طبعة١٩٦٩م القاهرة، دار النهضة العربية.

د. حسن شحاته سعفان :

× اسس علم الاجتماع، الطبعة الخامسة ١٩٦١م، القاهرة، دارالنهضة العربية.

× مونتسكيو (سلسلة قادة الفكر فى الشرق والغرب) غير محدد سنة الطبع ، دار النهضة العربية.

د. حسن كيره:

× أصول القانون ـ الطبعة الثانية ١٩٦٠م ، منشأة المعارف بالاسكندرية

× المدخل الى القانون ، طبعة ١٩٦٩م ، منشأة المعارف بالاسكندرية

د٠ حسنين صالح عبيد:

* القضاء الدولى الجنائى ، الطبعة الاولى ١٩٧٧، القاهرة، دار النهضة العربية ٠

د٠ حسين عمـر :

* المنظمات الدولية والتطورات الاقتصادية الحديثة ـ الطبعة الثانيـة ١٩٦٨ م القاهرة، دار المعارف المصرية٠

د٠ حمدى عبد الرحمن :

* فكرة الحق ، طبعة ١٩٧٩م ، القاهرة ـ دار الفكر العربى ٠
* فكرة القانون . طبعة ١٩٧٩م ، القاهرة، دار الفكر العربى ٠

د٠ زكى الدين شعبان :

* اصول العقد ، طبعة ١٩٦٦م ، القاهرة.دار النهضة العربية٠

د٠ رؤوف عبيـد

* مبادئ علم الاجرام ـ الطبعة الثانية ١٩٧٢م . القاهـــرة دار الفكر العربى ٠

د٠ زكريا ابراهيـم :

* الاخلاق والمجتمع ، طبعة ١٩٦٦ القاهرة ، الدار القوميـة للتأليف والترجمة والنشر ٠

د٠ سعد محمد الشناوى :

* مدى الحاجة للاخـذ بنظرية المصالح المرسلة فى الفقه الاسلامى، فقه مقارن ، مقارنات والفكر الغربى ـ الجزء الاول والثانى، الطبعـــة الثانية ١٩٨١م ، القاهرة٠

د٠ سمير عبد السيد تناغو :

* النظرية العامة للقانون ـ طبعة ١٩٧٤م منشأة المعارف بالاسكندرية

د٠ شمس الدين الوكيـل :

النظرية العامة للقانون ـ طبعة ١٩٧٤م- منشأة المعارف بالاسكندرية

د٠ شمس الدين خفاجى :

* تشريعات التعاون، فكر وقانون ، طبعة ١٩٦٦م ـ مكتبة الشباب بالقاهرة ٠

د. صبحي محمصانــي:
- القانون والعلاقات الدولية في الاسلام – بيروت ، طبعة ١٩٧٢م ، دار العلم للملايين.

د. صلاح الدين عامر :
مقدمة لدراسة القانون الدولي العام – الطبعة الاولى ١٩٨٤م القاهرة دار النهضة العربية

د.صلاح عبد الوهاب :
- القانون الدولي العام ، طبعة ١٩٦٤م ، القاهرة، مطبعــة الانوار

د. صوفي حسن ابوطالب :
- تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – طبعة١٩٧٣م، القاهرة، دار النهضة العربية.
- مبادئ تاريخ القانون – طبعة ١٩٦٧م ، القاهرة، دار النهضــة االعربية .

د. طعيمة الجـرف :
- مبدأ المشروعية وضوابط خضوع الدولة للقانون ، طبعة ١٩٦٣م مكتبة القاهرة الحديثة .

عباس محمود العقاد :
- عقائد المفكرين في القرن العشرين -طبعة١٩٨٤م، القاهــرة، دار المعارف المصرية .

عبد الجواد رجب :
- مع الله (نظرات في الكون والحياة) تقديم الشيخ محمد الغزالي – الطبعة الثانية ١٩٧٤م – دار الاعتصام بالقاهرة.

د. عبد الحي حجازي :
- المدخل لدراسة العلوم القانونية، (نظرية القانون) ، طبعة١٩٧٢م الكويت .

د. عبد الرازق السنهوري، د. حشمت أبوستيت:
- المدخل لدراسة القانون – طبعة ١٩٤١م، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

د. عبد الرحمن بدوى :

* شوبنهاور – الطبعة الثالثة ،١٩٦٥م . القاهرة، دار النهضة العربية.
* الاخلاق النظرية – الطبعة الاولى ، ١٩٧٥م ، الناشر وكالة المطبوعات بالكويت .
* نيتشة ، طبعة١٩٦٥م ، القاهرة . مطبعة الرسالة.

د. عبد الفتاح عبدالباقى :

* نظرية القانون – طبعة ١٩٥٤ القاهرة، دار نشر الجامعات.

د. عبد الفتاح محمد اسماعيل : .

* جهود الامم المتحدة لنزع السلاح – طبعة ١٩٧٢م، القاهرة - مطبعة العالم العربى .

د. عبد الله ناصح أمين :

* تربية الاولاد فى الاسلام ، الطبعة الثانية ١٩٨١م ، دارالسلام للطباعة والنشر والتوزيع ، حلب ، سوريا.

د. عبد المنعم البدراوى :

* تاريخ القانون الرومانى ، طبعة ١٩٤٩م ، القاهرة ، دار نشر الثقافة .

د. عبد الملك عودة :

* الامم المتحدة وقضايا افريقيا – طبعة١٩٦٧ . القاهرة. مكتبة الانجلو المصرية .

د. عبد الوهاب النجار :

* قصص الانبياء ، طبعة ١٩٨٤ – دار الفكر بيروت ، لبنان.

د. عثمان أمين :

* الفلسفة الرواقية، طبعة ١٩٤٥م ، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

د. على البـارودى :

* مبادئ القانون البحرى – طبعة ١٩٧٠م – المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر، بالاسكندرية.

د. على حافظ :

* أسس العدالة فى القانون الرومانى طبعة ١٩٥١م ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية .

د٠ على بـــدوى :

× مبادئ القانون الرومانى ، الجزء الاول ،طبعة ١٩٣٦م ، القاهرة، مطبعة مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

د٠ على صادق ابو هيف :

× القانون الدولى العام، الطبعة الثانية عشر ،١٩٧٥م، منشـــأة المعارف بالاسكندرية ٠

× القانون الدبلوماسى ، طبعة١٩٧٥م ، منشأة المعارف بالاسكندرية٠

على على منصـور :

× الشريعة الاسلامية والقانون الدولى العام ــ طبعة ١٩٦٢م ،القاهرة دار القلم ٠

د٠ عمر ممدوح مصطفى:

× القانون الرومانى ، الطبعة الخامسة ١٩٦٥م ــ ١٩٦٦م ، القاهرة دار المعارف ٠

× اصول تاريخ القانون ، تكوين الشرائع وتاريخ القانون المصرى، طبعة ١٩٥٢م ، مطبعة نشر الثقافة بالاسكندرية ٠

د٠ فوزية ديـاب :

× القيم والعادات الاجتماعية، طبعة ١٩٦٩م ، القاهرة، مكتبــــة الانجلو المصرية٠

د٠ فتحى ســـرور:

× الوسيط فى قانون العقوبات(القسم العام) ــ الطبعة الرابعــــة منقحة ١٩٨٥ القاهرة ــ دار النهضة العربية٠

د٠ فؤاد زكريا:

× نيتشه ، طبعة ١٩٥٦م ، القاهرة، دار المعارف ٠

د٠ قبارى اسماعيل :

× قضايا علم الاخلاق(دراسة نقدية من زاوية الاخلاق) طبعة ١٩٧٥م الهيئة المصرية العامة للكتاب بالاسكندرية٠

مجد الدين الفيروز :

* القاموس المحيط (جـ ٣) ـ الطبعة الثانية ١٩٥٢م ، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

محمد ابو زهرة :

* تنظيم الاسلام للمجتمع ، طبعة ١٩٧٥م ،القاهرة، دار الفكر العربى .
* مقارنات الاديان ، الديانات القديمة، طبعة١٩٦٥م القاهرة، دارالفكر العربى.
* أصول الفقه،الطبعة الاولى١٩٧٣م، القاهرة، دار الفكر العربى .

محمد الغزالى :

* عقيدة المسلم ـ الطبعة الرابعة ١٩٨٤م ـ دار الكتب الاسلامية بالقاهرة .

د. محمد الحسينى حنفى:

* المدخل لدراسة الفقه الاسلامى ، الطبعة الاولى١٩٦٩م، القاهرة، دار النهضة العربية

د. محمد بدر:

* تاريخ النظم القانونية والاجتماعية ـ طبعة ١٩٨٠م ،القاهرة، دار النهضة العربية.

د. محمد بيصار:

* العقيدةوالاخلاق ـ وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع ، الطبعة الثانية،١٩٧٣م ، القاهرة ـ مكتبة الانجلو المصرية.
* الفلسفة اليونانية ـ الطبعة الاولى (غير محدد سنة الطبع)، جامعة السيد محمد بن على السنوسى ـ ليبيا.

محمد بنأبى بكر بن أيوب(ابن القيم) :

* الروح ، تحقيق وتعليق د. محمد أنيس زيادة، د. محمد فهمى السرجانى(غير محدد سنة الطبع) الناشر مكتبة نصير بشارع الازهر بالقاهرة .

محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى :

* مختار الصحاح ـ ترتيب محمود خاطر ـ طبعة ١٩٢٦ القاهرة، المطبعة الاميرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

محمد حافظ غانـم :

* مبادىء القانون الدولى العام – طبعة ١٩٦٨م ، القاهرة – دار النهضة العربية.
* المنظمات الدولية – طبعة ١٩٧٥م ، القاهرة، مطبعة نهضـة مصر .
* الوجيز فى القانون الدولى العام – طبعة ١٩٧٩م ، القاهـرة، دار النهضة العربية.

د. محمد حسين هيكل :

* حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) – الطبعة الثالثة ١٩٣٥م القاهرة –(المقدمة بقلم فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغـى) مطبعة دار الكتب المصرية – الهيئة المصرية للكتاب .
* تراجم مصرية وغربية ، صدرت الطبعة الاولى فى ديسمبر ١٩٢٩م واعيد طبعها ونشرها بدار المعارف بالقاهرة عام ١٩٨٠م.

د. محمد رأفت عثمان :

* الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية فى الاسلام – طبعة ١٩٧٣م القاهرة، مطبعة السعادة .

د. محمد طلعت الغنيمى :

بعض الاتجاهات الحديثة للقانون الدولى العام – قانون الامـم – طبعة١٩٧٤م ، منشأة المعارف بالاسكندرية.

* الاحكام العامة فى قانون الامم ، طبعة١٩٧٠م ، منشأة المعـارف بالاسكندرية.

د. محمد عبد المنعم القيعى:

* عقيدة المسلمين ، الطبعة الثانية ١٩٨٦م ، القاهرة، وزارة الاوقاف – المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

د. محمد عبد الهادى الشقنقيرى :

* فلسفة القانون – محاضرات القيت على طلبة دبلوم القانون الخاص بكلية حقوق جامعة عين شمس عامى ١٩٨٤، ١٩٨٥، القاهرة.

د. محمد على عرفــــة :

* مبادىء العلوم الاجتماعية ، طبعة ١٩٥٢م ، القاهرة، الهيئـــة المصرية العامة للكتاب .
* تاريخ الاخلاق - طبعة ١٩٦٤م ، القاهرة ، الهيئة المصريـــــة العامة للكتاب .

د. محمد على عمران :

* الالتزام بضمان السلامة - طبعة ١٩٨٠م ، القاهرة ، دار النهضة العربية .

د. محمد كامل ياقـوت :

* الشخصية الدولية في القانون الدولى والشريعة الاسلامية - طبعـة ١٩٧٠ م ، القاهرة، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع .

محمد كمال عبد الحميد:

* الشرق الاوسط فى الميزان الاستراتيجى - الطبعة الرابعة ١٩٧٢م القاهرة - مكتبة الانجلو المصرية.

د. محمد مصطفى شحاته الحسينى ،د. أحمد الشاذلى :

* العلاقات الدولية (محاضرات فى الفقه الاسلامى) طبعة ١٩٨٠م القاهرة ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع .

د. محمد يوسف موسى :

* تاريخ الاخلاق . الطبعة الثانية عام ١٩٦٤م ، القاهرة، مطبعـة أمين عبده ، الهيئة المصرية للكتاب .
* التشريع الاسلامى وأثره فى الفقه الغربى ،طبعة١٩٦٠م، القاهرة . الهيئة المصرية للكتاب .

د. محمود السقـــا :

* تاريخ النظم القانونية والاجتماعية ، الطبعة الاولى ١٩٧٠، مكتبـة القاهرة الحديثة .

د. محمد جمال الدين زكى:

* دروس فى مقدمة الدراسات القانونية ، طبعة ١٩٦٤م، القاهـرة ، دار مطابع الشعب ، الهيئة المصرية للكتاب .

د٠ محمود خيرى بنونه :

* القانون الدولى واستخدام الطاقة النووية ، الطبعة الثانية ١٩٧١م، القاهرة، دار الشعب للطباعة والنشر والتوزيع ٠

محمود شلتــــوت :

* الاسلام والعلاقات الدولية فى السلم والحرب طبعة ١٩٥١م القاهرة مطبعة الازهر الشريف ٠
* الاسلام عقيدة وشريعة، الطبعة الثالثة ١٩٦٦ القاهرة، دارالعلم٠

د٠ محمود محمد زيادة :

* دراسات فى التاريخ الاسلامى من العصر العباسى الى قبيل العصـــر الحاضر، طبعة ١٩٦٩م ، القاهرة ، دار التأليف للطباعـــــة والنشر والتوزيع ٠

د٠ مصطفى الخشاب :

* تاريخ التفكير الاجتماعى ، وتطوره ، الطبعة الاولى عام ١٩٥٤م القاهرة، مطبعة لجنة البيان العربى ٠
* دراسة المجتمع ،طبعة ١٩٥٨م ، القاهرة، مطبعة لجنة البيـــان العربى٠

د٠ مصطفى عبد الواحد:

* الاسرة فى الاسلام ، طبعة ١٩٧٢م ، القاهرة ــ مكتبـــــة المتنبى بالقاهرة٠

د٠ مصطفى محمود :

* الماركسية والاسلام ، طبعة ١٩٨٣م ،القاهرة،ــ دار المعارف ٠

د٠ محى الدين بن عربى الحاتمى الطائى :

* تهذيب الاخلاق ، طبع عام ١٣٣٢ هجرية ، واعيد طبعــــه ومراجعته عبد الرحمن حسن محمود عام ١٩٨٦م، القاهـــرة ، مكتبة عالم الفكر٠

د٠ منصور مصطفى منصور:

* دروس فى المدخل لدراسة العلوم القانونية ، طبعة ١٩٧٢م ، القاهرة ــ دار النهضة العربية ٠

نور الدين اشرافية :

* معركة الحياة (الثورة الفكرية العالمية – النضال الثورى من أجل الوحدة العالمية) ، الطبعة الاولى عام ١٩٧٢م ، مطابع دار الكتب ، بيروت، لبنان .

نور الدين حاطوم :

* دراسة مقارنة فى القوميات، الالمانية والايطالية والامريكية والهندية طبعة ١٩٦٦م ، معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية، القاهرة .

د. يحيى الجمل :

* تطور المجتمع الدولى ، طبعة ١٩٦٤م ، القاهرة الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر .

٢ – المقالات والبحوث :

د.ابراهيم محمد العنانى :

* حقوق الانسان فى الشريعة الاسلامية ، بحث قدم فى مؤتمر الاسكندرية حول دراسات فى بعض النظم القانونية الحالية فى مصر فى الفترة من ٩ الى ١٤ ابريل ١٩٨٢ ، المطبعة العربية الحديثة بالقاهرة ، مودع بمكتبة الجمعية المصرية للقانون الدولى ، ومكتبة كلية الحقوق جامعة عين شمس .
* المبادئ العامة لعلاقات الصداقة والتعاون بين الدول ، مجلة الدراسات الدبلوماسية الصادرة من معهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية السعودية ، دورية فى الدراسات الدبلوماسية والدولية ، العدد الثالث ١٩٨٦م ، الرياض ، المملكة العربية السعودية.
* حرب الشرق الاوسط ونظام الامن الجماعى ، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية ، العدد الثانى ، يوليو ، سنة ١٩٧٤م .

احمد محمد غنيم :
x تطور الفكر القانونى ، دراسة تاريخية فى فلسفة القانون ، مجلـة القضاة ، العدد السابع يونيو ١٩٧٢م ،القاهرة.

د. بطرس بطرس غالى :
x الدبلوماسية المصرية وقضية السلام العادل ، مجلة السياسـة الدولية ، العدد ٣٦ ـ ابريل ١٩٧٤م ، القاهرة .

جـارودى :
x الدين والمجتمع لدى الماركسية ، مقال نشر بمجلة العصور المصرية العدد ٣٢٢٧ ، بتاريخ ١٥ أغسطس ١٩٨٦ ، علق عليـه الدكتور محمد نور فرحات .

د. حامد سلطان :
x الشريعة الاسلامية والقانون الدولى ، الحلقات الدراسية بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون و الاداب والعلوم الاجتماعية (القانون والعلـوم السياسية) ـ بغداد ،يناير ١٩٦٩، الجزء الاول طبعة ١٩٧٢م القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

د. حسن السيد نافعه :
x المنظمات الدولية وقضايا التنمية فى العالم الثالث ، مجلـة السياسة الدولية ، العدد ٦٢ ، اكتوبر ١٩٨٠، القاهرة.

د. حلمى بهجت بدوى :
x الخطوات التالية لميثاق الامم المتحدة فى سبيل الوصول الـى حكومة عالمية ، المجلة المصرية للقانون الدولى ١٩٤٦م ، القاهرة

عباس موسى مصطفى :
x حقوق الانسان بين دعاوى الغرب وأصالة الاسلام ، مجلة الدراسات الدبلوماسية الصادرة من معهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية السعودية، العدد الثالث ١٩٨٦م ، الرياض .

د٠ عبد الحكيم العيلى :

* حقوق الانسان فى الشريعة الاسلامية ، مجلة السياسة الدولية طبعة يناير ١٩٧٥م ،القاهرة ٠

د٠ عدنان البكـــرى :

* تأثير الصراع الدولى على الممارسات الدبلوماسية ، مجلة السياســة الدولية ، العدد ٦٦ ــ اكتوبر ١٩٨١م، القاهرة٠

د٠ عصام الدين جلال :

* ابعاد الخطر الذرى فى الشرق الاوسط وجنوب افريقيا ، مجلـــة السياسة الدولية ،العدد ٦٤ ، ابريل ١٩٨١م، القاهرة٠

د٠ مالكوم كيـــــر :

* حركة الاحياء الاسلامى ومظاهرها المعاصرة، ندوة بجامعـــــــة كاليفورنيا فى مارس ١٩٨٠ ، ترجمتها الفت حسن أغا، وتـــــم نشرها فى مجلة السياسة الدولية العدد ٦١ ــ يوليو ١٩٨٠م القاهرة ٠

د٠ محمد ابراهيم فضة :

* اثر عامل الشخصية فى صنع السياسة الخارجية، مجلة السيــــــة الدولية ، العدد ٧٤ ، اكتوبر ١٩٨٣م ، القاهرة٠

محمد ابو زهـــرة :

* العلاقات الدولية فى الاسلام ، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية يوليو ١٩٦٤م ، القاهرة٠
* نظرية الحرب فى الاسلام ، المجلة المصرية للقانون الدولـــى طبعة ١٩٥٨ م ، القاهرة ٠

د٠ محمد السيد سليم :

* التضامن الاسلامى و النظام الدولى ، مجلة السياسة الدولية ،، العدد ٦١ ، يوليو ١٩٨٠م ، القاهرة ٠

د٠ محمد عبد الشفيع عيسى :

* أثر الغرب على التطور التكنولوجى للعالم الثالث ، مجلة السياســة الدولية ، العدد ٧٤ ، اكتوبر ١٩٨٣م ، القاهرة٠

د٠ محمود السقا :

* أثر الفلسفة فى الفقه والقانون الرومانى فى العصر العلمى ، مجلة القانون والاقتصاد، ديسمبر ١٩٧١م ، القاهرة ٠

محمود شلتوت :

* نظرية الحرب فى الاسلام ، المجلة المصرية للقانون الدولى ، العدد ١٤ ، سنة ١٩٥٨م ،القاهرة ٠

محمد متولى الشعراوى :

* وبدأ العلم ، مقال نشر فى جريدة الاخبار المصرية بتاريخ ١٩٨٦/٩/٢٢م ، العدد ١٠٦٩١ ، السنة الخامسة والثلاثون٠

د٠ يحيى رجب :

* التسوية السلمية للمنازعات الدولية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٦٥ ــ يوليو ١٩٨١م ، القاهرة ٠

٣ ــ <u>وثائق وقرارات الامم المتحدة(المترجمة باللغة العربية) :</u>

* ميثاق الامم المتحدة والنظام الاساسى لمحكمة العدل٠الدولية ، مكتب الاعلام العام ، نيويورك ٠
* الاعلان العالمى لحقوق الانسان الصادر من الجمعية العامة للامم المتحدة فى ١٠ ديسمبر ١٩٤٨م٠
* اتفاقية عدم تقادم جرائم الحرب والجرائم ضد الانسانية (عرضت للتوقيع والتصديق عليها بقرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ٢٣٩١ (د/٢٣٠) الصادر فى ٢٦ نوفمبر ١٩٦٨م)
* الاتفاقية الخاصة بالحقوق المدنية والسياسية والبروتوكول الاختيارى الملحق بها (عرضت لتوقيع والتصديق بقرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ٢٢٠٠ فى ١٦ ديسمبر ١٩٦٦م)٠
* الاتفاقية الخاصة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية(عرضت للتوقيع والتصديق عليها بقرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ٢٢٠٠ فى ١٦ ديسمبر ١٩٦٦م)

* قرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ١٤٧٢ الصادر فى ١٢ ديسمبر ١٩٥٩ بخصوص التعاون الدولى لاستخدام الفضاء الخارجى للاغراض السلمية ، والقرار رقم ٢٥٧٤ الصادر فى ١٦ ديسمبر ١٩٦٩م بخصوص قصر استخدام قاع البحار والمحيطات للاغراض السلمية .
* قرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ٢٦٦٧ الصادر فى ٧ ديسمبر ١٩٧٠حول النتائج الاقتصادية والاجتماعية لسباق التسلح و نتائجه الضارة على السلم والامن الدوليين .
* رسالة اليونسكو(نزع السلاح والدول النامية) ، العدد ٤٢ ديسمبر ١٩٦٤، القاهرة..
* رسالة اليونسكو (الاثار الاقتصادية لنزع السلاح) ،العدد ٤٢ ديسمبر ١٩٦٤ ، القاهرة .

---

* مجلة السياسة الدولية .
* مجلة العلوم القانونية والاقتصادية .
* مجلة القانون والاقتصاد .
* المجلة المصرية للقانون الدولى .
* مجلة الدراسات الدبلوماسية، الصادره من معهد الدراسات الدبلوماسية بوزارة الخارجية السعودية بالرياض .

ثانيا : المراجع الاجنبية المترجمة :

ادوار بــــــروى :

x تاريخ الحضارات العام ، القرون الوسطى الجزء الثالث ، باريس ، ترجمة يوسف اسعد داغر، فريد م ٠ داغر ، الطبعة الاولــــى ١٩٦٥ م ،منشورات عويدات بيروت لبنان ٠

ارسطو طاليـــــس :

x علم الاخلاق الى نيقوماخوس ، الجزء الثانى ، ترجمة من اليونانية الى الفرنسية وصدره بمقدمة بارتملى سانتهلير استاذ الفلسفـــــــة اليونانية فى الكولج دى فرانس ثم وزير الخارجية الفرنسية سابقا — ونقله الى العربية احمد لطفى السيد، طبعة ١٩٢٤م ، القاهرة دار الكتب المصرية ٠

ارنولد توينبـــى :

x مختصر دراسة للتاريخ الجزء الثانى ، ترجمة فؤاد محمد شبــــل مراجعة محمد شفيق غربال ، الطبعة الثانية منقحه عــــــام ١٩٦٧، القاهرة ، اختارته واتفقت على ترجمته الادارة الثقافية فـــى جامعة الامم المتحدة ٠

أ٠ س٠ رابوبرت :

x مبادىء الفلسفة ، ترجمة أحمد أمين ،الطبعة الاولى عام ١٩٦٩ بيروت، لبنان دار الكتاب العربى ٠

أفلاطـــــون :

x الجمهورية ، (جمهورية أفلاطون) الكتاب الرابع ، ترجمة الدكتـــور فؤاد زكريا ، مراجعة عن الاصل اليونانى د٠ محمد سليم سالم ، طبعة ١٩٦٨م القاهرة، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ٠

أمانويل كانــــت :

* تأسيس ميتافيزيقا الاخلاق ، ترجمة وتقديم وتعليق د. عبدالغفار مكاوى ، مراجعة د. عبد الرحمن بدوى ،الطبعة الثانية ١٩٨٠م الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة .
* مشروع للسلام الدائم ترجمة د. عثمان أمين ، طبعــة ١٩٤٥م القاهرة، مكتبة النهضة المصرية .

اندريه ايمارد، جانين اوبوايه :

* تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديمة ، الجزء الاول ، باريس ، ترجمة فريد م . داغر، وفؤاد ج ابوريحان، الطبعـــة الاولى ١٩٦٤م منشورات عويدات بيروت، لبنان .
* تاريخ الحضارات العام ، روماوامبراطوريتها ، الجزء الثانـــــى ، باريس ، ترجمة يوسف اسعد داغر، وفريد م. داغر الطبعة الاولى ١٩٦٤م ، منشورات عويدات ،بيروت لبنان .

أنيس . ل . كلود:

* النظام الدولى والسلام العالمى ، ترجمتو تصدير وتعقيـــــب الدكتور عبد الله العريان ،طبعة ١٩٦٣م ، القاهرة، دارالنهضة العربية .

أوتو كلينيبـــرج:

* البعد الانسانى فى العلاقات الدولية، ترجمة لجنة من المتخصصين مراجعة طه عبد الرؤوف (غير محدد سنة الطبع، مكتبة الوعــى العربى

برتراند رســــل

* حكمة الغرب ، الجزء الثانى ،لندن، ١٩٦١م، ترجمة الدكتـــور فؤاد زكريا ، الطبعة الاولى ١٩٨٣م ، عالم المعرفة بالكويت.

بريجنيف على النهج اللينينى :

* طبعة ١٩٧٢، ترجمة ونشر دار التقدم موسكو ، الاتحاد السوفيتى

توماس ارنولد :

× الدعوة الى الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم طبعة ١٩٥٧م، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ٠

جاك ٠ س ٠ ريسلر :

× الحضارة العربية، ترجمة الى العربية غنيم عبدون ، مراجعة الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى ، (غير محدد سنة الطبع) ، القاهـــرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة ٠

ج٠ أ٠ تونكين :

× القانون الدولى العام ،باريس ١٩٦٥م ، ترجمة الى العربيـــة أحمد رضا ، مراجعة الدكتور عز الدين فوده ، الطبعة الاولـــى عام ١٩٧٢ ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

جواهر لال نهرو:

× لمحات من تاريخ العالم ، ترجمة لجنة من الاساتذة الجامعيين الطبعة الثانية أغسطس ١٩٥٧ ، المكتب التجارى للطباعـــة والتوزيع و النشر، بيروت ، لبنان ٠

جورج بوليتزيـر، جى بيسى ، موريس كافينج :

× المبادئ الاساسية للفلسفة ، الجزء الاول ، ترجمة اسماعيـــل المهدوى ، الطبعة الاولى عام ١٩٥٧، القاهرة، الدار المصريـــة للطباعة والنشر والتوزيع ٠

جورج سارتـــون :

× تاريخ العلم، الجزء الثانى نيويورك ١٩٥٢م ، ترجمة لفيف مـن العلماء باشراف لجنة مؤلفة من الدكاترة ابراهيم بيومى مدكـور ، ومحمد كامل حسين ،وقسطنطين زريق ، ومحمد مصطفى زيـادة، الطبعة الثانية ، اكتوبر عام ١٩٧٨ القاهرة، دار المعارف ٠

جوستاف أ٠ فون جرونيباوم :

× حضارة الاسلام ،جامعة شيكاغو ١٩٥٣م، ترجمة عبد العزيـــز توفيق جاويد، مراجعة الدكتور عبد الحميد العبادى، الطبعـــة الرابعة ١٩٥٦م، القاهرة مكتبة مر٠

جيمس هنرى برستد:

× صحوة الضمير ، كندا ١٩٤٥م ، ترمة الدكتور سليم حسن ، طبعة ١٩٤٧م ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

د. بـارودى :

× المشكلة الاخلاقية و الفكر المعاصر ، الطبعة الثانية ، منقحة، ترجمة الدكتور محمد غلاب ، مراجعة الدكتور ابراهيم بيومى مذكور ١٩٥٨ ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية.

دونالد برينان :

× نزع السلاح وخطر التجارب الذرية ، ترجمة وتقديم رائد البراوى الطبعة الاولى عام ١٩٦٢ ، القاهرة، دار العالم العربى .

دين جـاروس ، لورانس ف جرانت :

× السلوك السياسى ، الاختبارات والرؤيات ،ترجمة مركز البحوث والمعلومات بالقاهرة، الطبعة الاولى عام ١٩٧٢م.

راجا هوتيشنج (فيلسوف هندى)

× السلام العظيم ، نيويورك ١٩٥٣م ، ترجمة وتقديم وديع سعيد القاهرة ١٩٧٣م.

رالف . ب . وين

×. قاموس جون ديوى للتربية نيويورك عام ١٩٥٩م ، ترجمة الدكتور محمد على العريان ، تصدير عبد العزيز سلامة ، الطبعة الاولى ١٩٦٤، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية.

شارل فرنـر :

× الفلسفة اليونانية ، ترجمة تيسير شيخ الارض ، الطبعة الاولى عام ١٩٦٨م ، دار الانوار ، بيروت لبنان.

ك . أ . بانيكـار:

× مشاكل الدول الاسيوية والافريقية ، ترجمة وتقديم عبد السلام شحاته ، طبعة عام ١٩٥٩ ، القاهرة، الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع .

ماكس بيلـــوف :

× أبعاد جديدة فى السياسة الخارجية ، ترجمة محمد جعفـــر مراجعة الدكتور ابراهيم جمعه (غير محدد سنة الطبـــع)– الدار القومية للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة ·

ماكيفـــر :

× المجتمع ، ترجمة على احمد عيسى ،طبعة عام ١٩٥٧م القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ·

موريس كروزيـــه :

× تاريخ الحضارات العام ، العهد المعاصر ،الجزء السابـع ، باريس ، ترجمة يوسف اسعد داغر، وفريد م· داغر، الطبعـة الاولى ١٩٧٠م ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان·

ميشيل ستيـــوارت:

× نظم الحكم الحديثة، ترجمة أحمد كامل ، مراجعة الدكتور سليمان الطماوى ،طبعة عام ١٩٦٢القاهرة ، دار الفكر العربى ·

هنرى تومـاس :

× أعلام الفلاسفة، نيويورك ١٩٦٢م ، ترجمة مترى أمين، مراجعـة وتقديم الدكتور زكى نجيب محمود ، الطبعة الاولى ١٩٦٤م ، القاهرة، دار النهضة العربية ·

و·ر· جودسون (وآخرون) :

× التعايش بين الثقافات على كوكبنا الارض ، نيويورك ١٩٦٩، ترجمة فؤاد اسكندر، مراجعة وتقديم محمد سليمان شعلان، طبعة ١٩٧٢ القاهرة، دار المعرفة ·

ول ديورانـــت :

× قصة الحضارة، الجزء الثالث من المجلد الثالث (١١) قيصـــر والمسيح ، ترجمة محمد بدران ، اختارته واتفقت على ترجمتـــه الادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية عام ١٩٦١م القاهرة·

ثالثا : المراجع الاجنبية

١ - الكتب (Books)

Abd El Hamid, Mohamed Sami:

* De l'effect des traites vis-a-vis des particuliers, Extrait du bulletin de la faculte des droit university d'Alexandrie. 1971.

Addo, Herb.:

* New international economic order, Hodder sydney. Auckland. toronto association with the U.N.University, 1983.

Anesaki, Masahru.:

* History of japanes Religion. with special reference to the social and moral life of the mation, charles E. Tuttle company, Tokyo. Japan, U.N. University, 1980.

Anzilotti, Dionisio.:

* Cours de droit international, traduction francaise par Gilbert cidel, sirey. Paris, 1929.

Bach Hofer, L.:

* Early indian sculpture, 2. vol, Paris, 1929.

Bergson, Henry.:

* Les deux sources de la Morale et de la Religion, Paris, U.N. University. Tokyo, 1962.

Bogdanov, O.V.:

* Le desarmement à la lumière due droit international, Paris, 1958.

Bougherty, James and Robert L. Pfaltzgraff.:

* Contending theories of international Relations, J.Blippincott Company New York. Hagerstown Philadelphia. San Francisco, 1970.

Burle, E.:

* Essai historique sur le development de la nation du droit naturel dans l'antiquitē thēse, Lyon, 1908.

Brom, Field.:

* Le Monde à Refaire, 1. vol, Paris, 1954.

Brown, R.Lester.:

* State of the world, W.W. Norton Company, New York. London, U.N. University, 1985.

Bryce, James.:

* International Relations, London, 1932.

Croiset, M.:

* La Civilisation de la Grèce antique, paris, 1932.

Dawson, Frank Griffith and Ivan L. Head:

* International law , national tribunals and Rights of Aliens, New York. 1974.

Delaporte, L:

* La Mesopotamie, les civilisation babylonienne et assyrienne, paris., 1923.

Durkheim, Emile:

* L'education morale, Paris, 1925.

Driver, G.R. and John G. Miles:

* The babyloniar Laws, Vol.1, Oxford University. London, 1960.

Ercih, F.:

* The fear of freedom, London, 1952.

Flugel, J.C.:

* Man. Morals and Society, Apsyco Analylical study, A Mace company, London, 1945.

Gades, Andrẽ.:

* Le Desarmement Devant la societe Des Nations, Paris, 1929.

Giraud, Emile.:

* Le droit positif. ses rapports avec la Philosophie et la politique, Mèlanges Basdevant, Editions.A. pedone, Paris, 1960.

Glaser, Stefan:

* Droit international Pènal conventionnel, Bruxelles, Établisseme Nts Enile Bruylant, Sociètè anony me d'editions. Juridiques et scientifigures . Rue De La Regence. 1970.

* Infraction international Ses Elements Constitutifs Et Ses Aspects Juridiques, Exposr sur La Base Du Droit Pènal Compare, Paris, 1957.

Gurvitch, Georges:

* Sociology of Law, Kegan Paul Co . Ltd, London, 1947.

Gusdrof, Georges.:

* Traitè L'existence morale, Paris, 1953.

Haraszti, Gyorgy:

* Questions of international Law, A.W.Sijthoff. Leyden. Akademiai Kiado. Budapest, 1977.

Hershlac, Z.Y.:

* Introduction to the modern economic History of Middel East, Leiden Brill, 1964.

Jasentuliyana, Nandasiri.:

* Maintaining outer spece for peaceful uses, the U.N.University, March 1984, Tokyo. Japan.

Jessup, Philip.:

* A Modern Law of Nations, 1948, New York.

Jolivet, R.:

* Traite De Philosophie, IV, Morale, Paris, 1966.

Kashlev, Yuri.:

* The Mass Media and international Relations, published by the international organization of journalis prague, U.N.University, 1983.

Kelsen, H.:

* General theory of law and state, Harvard University. Press, 1949.

* Principles of international Law, New York, 1967.

Lauterpacht, H.:

* Codification and development of international law, Ajil, 1955.

Lauterpacht, H.:

* Private law sources and analogies of international law, London, 1927.

Landis, Paul.:

* Social control, social organization and disorganization in process, New York, 1956.

Le Fur et Chklaver.:

* Recueile et textes de droit international public, 1.vol., Paris, 1928.

Le Senne, Renè.:

* Traite de morale generale, Paris, 1947.

Maclver, R.:

* The Modern state, Oxford University. Press, London, 1947.

Madiniar, Gabriel.:

* La concience Morale, Paris, 1963.

Malinovski, B.:

* Crime and Customs in Savage society, Kegan Paul, London, 1926.

Martens, F.:

* Le droit international contemporain des peuples civilisès, Tome. 1, Paris, U.N.University. tokyo. Japan, 1887.

May, Gaston.:

* Introduction a la science du droit, Paris, 1932.

McNeill, H. Willam and Ruth S. Adams.:

* Human Migration. Patterns and policies- Indiana University press, Bloomington, London, U.N.University, 1978.

Metchnikoff, Elie.:

* Etude sur la nature humaien essai de Philosophie optimiste, paris, Moloine, U.N.University, 1903.

Middlebuch, A.Frederick and Chesney Hill.:

* Elements of International Relation, 1.Vol, New York, 1940.

Ogburn, W.F.:

* Social Change with Respect to culture and original nature, the vikiny press, New York, 1952.

Oppenheim (Lauterpacht).:

* International law A treatise, by H. Lauterpacht, London, New York. Toronto, Longmans. 8th Edition, 1955.

Oshea, J.S. Ericey.:

* Derecho Diplomatico, Tom E.I, Madred, 1954.

Parodi, D.:

* La conduite humaine et les voleurs ideales, paris Alcon. Nouv. Ency.Cl Philos, 1939.

Pound, Roscoe.:

* Social control through, yale University, press, New Haven, 1942.

* An introduction to the Philosophy of law., the colonial press inc, Clinton Mass, U.S.A., 1959.

Redslob, R.:

* Traite de droit des gens, Paris, 1950.

Renouvin, Pierre.:

* Historie des Relations Internationales, Paris, 1958.

Ropke, :

* La communate international, 1.vol, Genève, 1947.

Rousseau, Charles.:

* Le Droit International Public, Tome. 1, paris, 1968.

* Principes generaux du droit international, Tome. 1, Editions A Pedone, Paris, 1944.

Rousseau, J.J.:

* La profession de foi du vicaire savayard èd Beaulavon, printed Paris, 1928.

Scheler, Max.:

* Der Formalismus in der Ethik, Paris, Gallimard, 1955.

Scelle, G.:

* Droit internationl public, 1.vol, Paris, 1944.

Schwarezenberger, G.:

* A manuel of international law, vol.1, London, Fourth Edition, 1960.

Scotts, B.James.:

* The Legal Mature of International Law, New York, 1965.

Sedilot, E.:

* Histoire Des Colonisations, 1.vol, Paris, 1958.

Sibert, M.:

* Traitè de droit international public, Tome. 1,Paris, 1951.

Sorokin, A. Pitirim.:

* Social and Cultural Dynamics, Parter Sargent Publisher, Boston, 1957.

Swain, E.:

* A History of world Civilization, I.vol, London, 1947.

Verdross, Alfred.:

* Droit international, Paris, 1959.

Wilson, E.Howard & Florence H.Wilson.:

* American Higher Education and World Affairs, Published by the American Council on Education. Washington, 1963.

٢ ـ المقالات (Articles)

Ago, R.

* Positive Law and International Law, American Journal of International Law, Vol.51, New York, 1957.

Freeman, Harrop and Stanley Yaker.

* Disarmament and the Atomic Control, Legal and Unlegal Aspects, Cornel Law Review (Quarterly)-U.S.A., Vol.43, No.2, Winter, 1958.

Gavin, James.:

* War and Peace in the Space Age, University of Pennsylvania Law Review, Vol.107, No.4, Febeuary. 1959.

Jessup, Philip.:

* Should International Law Recognize an Internations Status between peace and war., american Journal of International Law, vol.48, 1954.

Kaeckenbeek, Georges.:

* La Charte de San Francisco dans ses Rapports avec Le Droit International, Recueil Des Cours-Academie du Droit International de La Haye-Vol. 70, No.1, 1947.

Kaufman. E.:

* Droit International de La paix, Recueil Des Cours- Vol.52, 1935.
* Règles gènèrales du droit de La paix, Recueil Dec Cours, vol.54, 1935.

Kunz, J.:

* The Nature of Customary International Law- American Journal of International Law, vol.47, 1953.
* General International Law and the Law of International Organization- American Journal of International Law, vol.47, 1953.

Lachs, Manfred.:

* The International Law of Outer Space, Recueil Des Cours, vol.113, No.3, 1964.

Le Fur:

* La Coutume et les principes gèneroux du droit comme sources de droit International public, Recueil d'etudes sur les sources du droit en l'honneur de francois Geny. vol.III, paris, 1937.

Nutting , Anthony.:

* Disarmament. Europe and Security, International Affairs, Vol.36, No.1, 1960.

Politis, Nicholas.

* The problem of Disarmament, International Conciliation, March, 1934.

Scelle, G.:

* Essai sur les sources formelles du droit international, Recueil d'etudes sur les sources due droit en l'honneur de francois Geny, Tome.III, 1937, Paris.

Schwelb, Egon.:

* The Nuclear test Ban Treaty and International Law, the American Journal of International Law- Vol.58, 1964.

Smyrniadis, B.:

* Positivisme et morale international en droit des gens, Revue gènèral de droit international public, No.1, 1955.

Strupp, K.:

* Règles gènèrales du droit de la paix, Recueil des cours de l'Acadèmie de droit international, Vol.47, 1934, Paris.

٣ ـ وثائق منظمة الامم المتحـــــــــــــدة (U.N. Documents)

*- U.N. Charter.

*- Official Records of the General Assembly and its 1st committee.

*- Official Records of the Disarmament Commission and subcommitte.

*- Year Books of the U.N- 1946/47, 1947/48, 1948/49, 1950-1986.

*- Le Droit de veto dans l'organsation des U.N.

*- U.N. The International Court of Justice. New York, 1975.

*- General Assembly's Resolutions.

٤ ـ الدوريـــات (Series)

*- International Affairs: Published by the Royal institute of international Affairs every month- London.

*- Foreign Affairs: An American Quarterly Review, New York.

*- Political Science Quarterly: published by the Faculty of political science Columbia University.

*- The Middle East Journal: Published by the Middle East Institute Washington.

*- Hommes et Monde: Mensuelle, Paris.

*- Recueil des Course de L'Acadèmia de Droit International de La Haye.

*- Yearbook the United Nations University. Tokyo. Japan.

*- The American Journal of International Law.

*- The British Year book of International Law.

*- Harvard International Law Journal.

*- Cornel Law Review: (Quarterly). U.S.A.

*- University of Pennsylavania Law Review.

*- International Conciliation.

*- Revue general de droit international public.

*- Revue. International Affairs.

*- Journal du droit international.

*- Revue de politique international, (Ptague).

الفهرس

فهـــــرس